جوُد أبو صوّان



القراءات الملعونة

"كتاب ليس للجميع"

الطبعة الكاملة





القراءات الملعونة

"كتاب ليس للجميع"

جُود أبوصوّان

القِرَاءَاتُ الملعُونَة

"كِتَاب لَيسَ للجَمِيْع"



الطَبعَة الكَامِلة

الاهداء

إلى روح جدّي الذي أحببت، وكان توراتياً بروتستنتياً متزمّتاً، أكرهني على حفظ التوراة في فتوتي ولما كبرت ضجّت في صدري مفاهيمها، فآمنت بالله وأحببته ورفضت إله التوراة ونقمت عليه!.

إلى روح شيخ موحّد صديق، علّمتني بساطته لذّة الغوص في الأعماق وعلّمتني أسئلته قبول تحدّي الإجابة بصراحة!...

إلى راهب مخلّصي جليل مؤمن شجّعني استماعه وصدق إيمانه إلى الدخول في عمق المعرفة!...

وإلى قس كان يصلي متباكياً ليخيف الناس من الله، فتجرّأتُ وكَبُرَ إيماني بالله المحبة والمعرفة والكمال!...

إلى أصدقائي الأحياء، وإلى أرواح المنتقلين منهم، المؤمنين بوحدانية الله وبوحدة الكون والإنسان، إليهم جميعاً، أهدي هذه القراءات ثمرة النقاش الطويل معهم.

التوجيه

إلى الذين يجرؤون على القراءة، وإطلاق الأعِنّة لعقولهم بلا عقد أو خوف.

إلى الذين يتحدّون ما فرضت عليهم وثنية القرون الغابرة.

إلى الذين يجرأون على المناقشة والفهم دون خوف من خلفية إيمانهم الوثني العتيق!

إلى الذين أتعبتهم سطحية التفكير الديني وأخافهم من الله فصوّره لهم عدواً متربصاً بهم!

إلى الذين ضللتهم التعاليم الوثنية اليهودية فاستعبدتهم لحسابها سخرة ودون أن يدروا، وجيشتهم لمآربها دون أن يعرفوا!

إلى الذين يؤمنون بوحدانية الله وكماله بلا عقد أو طقوس أو مراسم!

إلى المؤمنين بوحدة الانسان والكون!

إلى الكهنة والقساوسة الذين يجرؤون على تحويل أنفسهم من كهنة أوثان إلى كهنة الله الحقيقي فيحدثون التغيير الجذري المطلوب، ويمزّقون سحف الوثنية التي تخفي الإيمان بالله الحقيقي، بلا عقد، وبلا تخويف...

فالله محبة ونور وحق وخير وجمال وكمال ولم يكن الله غير ذلك.

المقدمة

ما دمت قارئي المميّز بعـد قراءتـك للتحذيـر المكتـوب علـى صفحـة الغلاف الخارجية، قد أخذت قرارك وصنّفت ذاتك مـع الذيـن ذكرتهـم في التوجيه، فأصبح ذنبك على جنبك في تحمّل مسؤولية فعل الحرف بداخلك، خذ توراتك وحدها دون عناء التفتيش عن الكثير من المراجع واهلاً وسـهلاً بك في رحاب المعرفة الكونية السمحاء، نناقش سوية، وببساطة وبلا عقـد، الفكر التوراتي والوشم الذي تركه في الدين المسيحي، وذلك بهـدف تنقيـة المسيحية مـن رواسـب الوثنيـة اليهوديـة وورد الاعتبـار لهـا كمثاليـة كونيـة تستطيع أن تكون في جميع الأديان ولجميع شعوب الأرض على السواء!.



الانسان والله

منذ وعى الانسان، تحركت الأسئلة داخل عقله وعبر أحاسيسه. فالعقل هذه (اللعنة - النعمة) كان سبباً لتعاسته من ناحية، ولشعوره بسعادة التفوّق على غيره من المخلوقات من ناحية أخرى. هو نعمة لأن به كان الانسان الكائن الوسيط بين الالوهة وما دونها.

به حاول الانسان معرفة الابعاد الشاقولية الثلاثة: الما فوق، والوسيط، والما دون.

الما فوق: الله، عالم الغيب، وعالم المثل

الوسيط: الإنسان وما يمثله من المحسوس وغير المحسوس.

المادون: الطبيعة بكل ما فيها وما عليها

بواسطة العقل أدرك الانسان أنه الكائن الوحيد الذي يسعى على الأرض باتجاه شاقولي في حين أن كل الحيوانات الزاحفة منها على بطونها أو الدابة على قوائمها، الطيور جميعها والأسماك والمائيات بمختلف اشكالها وأنواعها، بحرية كانت أو نهرية أو برمائية... جميعها تسعى باتجاه أفقي، إلا الانسان: فباتجاه عامودي!.

لماذا هذا الفرق والتمايز؟

أليست بيولوجيته تشبه بيولوجية جميع هذه المخلوقات؟ بالتأكيد: نعم.

فخلايا جميع الكائنات تتشابه إلى حد بعيد، الى حد التوحّد في المادة المكوّنة، بما في ذلك النسيج الخليوي لجميع هذه الكائنات.

الجوهر المادي التكويني يكاد يكون واحداً من الناحية البيولوجية الصرفة، فالفرق بين الانسان وسائر الكائنات الحية ليس فرقاً جسدياً، مادياً، بالطبع.

فالجسد الإنساني، بمعزل عن الروح التي تحركه، وتضفي عليه الحياة، يشبه بتكوينه الخليوي أجساد سائر الكائنات، والتركيب الكيمائي المادي، هو نفسه عند الأثنين. حتى ان تركيب أنسجة أعضائه المسماة نبيلة: الدماغ، والغدد على أنواعها واختلاف وظيفتها، لا يغاير تركيب اعضائها.

فلو أُخِذَتْ جميع هذه الاعضاء والغدد بمعزل عن الروح المحيية التي تحركها، لكانت بجرد آلات، تفعل الحركة ولا تفهمها، كالمطرقة أو كأية آلة تتحرك بقدرة القوة المحركة الخارجة عنها، دون أن تعرف سبب حركتها أو تدرك هدف تحركها.

إن نوعية القوة المحيية هي التي ميزت الانسان عن سائر المخلوقات. وعمد الفلاسفة إلى تسميتها كل حسب مفاهيمه فكانت: القوة العاقلة، والقوة الحافظة، والقوة الدافعة...الخ من التسميات والمطلوب واحد! كما كان: الانسان العاقل، والانسان حيوان ناطق أو حيوان اجتماعي، أو حيوان ثائر، أو الحيوان الذي يستحي من عريه... إلى ما لا نهاية من طروحات المفاهيم التي تسعى إلى معرفة الإنسان وما يميّزه عن سائر

المخلوقات، فأين يكمن سر التمييز؟ فما دام الجسد لا يعقل بذاته فأين مقام القوة العاقلة منه؟

يقول البعض في الدماغ!

ولكن الدماغ جزء من الجسد، وليست خلاياه إلا مكان حفظ المعلومات والعودة إليها حين الحاجة ليس إلاّ، وهذا الدماغ يفنى بفناء الجسد لدى ترك الروح المحيية له.

والبعض القديم كان يقول في القلب!

أن الجواب المنطقي هو في الروح التي لا تظهر بذاتها وانما من خلال الجسد ومن خلال فعلها فيه، فيتأثر بوجودها بمظهر يسمى الحياة. وقد سماها البعض السيال الحياتي Fluide vital غير المرئي، وسماها البعض الآخر الهيولي الحياتي غير المرئي الذي تتسحل عليه جميع السكنات ومنه تأتي المدارك وتنبثق المفاهيم...

هذه القوة الخفية حاول الانسان معرفتها، والتفتيش عن مصدرها قبل حلولها في الجسد ومعرفة مآلها بعد تركها له!..

من هنا كان العقل لعنة–نعمة خُصَّ بها الانسان دون سائر المخلوقات.

فحاول هذا الانسان ربط السبب بالمسبب والعلة بالمعلول، والعكس بالعكس. وأمام عجزه عن الإدراك، كانت فرضية الكائن الأزلي بذاته، الدائم الكامل، الذي به كل شيء وبغيره لا شيء: العلّة غير المعلولة، الكمال بلا حدود البداية والنهاية!

أمام عجز العقل المعرفي في التوصل إلى قناعات ثابتة كانت مرارة اللعنة التي أتعست الانسان ولا تزال!

وأمام جهله للقوة التي لم يستطع التعرف إلى كنهها والتوصل إلى أسرارها وبالتالي التحكم بها لتسخيرها حسب رغائبه، ومن ناحية أخرى، جهله لكيفية درء أخطارها، من قوى طبيعية ملموسة وغير منظورة إلى قوى طبيعية وما ورائية غير ملموسة وغير منظورة، كل هذا اضطره للتفتيش عن الكائن بذاته، القوي الذي يسيطر على كل شيء، يخيف ولا يخاف، الخالق غير المخلوق، الحي الذي يُعطي الحياة ويميت ولا يموت، إلى ما هناك من تسميات وضع لها البعض حداً فقالوا بصفات الله التسع والتسعين...

من هنا كان التوجه الإيماني الاول نحو قوى الطبيعية من شمس، وقمر، ومطر، وانهار وغيرها من القوى المرئية. ثم تدرجت المعتقدات وتعدّدت فكان لا بد في النهاية من حصر تلك القوى في قوة واحدة شاملة كاملة وفاعلة دائمة، عاقلة. والتوحيد الاول الذي أعلن مع امنحوتب (١٣٧٢-١٣٥٤ ق.م.) ليس إلا مظهراً منعكساً لافكار الذين سبقوه والذين توالوا بعده في خط دائري مقفل لم تعرف بدايته وكذلك نهايته.

من خلال حتمية ان الله خلق الانسان، كانت المقولة: ان الانسان يخلق الهه أو آلهته على صورته ومثاله، على صوره امانيه وتحقيقاً لرغائبه في التشبه بخالقه. فالله خلق الانسان والموجودات كلها من العدم، وبمشيئة لا يرتبط تحقيقها بزمن.

فأتى الانسان المخلوق وأخذ هذه الموجودات المخلوقة وغيّر شكلها، وأعاد تركيبها، وتفنّن في تقليد خالقه، ومارس سلطته على جميع الموجودات مقلّداً السلطة المطلقة التي يحسّها ولا يفهمها، يشعر بوجودها دون أن يدركها ويفسّرها ويحكّمها بقوانينه!

من هنا كان خلق الانسان الوهمي للاله أو للآلهة أو فلنقل خلق الانسان لذاته!

فهذا الاله أو هذه الالهة إنما هي منعكس للانسان يمثل أو يمثلون الانسان المتفوق الكامل Supermen في جميع المحالات وبمختلف المعطيات المكانية والزمانية.

وما لم يستطعه، وما لا يستطيعه الانسان، يستطيعه هذا الله أو تلك الآلهة.

فالايمان بالله هو تحقيق لأماني العقل البشري بوجود قدرة مسيطرة فاعلة كاملة دائمة، تتعدى مقدرته في الكم والكيف وفي الآن والمكان، وبالتالي إرضاء له.

فوجود الله في عقل الانسان يشعره بالطمأنينة في معرفة كل شيء وبالتالي السيطرة على كل شيء. فالله ينوب عن الانسان في تحقيق معجزتي: المعرفة والقدرة

فالله هو الخير المطلق

والله هو القوة القادرة الدائمة المطلقة وبلا حدود المكان والزمان

تجاه عجز الانسان امام الطبيعة وامام ذاته لا بد اذاً، من الايمان بالقوة المطلقة وبالمعرفة المطلقة والخير المطلق وكل ما يدور في أفلاك هذه المقولات الثلاث.

وفي مسيرته الايمانية المترجرجة، ظن الانسان انّ استعطاف هذه القوى يشعره بمساعداتها له أو يهيئها لذلك، ومن هنا كانت الصلوات والتضرعات والتقادم والذبائح والنذورات، على ظن ان هذا الاله تسترضيه التقدمة والصلاة والتوسل والذبيحة. وكأني به يغير قراره في كل لحظة، وأمام كل ذبيحة جديدة يبدو محتاراً وملزماً بالتدخل لتعديل ما سبق واتخذ من قرارات واصدار ملحقات جديدة.

لماذا هذا الايمان؟

أليس لأن هذا الاله صورة للانسان؟

ألا يسترضي الانسان، أيا كان، الكلام الجميل، ويُؤْخَذ بالمدح والثناء؟

ألا تقرب الهدية قلب الانسان، أيا كان، على مُهديها؟

وعلى هذا فان الاله هو صورة للانسان: يرضيه ما يرضيه ويُسرّه ما يُسرّ به! بهذه الوثنية الايمانية بدأ الدين ولا يزال يمارسها في كل لحظة وفي كل مكان.

الله الخالق كامل بذاته خلق الاشياء والانسان والحيوان بكمال لا ينتهي وبناء لغاية كاملة بذاتها لا تخطئ!...

خلق العوالم مرة واحدة وإلى الأبد وجعل ديمومتها من خلال نظم عديدة: أحادية، ثنائية، ثلاثية، رباعية... ومركبة تتوازن، فتتكامل. أسباب بقائها في أسباب فنائها وتغيّر شكلها، كل هذا ضمن توازنية تكاملية مطلقة!...

فيوم خلق الخلية الاولى أوجد لها في ذاتها أسباب ديمومتها وجعل لها ذاكرة ذاتية تنتج مثيلاتها إلى الابد، بناء لغاية أرادها دون أن تدرك بذاتها سبباً لذلك، ولو أدركت هذه الخلية هدف وجودها وهدف فعلها لحدث التغيير واختل التوازن الكوني.

هذا الكمال في الخلق ناتج عن كمال مشيئة الخالق، هو فيض الكمال في كل شيء.

لكن الأديان الحاضرة مع معرفتها الضمنية لهذه المقولة، لا زالت تمارس وثنية المعتقد في الاله الذي تؤمن به كاملاً وتمارس شعائرها تجاهه وكأنه اله ناقص. فنرى الناس يتوجهون إلى هذا الكمال وفي نفس الوقت يتعاملون معه وكأنه واحد منهم: فيسخّرونه لرغائبهم أو لدرء الخطر عنهم. من هنا كانت المقولة بغائية الايمان. أي ان الانسان يؤمن با لله لسببين لا ثالث لهما:

إما تحقيقاً لرغبة

أو دفعاً لخطر

وما يدور في فلكيهما!

لذلك نرى ان الانسان يلجأ إلى الله بالتضرّع والصلاة والصوم وما إلى ذلك حين يريد تحقيق أمر لم يستطعه أو حين يريد دفع خطر يخشاه ولا يستطيع دفعه بذاته.

وفلسف الانسان لذلك المقولات ووضع التعابير: **«اقرعوا يُفتح لكم»**

«اطلبوا تجدوا!...»

«إن شكرتم لازيدنكم!...»

«قال الرب لربي اجلس عن يميني فأضع أعداءك موطئاً لقدميك!»

«الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء في مراع خضرٍ يربضني، إلى مياه الراحة يوردني!...»

«أيضاً إذا سرت في وادي الموت لا أخاف شيئاً لان عصاك وعكازك... يرعيانني.»

الخ من الكلمات والتعابير والجمل...

فهل ركعت سنابل الحقل مرة لتطلب قطرة ماء؟...

هل صامت أشجار الكون يوماً لتدفع خطر التصحّر؟...

هل توسّلت زنابق الحقل لتغيّر مصيرها؟

هل لأن العصافير ترنّم له صادحة يعطيها قوتها؟

هل لأن الطفل يبكي ترضعه امه؟

وهل ترضع الام الحكيمة طفلها دائماً كلما بكى؟

جميع المخلوقات بكمال أوجدها وبكمال شاءها على صورتها وبكمال نظّم لها دورة الحياة دون منّة، وبدون توسّل منها، هيأ لها أسباب استمرارها.

هنا تكمن عظمة الخالق. والإيمان الحقيقي هو الايمان بكمال مشيئته والوثوق والاطمئنان لكمال هذه المشيئة.

من منطلق وثنية الإيمان: أي من منطلق تحقيق الرغائب ودفع الخطر كان الايمان الاول بالله فحُصِرت به جميع القوى ونُظِّمَ التوجه إليه امتداداً من عمق التاريخ الانساني، وصولاً إلى ابراهيم الذي راقت له فكرة الاله الواحد فتحمّس لها، ونسبها لنفسه، ونسب نفسه لها، ومن ثم كان الوشم الذي أتقنته اليهودية فدمغت به من لحقها من الأديان.

هذا الايمان بالانسان، الاله الوثني يهوه، أو ما شابهه من الاسماء، انما هو إيمان بالانسان الاله، الانسان الذي خلق نفسه ثم نسي ذلك فعبد ذاته، وتراه في غفلة العقل هذه ينحني أمام الاله المخلوق ويدّعي الايمان!...

بهذا المفهوم كان إيمان اليهودية بالله، وما يهوه هذا الاله الوثن الذي أخذت عبادته الطابع القومي العنصري، إلا إله عنصري متحيّز لفئة واحدة من البشر، وجد لأجلهم فقط، دون غيرهم من الشعوب.

أيعقل أن يكون رب الكون الكامل، القادر، الدائم، لفئة واحدة من البشر دون غيرها!

أيعقل أن يكون الله عنصرياً؟

إلا إذا كـان الالـه صناعـة انسـانية بحتـة، صناعـة وثنيـة امتــدت إلى اليهودية فآمنت بهـا، وتحمّسـت لفكـرة هـذا الالـه الـذي تسـخّره لتحقيـق مآربها وعملت لإقناع شعوب العالم بها!...

من هنا بدأ الوشم واستمر إلى اليوم في بقية الاديان، وفي غفلة العقـل التي دامت طويلاً و لم يستفق بعد منها اليوم!...



مادية الخلق

«في البدء خلق الله السماوات والارض، وكانت الارض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه، وقال الله ليكن نور فكان النور.

ورأى الله ان النور حسن.

وفصل الله بين النور والظلمة ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً.

وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً.

وقال الله ليكن جلد في وسط المياه. وليكن فاصلاً بين مياه ومياه...

ودعا الله الجلد سماء. وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً.

وقال الله لتنبت الارض عشباً وبقلاً وشجراً... وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً.

وقال الله لتكن انوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لأوقات وأيام وسنين. فعمل الله النورين العظيمين... وكان مساء وكان صباح يوماً رابعاً.»

ثم خلق الله في اليوم الخامس الزحافات والطير والاسماك وباركها... وفي اليوم السادس خلق الله البهائم والدبابات ووحوش الارض.

وفي آخر هذا اليوم خلق الله الإنسان على صورته:

«على صورة الله خلقه. ذكراً وانثى خلقهم...»

وباركهم وقال لهم: **«اثمروا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الارض. وقال الله اني قد اعطيتكم كل بقل يبزر بزراً على وجه الارض وكل شجر فيه ثمر: شجر يبزر بزراً ليكون لكم طعاماً. ولكل حيوان الارض وكل طير السماء وكل دابة على الارض فيها نفس حية اعطيت كل عشب اخضر طعاماً. وكان كذلك».**

«فاكملت السماوات والارض وكل جنودها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدّسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً». تكوين الاصحاح الاول.

بهذه المادية استهلت التوراة عملية الخلق فاعطت الله في البداية صفة الكمال إذ جاء: وقال الله **«ليكن نور فكان النور».**

الإرادة الالهية عندما تكون يكون الفعل. فلا وجود للزمن عند الإرادة الالهية. فعندما يشاء الله يكون الفعل. فالمشيئة والفعل متلازمان عند الله. فتحقيق المشيئة لا يحتاج إلى زمن، أما عند الانسان، فالفعل يحتاج إلى زمن لتحقيقه. وينسى علماء التوراة أو يتناسون هذه الحقيقة،خاصة عندما

يتحدثون عن ارادة الله في خلاص بني البشر، ألعلّهم لا يعرفون بأن إرادته هي الفعل بحد ذاته؟

عظمة الكمال هذه لا تلبث أن تضعف رويداً رويداً أثناء السرد التوراتي لعملية الخلق فهنا الله يقول «ليكن نور...»

لمن يقول؟

هل كان يحادث نفسه كمن به خبل؟

مع من كان الحديث؟

بأية لغة كان القول؟

من كان حاضراً على القول يسجّله والارض حينها كانت خربة؟ ثم ما حاجته للقول، والفعل قد تحقق بالارادة، والارادة تسبق القول دائماً؟

وتتابع التوراة: «ورأى الله ان النور حسن»...

يعني ان الله تأمل نتيجة فعله وتفكيره فهل هذا يعني أن الله بحاجة للتأمل ليعرف أن ما فعله هو حسن؟

ألم يكن يعرف قبل تحقيق الارادة إلى فعل، أن ذلك الفعل هو حسن قبل كينونته؟

ألم تكن الأرادة بأصلها حسنة عند الله؟

أليست منبثقة عنه؟

التأمل بالشيء يكون لسببين:دراسة نتيجة العمل ثم التعجب من حدوثه نتيجة الجمال المحدث. فالله لا يحتاج لهذين السببين لأن إرادته في

الخلق كاملة وليست بالتالي بحاجة لهذا التأمل. ومن ناحية أخرى إن الله بحد ذاته جمال فيّاض كامل وكل ما يفيض عنه جمال بحد ذاته.

وقبل أن ينتهي اليوم التوراتي الأول لعملية الخلق: «**فصل الله بين النور والظلمة ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً**».

هكذا يشاء الكاتب أن يكون النهار والليل قبل ان تكون الشمس وقد غفل عن بال الكاتب يومها أن النهار والليل ينجمان عن دوران الارض حول الشمس. رحمة الله عليك يا جاليليو، ليتك ولدت قبل الكاتب لكنت جنّبته هذا الخطأ العلمي.

كما غفل عن بال الكاتب أن روح الله كان يرف على وجه المياه: أليس النور هو فيضه؟ أليست شعشعانية الكون هي من توهّج نورانيته؟ فمن أين أتت تلك الظلمة اذاً؟

وفي اليوم الثاني يتابع الله خلق المياه واليابسة ويعود لتأمل ما خلق، فيستحسنه.

وفي اليوم الثالث، يريد الكاتب أن يخلق الله النبات والاشجار و لم تكن الشمس قد صُممت لتكون. فالاخضرار والثمر هما نتاج من عقل الكاتب سبق زمانه، إذ إن الكلوروفيل لم يكن قد بدأ بعد. ماذا يهمّ الشجر قبل الثمر او الثمر قبل الشجر، او الشمس قبلهما او بعدهما، وعلاقتهما بالتحلل اليخضوري... هذا الامر العلمي لا يهمّ... من سيلاحظ ذلك والمؤمن يقرأ بقلبه لا بعقله؟

وفي اليوم الرابع، تظهر الشمس وبقية الكواكب في فلك السموات.
لقد تأخرت هذه الشمس يوماً توراتياً كم هي مدّته؟ كيف يبدأ وكيف ينتهي؟ اسئلة أجوبتهاا كثر ابهاماً منها، المهمّ انها ظهرت، ويا للتعاسة لو لم تظهر!... ويا لشقاء يشوع فيما بعد!.

ويخلق الله في اليوم الخامس الحيوانات بجميع أصنافها: الزاحفة، والمائية، والبرمائية، والطائرة، والاسماك ويباركها الله جميعها.

وفي اليوم السادس خلق ا لله البهائم والدبابات ووحوش الارض وجعل لها العشب الأخضر طعاماً.

يومها لم تكن بعض هذه الحيوانات قد تعوّد على أكل اللحوم، على ما يدو، أو غفلت عن الكاتب هذه المسألة فسقطت من حساباته، أو أنه تعمّد ذلك فتكون جميع الحيوانات آكلة عشب، ليستطيع فيما بعد جمعها في فلك نوح فلا يفترس الاسد الشاة، والذئب الحمل!.

وفي نهاية اليوم السادس خلق الله الأنسان على صورته: «**ذكراً وانثى خلقهم. على صورة الله خلقه. وباركه**»

في غمرة غفلة الكاتب لا يذكر لنا مؤنث هذا الله ولا يذكر لنا اين كان هذا المؤنث؟ وما دوره؟

...فهل هذا يعني ان لله انثى تشاركه متعة الوجود والخلق والتأمل و... أو أن الله مزدوج في وجوده: نصفه رجل ونصفه أنثى؟ـ ثنائية في

وحدة؟!.. هذه الثنائية التي لا تكون في جميع المخلوقات في نفس الكائن! اذاً لماذا لا تكون في الله؟

وهذه الصور الخرافية الموجودة في الأدب البابلي والسومري والمصري، التي تجسّد كائنات نصفها سمكة ونصفها الآخر فتاة، او صورة الانسان النسر، او الانسان الاسد... جميعها صور عقلية وهمّية تعود بأصلها إلى مقدرة العقل على الخلق، والفرضية ان صحت كما جاء في التوراة، ليست الا نسخة عن صورة الله المزدوج الجنس...

ويبارك الله الانسان: «**اثمروا واكثروا واملأوا الارض...**» ويحدد له النبات الذي يبزر بزراً مثل جنسه غذاء ، ويسلّطه على جميع الكائنات المخلوقة، وأما البطاطا والموز وغيرهما من النباتات التي لا تبزر بزراً فلم يذكرها المؤلف كغذاء للإنسان! من أين أتت هذه النباتات والفطور؟ غفلة مقصودة أم تحريم أم منع لأسباب صحية لم نعرفها بعد؟

ويتعب هذا الإله المسكين فيستريح في اليوم السابع فباركه وقدّسه.

التقديس كما هو معروف تخصيص الشيء للإله الذي يأخذه بعين الإعتبار فيضفي من ذاته المقدسة على ذلك الشيء فيصبح بدوره مقدساً، فلمن قدّس الله اليوم السابع؟

لمن توجّه في تقديسه لذلك اليوم؟

والمباركة تعني الإكثار، اليوم السابع هو يوم عطلة لا عمل فيه... يعني أنه بلا إنتاج وبلا بركة. فلا يقولنّ أحد إن راحته هي سبب للإنتاج

الأسبوعي الذي يليه وإن كل حتى أيام الاسبوع هي بفضل عطلة اليوم السابع!...

لماذا لم يبارك الله الأيام التي شهدت عمله فتتقدس تلقائياً منه؟ لماذا يستريح الله! هل تعب من عملية الخلق؟

ألم نقل إن الإرادة الإلهية وتحقيقها متلازمان لا يفصل بينهما زمان ولا مكان؟... والتعب كما هو معروف هو ناتج عن عوامل الزمان والمكان لدى الشروع والانتهاء من الفعل؟

هكذا تريد التوراة ان تجعل الإله! فهو أله تعوب، ضعيف، يأكله الزمان فيحتاج للراحة، فلا يستطيع خلق الكون إلا على دفعات. فهو كأي انسان يجزىء العمل ليستطيع عمله!... أليس هو صورة الإنسان الاصلية؟

إن كان الله كذلك لتحتم عليه أن يتوجه إلى من هو أعلى مرتبة منه في الألوهة فيعبده ولتحتّم من خلال عملية الخلق الإنساني لله، خلق متوالية من الألوهة لا تنتهي!...

خلق الانسان

أما عملية خلق الانسان فيخبرنا كاتب التوراة كيف أن الرب الإله جبل آدم من تراب الارض بعدما قال: «**نعمل الإنسان على صورتنا، كشبهنا...**» ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفساً حية.

«**وغرس الرب الإله جنة عدن شرقاً. ووضع هناك آدم الذي جبله. وانبت الرب الإله في الارض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل. وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر...**» «**...أوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت...**»

ثم بعد أن أحضر الله لآدم جميع الحيوانات وطيور السماء ليسمّيها أشفق على وحدته «**فأوقع عليه سباتاً وأخذ أحد أضلاعه لتكون إمرأة قائلاً لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً. وكانا كلاهما عريانين وهما لا يخجلان...**»

ثم تأتي الحية وهي احيل حيوانات الارض وتقول للمرأة: «**أحقاً قال ا لله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت لها المرأة نأكل منها جميعاً الا ثمر الشجرة التي في وسط الجنة لئلا نموت. فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، بل ا لله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كا لله عارفين الخير والشر**»

وصدقت المرأة، فأكلت من الشجرة، وأعطت رجلها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لنفسيهما مآزر ثم اختبأا لدى سماعهما صوت الرب ماشياً عند هبوب النهار...

«فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان واختبأت. فقال من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها...»

ولدى اكتشاف الله أنهما أكلا من شجرة المعرفة بسبب إغراء الحية لهما، لعن الله الحية قائلاً: **«لأنك فعلت هذا، ملعونة انت من جميع البهائم ومن جميع الوحوش البرية. على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل ايام حياتك»**

ثم أردف لعنته بقوله للمرأة: **«تكثيراً أكثر أتعاب حملك، بالوجع تلدين أولاداً...»**

وصبّ جام غضبه على آدم: **«بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب وإلى التراب تعود.»**

وحتى الأرض لم تسلم من اللعنة فقال: **«ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل...»**

وقال الرب الإله: **«... هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن لعله يمدّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل**

ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض الذي أخذ منها...» تكوين الاصحاح الثالث.

من خلال السرد التوراتي لعملية خلق الانسان،

يلاحظ ان الله يوم أوصى آدم بعدم الأكل من الشجرة التي في وسط الجنة شجرة معرفة الخير والشر أي ان آدم كان شبه انسان، لا يعقل ولا يميز، إذ انه بلا معرفة، فكيف عليه أن يميّز بين الأشجار وهو للحظته بلا عقل، ثم هل تجوز الوصيّة على من لا يعقل ولا يميّز؟

وما مدى مسؤوليته في هذه الحال وعلى من تكون؟

ألم يكن الله يعلم مسبقاً بما سيحصل مع مخلوقاته؟

لماذا سأل آدم أين أنت؟ ألا يعلم أين هو دون أن يسأله؟

ثم يسأله من أعلمك انك عريان؟

وهل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟.

ألا يعرف الله بأمر الحية؟ وما هو دورها في الوجود؟

من الذي علّم الحية المعرفة؟ ومن الذي خلقها ولأية غاية؟

وآدم وحواء حين التصقا ليصيرا جسداً واحداً من تركا؟ من هو أب كل منهما ومن هي أمه؟

من ناحية أخرى نلاحظ ان وصية الله لم تشمل المرأة، لأنها، يوم أوصى آدم بالوصية، لم تكن قد أوجدت بعد، فهي يوم سمعت للحية وأكلت من الشجرة المحرّمة لم تأتِ بمعصية لأنها لم توصَ بها و لم تنبّه عنها

ومع ذلك نرى ان الرب الإله لعنها وغضب عليها واعتبرها مسؤولة عن تنفيذ وصية لم توصَ بها و لم تسمع عنها و لم يلفت انتباهها إليها أحد...

ثم كيف استساغت طعمها وهي جاهلة بعد لا تميّز ولا تعرف؟

ومن الملاحظ، ان الحيّة تكلّمت مع حواء بلغة حوارية منطقية، أي ان الانسان والحيوان كانا يتكالمان ويتفاهمان بلغة واحدة، فيها منطق وحجة وإقناع فبأية لغة كانا يتحادثان ويتحاوران؟

كذلك نرى ان الحية كانت تعرف غاية الوصيّة الإلهية للإنسان. فكيف عرفت ذلك؟

وكيف عرفت مرام فكرة المنع الإلهي؟

هل كانت هي قد أكلت من إحدى الثمار المتساقطة من شجرة المعرفة، ودون علم الرب بذلك، وفي غفلة منه، فتوصّلت إلى المعرفة رغماً عنها وبطريق الصدفة فكان نصيبها في اللعنة أكل التراب إلى الأبد؟

أم أنها كانت سكرتيرة ذكية عند الله وأمينة أسراره وعرفت ما كان يريده، والسكرتيرات أعلم بأسرار أربابهنّ!.

الحيّة لم تكذب و لم تخدع الانسان وإنما أرشدته إلى طريق المعرفة. فما ذنبها وما الجرم الذي أرتكبته؟ ولماذا لُعِنَتْ؟

ألأنها علّمت الانسان ما لم يعلمه وأرادت أن تجلو الجهل عن بصيرته؟ أيلعن الأنبياء؟ أيلعن معلّمو الناموس؟ أيلعن فاعل الخير؟

ولعنها الله بقوله: «على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك»

قبل لعنة الرب الإله للأفعى هل كانت لها قوائم تدبّ عليها كسائر الحيوانات أو انها كانت كالانسان لها رجلان ويدان ولكنها أفضل منه لأنها سبقته في المعرفة؟ فهي تحادث وتحاور وتقنع، وهي أفضل من الانسان لانها أقدم منه معرفة وأسبق منه إليها، ألعلّها كانت أحد الملائكة الذين يعرفون أسرار الله؟

ان أكل الحية للتراب معروف، ولكن الحيّات تأكل العشب والثمر كما انها تلتهم صغار الحيوانات وبيوض الطيور فهل انتهى مفعول هذه اللعنة مع مرور الزمن أم ان هذه اللعنة لم تكن في الأصل؟

لنترك الحيّة ومصيبتها في لعنتها ولنعد إلى آدم الذي خاط وزوجته من أوراق التين ما يستر عورتهما. فممن استحيا؟ أمن بعضهما؟

الانسان يستحي من المجتمع لأنه الحيوان الوحيد الذي يستحي من عريه كونه حيواناً اجتماعياً.

الاستحاء من الخالق ليس وارداً لأنه هو الذي خلق الانسان عارياً، والعري ليس عيباً عند الله أو أمامه، لأن خلق العيب عيب بحدّ ذاته، وخلق الانسان عارياً هو كمال الخلق واتمام لجماله.

ويسألهما الله هل أكلتما من شجرة المعرفة؟

ألا يدري ذلك؟

وكالأفعى التي دعا عليها بأكل التراب فأكلت الثمر والتهمت بيض الطيور وصغار الحيوانات كذلك عصى الانسان أمر الله ثانية ولم يكتف

بأكل نبات الأرض بل عمد إلى أكل لحوم الحيوانات ولحوم الطيور والأسماك وغيرهما!

أرب عاجز جاهل!

أم انسان متمرّد يؤله من يشاء ويتعبّد لمن ولما يشاء؟

وسؤال آخر يتبادر إلى الذهن هل يريد الله الانسان جاهلاً، ساذجاً، أهبل لا يميّز ولا يستشعر ولا يعرف؟ فإن كان الجواب إيجاباً فما قيمة هذا الانسان وأي صورة يعكسها عن خالقه؟

وكيف يتبارك، ويتكاثر ويملأ الأرض وهو يجهل الجنس الآخر ولا يميّزه عن ذاته؟

وإن كان الجواب نفياً، فأي ذنب ارتكبه الانسان نحو الله؟ أليس بالعقل يلتمس الله؟ أليس الايمان بالله هو معطى عقلاني بحت؟

فالانسان العاقل وحده من جميع المخلوقات يؤمن با لله، إذ أن حيوانات الأرض جميعها لا تعقل وجود ا لله ولا تمارس تجاهه أية شعائر إيمانية!...

والمجانين وفاقدو العقول لا إله لهم!...

حتى الانسان العاقل المؤمن بالله في صحوه، فانه أثناء نومه أو أثناء تخدير ملكاته العقلية يفقد قدرة الايمان با لله ويصبح كأية بهيمة بلا إله يسمو إليه ويتأمّله ويسبّحه!.

فبدون العقل لا إله.

وبدون العقل لا إيمان

وأفضل الايمان بالله هو الايمان العقلي!... فكلما كبرت طاقة العقل على الاستيعاب كلما كبر الايمان بالله، لان الايمان بكمال الله هو بقدر لا تستطيعه العقول الصغيرة. وكلما نمت مقدرة العقل على الاستيعاب، كلما كبر الايمان بوجود إله خالق قادر كامل. إرادته فعل بحد ذاته. خلق الكون مرة واحدة والى الابد، وأوجد لهذا الكون، بناء لتصميم كامل لا يخطيء، أسباب استمراريته، وبعظمة لا يحدها عقل بشري ولا يصل ألى أدراك غايتها مهما حاول فلسفة مظهرها وتعليل الأسباب.

الكامل المطلق لا يحدث إلا كمالا إذ انه فيض منه!

ومع ذلك تريد التوراة أن تلغي عقل الانسان فتعاقبه على أكله من ثمرة شجرة المعرفة و لم يُكلّف كاتبها نفسه السؤال: ماذا يحدث لو أن ذلك الانسان لم يعص امر الله و لم يعمد إلى أكل ثمرة شجرة المعرفة؟

فلمن كانت ستكتب هذه التوراة ؟

والرسل جميعاً لمن كانوا سيأتون؟

والخطيئة الأصلية؟

ورجال الدين؟

والخلاص؟

والذنب والندم، والخوف، والحياة الدنيا، والحياة الآخرة، والنذورات والتقادم والعطايا والبخور والشموع والكنائس والأديرة والامجاد الكنيسة كلها لماذا؟ و**كيف تكون**؟ ولمن؟

وهذه اللعنات على من ستقال؟ وعلى من ستكال؟

وفلك نوح من سيركبه؟

والمسيح ما الحاجة إليه؟

ثم ماذا لو ان ذلك الآدم وتلك الحواء بعد أكلهما من ثمر شجرة المعرفة قد عمدا فوراً وأكلا من شجرة الحياة قبل أن يأتي ا لله ويكتشف فعلتهما؟

هل كان الانسان يصبح كالله يدوم أبدياً ويعرف مثله فينافسه على الالوهة وفي عقر داره؟

وهل كان باستطاعة الله أن يميته بعدها؟

وهكذا تحسّب الله لهذه الفرضية وخاف من منافسة الانسان المستقبلية له.

ا لله يعرف

والانسان أصبح يعرف

الفرق في هذه المعرفة هو فقط في الكم والكيف والمدى

معرفة الله بسبب استمراريته وأبديته وأزليته هي معرفة بلا حدود الكم والكيف والمدى.

فلو أُعطي الانسان أزلية البقاء لتمكن من بلوغ هذه المعرفة المطلقة. لقد عرف الله ذلك، فخاف أن تصبح معرفة الانسان كاملة أبدية وهنا يكمن خطر المنافسة. فبعد أن أكل الانسان من ثمر شجرة المعرفة تساوى في المعرفة مع الله، الفرق الباقي بينهما هو في كمال هذه المعرفة الذي يأتي مع

الديمومة والاستمرارية، وهكذا تحسّب الله للأمر، وخوفاً على مركزه من المنافسة، حسم الأمر وطرد الانسان قبل أن يصل الى ثمار الشجرة الثانية المحرّمة: شجرة الحياة.

ويتابع السرد التوراتي فيقول في لعنة الرب الإله للإنسان: «**بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب وإلى التراب تعود.**»

أنسي الكاتب ان الانسان، يوم أُخذ من تراب الأرض، كان في الجنة وان الجنة هي على جزء من هذه الارض؟ فبعد الموت وانحلال الجسد يجب أن يعود إلى تراب الجنة وليس إلى الأرض؟

يوم كتبت التوراة لم تكن العلوم الكيمائية قد عُرفت بعد و لم يكن يومها (مخابر) مختبرات تحلل الاجسام، فجسد الانسان يحتوي على ٨٥٪ من الماء و١٥٪ رواسب ترابية.

فكيف ننسب الكل إلى الجزء الصغير وليس إلى الجزء الكبير؟

لماذا لا نقول من الماء أُخذت وإلى الماء تعود؟

كيف ينسب الانسان إلى جزئه الصغير ولا ينسب إلى جزئه الكبير؟

أليس الحرّي أن نقول من الماء وإلى الماء تعود بدلاً من القول من التراب والى التراب تعود؟

ثم ما دور الروح التي نفخها الله في نفس الانسان؟

ألا تعود إلى خالقها؟ إلى الأصل الذي نفخت منه؟

أليس الحريّ أن نقول من الله وإليه تعود ويصدق القول: أنا الله وانّا اليه راجعون.؟!.

هل قيمة الانسان الجمالية والكمالية هي في ترابيته أو في روحه؟

هل المعنى هو لهذا الهيكل الترابي أو لما يتضمنه؟ هل الاغراء والجمال هما في الجسد؟

ما نفع هذا الجمال وما قيمته الاغرائية بدون الروح المحيية التي تحركه وتعطيه هذا المعنى؟

أي إحساس نستشعره أمام جسد بلا روح؟

تخيل قارئي العزيز أنك في جلسة رومانسية تغازل أجمل امرأة في العالم. وفجأة تموت بين يديك. تصبح جثة هامدة.. باردة.

هل تتابع جلسة الغزل والحب؟

ما شعورك في هذه اللحظة؟

الجمال ذاته لم يتغير، لم يزل على حاله، والجسد بين يديك لماذا لا تتابع لمسه، وشمّه، وتقبيله ومداعبته ودغدغة مكامن الأحاسيس فيه؟

لماذا الذعر والارتداد عنه؟

ألم تكن للحظات تسعى إليه وتتوق للذوبان فيه؟

لماذا هذا الإشمئزاز والقرف؟

أما كنت للحظات تشمّه وتتمناه يسري إلى أعماقك؟ لماذا الابتعاد عنه؟

أما كنت تتمنى الانصهار فيه؟

لماذا الصراخ؟

ألم تكن للحظات تفضل الهمس والوشوشة لأنه قريب منك؟...

لماذا تريد إبعاده الآن؟

هـذه الترابيـة الجميلـة تصبـح لا شـيء بـدون الـروح. تصبـح مداسـاً للأقدام بدونها.

جيفة مقرفة، نتنة، يعافها النظر ويشمر عنها الشم ويتقزز اللمس مـن مداناتها!...

وتُوارى الثرى بعيداً عن الأنظار والأحاسيس ليس احترامـاً لهـا وإنمـا راحة لك منها...

ان فناء الجسد وتحوّله الترابي هو أمر واقع لا محالة، فما دام كل شيء يعود إلى أصله، فالتراب إلى التراب والمـاء إلى المـاء، فمـا أسـعد الحيـاة بعـد الموت لأنها تعني عودة الجزء إلى الكل.

فالتراب من خلق الله

والماء من خلق الله

والروح هي من نفس الله تعود فتتوحّد في خالقها بعد لحظة الموت.

ان لعنة التوراة للإنسان بالعودة إلى الـتراب ليسـت بحد ذاتهـا لعنـة، وإنما هي نعمة التكامل المرحلي للحيـاة، لأن عظمـة الله هـي في وجـوده في كل مخلوقاته، وقيمة العقل هي في التعرّف على الله من خلال تأمّل عظمتـه وقدرته في المخلوقات.

سؤال آخر يتبادر إلى الذهن: هل كان الله يعرف مسبقاً نتيجة تعريض آدم للتجربة؟

فإن كان يعرف ان آدم رغم تحذيره له، بعدم الأكل من ثمر الشجرة سيقع في التجربة وإن الأفعى ستغري امرأته فتأكل منها وتطعمه فإن مسؤولية العصيان هي على الله لأنه أراد ذلك وهيّأ كل شيء لتتم تلك المعصية، الارادة، وبالتالي يكون آدم قد أتم إرادة خالقه دون أن تكون له مشيئة تغيير القرار!.

وإن كان الرب الإله لا يعلم فأي خير يرتجى من هذا الرب الذي لا يعرف وتنتهي معرفته أمام عقل الانسان المخلوق الذي بتمرّده يجبره على تغيير خططه...

إن عظمة الله هي كونه هذا التسامح اللامحدود وقد أوجد هذا الانسان ليخطئ في حدود اللامحدود.

الانسان يخطئ دائماً

والله يسامح دائماً

فإن أبطل الانسان الخطأ لم يعد بحاجة لإله يسامحه لأنه قد تساوى فيه!

وإن توقف الله عن المسامحة، لبطلت ألوهيته وسقط الايمان به. فأين الخطيئة الأصلية من هذه المقولة؟ وماذا تبقى منها بعدها؟

من ناحية أخرى ما قيمة شجرة مثمرة لا يؤكل ثمرها؟

لماذا الثمر عليها؟ هل هي فقط لتكثير البـذار لشـجر لا يؤكـل ثمـره؟ هل هي مخصصة لله فقط تأتيه المعرفة وحـده مـن أكـل ثمارهـا؟ ألم يغضـب يسوع من تينة لا ثمار عليها، فيلعنها ويدعي عليها فتيبس؟

ألم يقل أنا الكرمة وأبي الكرّام، كل غصـن فيّ، لا يـأتي بثمـر ينزعـه أبي ويلقيه في النار؟

هاتان الشجرتان المغروستان في قلب الجنـة: شـجرة المعرفـة وشـجرة الحياة الأبدية ما مصيرهما لو مرّ يسوع بهما و لم يأكل من ثمارهما؟

أليس بالحق أن تقطعا وتلقيا في النار لو لم يتجرّأ الانسان ويأكل من إحديهما؟

ما قيمة الحياة بدون ثمار الشجرة الأولى؟

وما قيمة المرحلة التالية من الحياة لولا الأمل بثمار الشجرة الثانية؟

عظمـة اللـه، هـي انـه معرفـة كاملـة وديمومـة خـالدة. وقيمتنـا الحاضرة فـي الحيـاة هـي اننـا جزء مـن تلـك المعرفـة كمـا ان قيمتنـا المستقبلية بعدها هي اننا جزء من ذلك الخلود.

نسعى للمعرفة للاستزادة من فيضه والشعور مـن خلالهـا باننـا نعرفـه فنحبه، وهذا ما يوثق إيماننا بالخلود. فما الموت إلا لحظة وامضـة تنقلنـا مـن عالم إلى عالم، نترك بعدها ترابيتنا تتحول إلى أشكال مادية أخرى تكمـن في ذراتها طاقة مخبوءة، في حين تتحد نسمة الحياة بخالقها، وتندمج به.

ألا يكفي العقل فخراً معرفة انه خالد وانه جزء من إرادة إلهه العظيم الكامل!؟

يقول قائل ما دام الله سماحاً دائماً فمن يردع الانسان من ارتكاب الشر؟ وما يمنعه أن يتمادى فيه فيأكل الانسانُ الانسانَ وتصبح الأرض كلها غابة عدوانية دموية؟

الانسان الذي يعيش وحده لا يرتكب الشر، لأن لا مجتمع عنده يحدّ من تصرّفاته أو ينافسه على غاياته.

فالشر هو عمل يرتكبه الانسان تجاه الآخرين (المجتمع) وبالتالي هو مخالفة للقواعد السلوكية الاجتماعية التي يضعها المجتمع بشكل أنظمة وقوانين وشرائع وذلك حماية لذاته من ذاته. فالشر يأتي من داخل الانسان وليس من خارجه. وكما يتقي الانسان العوامل الطبيعية المحيطة به، كان عليه أن يتقي نفسه من نفسه. فوجوب وجود المجتمع أوجب وجود القوانين والشرائع للمحافظة على هذا المجتمع ككل. وفي مفهوم علم الاجتماع، فان النظم الأولى كانت نظماً دينية لأن الدولة الأولى كانت دولة دينية الطابع صنعت النظم وسنّت القوانين وأعطتهما صيغة إلهية ليكون لهما التأثير الرادع والمهابة الفاعلة، وقالت ان من يرتكب الشر بانتهاكه هذه القوانين وتلك النظم، إنما يرتكبه تجاه الآلهة وهي المولجة بإنزال العقاب به. والآلهة يمثّلها الحكام، وهم عادة قساة القلوب يضربون بلا رحمة، فكم بالحري يجب أن تكون قسوة الآلهة التي يمثلون؟ لذلك فان التخويف بالقصاص

الإلهي كان صورة مكبّرة عن القصاص الانساني ولكن ضُخّمت مفاعيله كي يثير الرهبة في نفوس المجموعات البشرية فتتهيب ارتكاب الشر خوفاً من قسوة العقاب وهول القصاص.

وصورة الإله المنتقم، والاله الغضوب، والإله المدمّر والإله الذي يبيد ويسحق والذي يضرب بالويلات والمصائب، وترضيه الهدايا وترقق قلبه النذورات والتقادم وتسرّه الأضاحي، انما هي صورة لواقع الحاكم البربري، الذي يثبت ملكه بالدم ويحميه بالنار والتي لا تزال، حتى اليوم، ترتسم في كثير من الشعائر الدينية والسياسية لدى الكثير من أمم الأرض في حياتهم اليومية!

فالانسان لا يستطيع ارتكاب الشر تجاه الله، انما يرتكبه تجاه الانسان، واستطراداً فان الانسان (المجتمع) هو المولج بالعقاب والثواب. وهناك دول لا تؤمن بالله وليس عندها قوانين إلهية لها مفعول لاحق تردع وتمنع، بل ان قوانينها الوضعية هي التي تمنع الانسان من ارتكاب الشر. فالله عندها بمنأى عن فكرة العقاب والثواب. والانسان، بشكل القانون، هو الذي ينهي ويعاقب ويجازي ويكافىء.

ويستطرد القائل متسائلاً: هناك أعمال لا يكشفها القانون فهل تبقى بلا عقاب ومن يعاقب عليها ما دام الله لا يتدخل في العقاب والثواب على هذه الأرض؟

ان الانسان عندما يرتكب الشر يرتكبه في فكره أولاً ثم يعكسه على الآخرين. فإحداث الضرر عليهم إنما هو النتيجة الظاهرة للشر. أما النتيجة

الفعلية الخفية فتبقى في العقل الباطن لمرتكب الشر ولا تستطيع قوة محو تأثيرها منه، فتستمر في فعلها البطيء، ولكن الأكيد إلى أن تتحول إلى قوة أدانة فعلية.

فالقانون يعاقب على ظواهر فعل الشر وأما العقل الباطن فعلى خفاياه. فما لم يظهر من فعل الشر فانه يستمر يتفاعل في داخل العقل الباطن إلى أن يأتي زمن تسديد الحساب ودفع الثمن وإلا فكيف يكون طابخ السم آكله؟ وكيف يقع الأخ الشرير في الحفرة التي حفرها لأخيه؟

فالفكر الشرير يقود دائماً إلى نتيجة أشدّ شراً على الذات منها على الآخرين، ويحصد الانسان ما زرعه في فكره، فاليد الشريرة إنما هي المنجل الذي يحصد جنى الأفكار الشريرة. وإثباتاً تقول الآية الكريمة: «**وكذلك جعلنا في كل قرية أكبر مجرميها ليمكروا فيها، وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون**» الانعام ١٢٢

فالعقل بجزئه الواعي إنما يمثل الجزء البسيط من مقدرة العقل الباطن الذي تكمن فيه القوى الموجّهة الخفية، والتي لم يستطع العلم، للحظته، تحديدها أو التوصل إلى معرفة مداها وطريقة عملها. فجميع الأفعال الواعية إنما هي نتيجة لتوجيهات وتعليمات وإيحاءات العقل الباطن. فالانسان يتلقى خلال حياته، بدءاً من لحظة ولادته، وقبلها أحياناً، وهو جنين في بطن امه كما يثبته العلم اليوم، مفاهيم ومعلومات يسجّلها عقله الباطن ويحفظها لحين الحاجة إليها.

وتصرفات الانسان الواعية إنما هي منعكسات مرئية من المخزون الخفي للعقل الباطني. وتحكّم الانسان، أيا يكن هذا الانسان، بتصرّفاته الواعية، إنما هو مرتبط بشكل حميم جداً بمعلومات وأوامر العقل الباطن. ومتى كان مخزون العقل الباطن أفكاراً شريرة، فلا بد وأن تظهر، في لحظة من اللحظات، في تصرّفات العقل الواعي، بشكل أفعال شريرة يطالها القانون الاجتماعي، فيدفع صاحبها الثمن. وأحياناً يكون هذا الثمن ذاتياً لأن الأفعال الشريرة إنما هي الظواهر المباشرة لقناعات باطنية لا تنفك أبداً عن الاستمرار في فعلها داخل عقل الانسان. فالفعل الشرير إن لم يردعه القانون الاجتماعي فان استمرار صورته الأساسية في العقل الباطن للانسان، تقوده إلى حتمية تسديد الحساب. فلا شيء من دون شيء، ولا شيء يخلق من العدم. وفي هذا المجال، تعبّر الأمثال العامية عن ذلك ناسبة دفع الشرير للحساب إلى القوى الإلهية: **«الله ليس عنده حجارة ليراشق بها». «والله يمهل ولا يهمل» «وحبل الكذب قصير» «وبيت البوم خراب» «وما من خفي إلا وسيظهر»** وغيرها وغيرها من الأقوال.

وبما ان الشر هو صناعة انسانية عقلية بحتة، لا علاقة لله به، فان الانسان هو المسؤول عنه. وعظمة الله في خلقه، هي انه أوجد داخل الانسان القوى الذاتية القادرة على بناء ذاتها والدفاع عنها أو أحياناً تدميرها، وذلك حفاظاً للنوع واستمراراً للحياة. وليس الانسان على عظمة ما يكمن فيه من قوى العالم الأكبر، إلاّ صورة العالم الأصغر الذي تمثّله

أصغر الخلايا في جسده. فالخلية الحيّة، تنمو من ذاتها وبذاتها، وتنتج ذاتها، وتتغذّى وتكبر وتنضج بشكل تلقائي ومنظّم ثم تهرم فتدمّر ذاتها استمراراً للحياة وحفاظاً على النوع.

ومن هذا المنطلق فان تصرّفات الانسان الواعية إنما هي منعكسات لما يختزنه عقله الباطن من مفاهيم ومعلومات، وهنا تظهر فوائد التعاليم الدينية الأخلاقية والإرشادات التربوية التي تهدف إلى بذر أفكار الخير في عقل الانسان، حتى تصبح قناعات يختزنها عقله الباطن، فيصبح هذا الانسان، بناء لغنى المخزون، ميّالاً بطبعه إلى حب الخير، توّاقاً إلى تطبيق المثل الأخلاقية في يومياته. وفي نفس الوقت يصبح الشر عنده، خطاً أحمرَ، لا يتجاوزه إلاّ مرغماً وبسرّية يظنها خافية، أو يحاول إخفاءها، تكون قدرة العقل الرادعة بحجم السرّية التي أحاطها بها. وإذ تكتفي القوانين الاجتماعية بعقاب محدد ومفهوم فان العقل الباطن مستمرّ في العقاب حتى التفكك الذاتي فيكون الشرير قد دفع ثمن فعله اجتماعياً وذاتياً بينما يحصد فاعل الخير جناه مضاعفاً: تقديراً عند الآخرين ورضى داخلياً معنوياً لا تعادله أية قيمة مادية خارجية.

الجريمة الأولى

وبسبب أكله لثمرة الشجرة المحرّمة يعرف آدم زوجته فتلد له قايين وهابيل. وكبر الولدان فعمل هابيل في رعاية الماشية وتربيتها في حين ان قايين تعاطى الزراعة وحراثة الأرض.

وعلى ظن منهما، وحسب العادة الفطرية الوثنية، حاولا استرضاء الله، بتقديم الهدايا له. ويختار كل منهما خيرة ما عنده ليقدّمه للرب الإله:

قايين انتقى خيرة الثمار والحبوب

وهابيل اختار أجود أبقار ماشيته.

وكان أن الرب الإله آكل لحوم ويحب الدم، كنظيره مولوخ أو ملكارت، فاختار ما قدمه هابيل ورفض تقدمة قايين.

«... وحدث بعد أيام ان قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب، وقدم هابيل من أبكار غنمه ومن سمانها. فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قايين جداً وسقط على وجهه» تكوين ٤:(٣-٨)

قبول قربان هابيل ورفض قربان قايين أثار حفيظة هذا الأخير وأوغر صدره على أخيه هابيل فقتله!: وكانت الجريمة الأولى في التوراة...

لماذا اختار الله تقدمة هابيل ورفض تقدمة قايين مع ان الولدين قدما خيرة ما عندهما!..؟ قايين يحب الرب الإله مثل أخيه وأكثر وإلا لماذا أوغر

صدره حين رفض هذا الرب تقدمته؟ ما همّه، وما يعنيه من هذا الرفض لو لم يكن يعنيه حب هذا الله والتقرّب منه؟ ولهذا اغتاظ وسقط على وجهه. فرفض الهدية دون سبب، وقبولها من الآخر، يعني تحيّزاً يقصد منه بذر بذور البغضاء بين الإخوة ومن ثم العداء، فكانت الجريمة الأولى في التاريخ المدوّن.

ما مسؤولية قايين في كونه مزارعاً لا يملك المواشي؟ ما مسؤوليته وهو لا يعرف ان الرب الإله يحب تقاديم اللحم والدم؟

لماذا هذا التحيّز في الاختيار بين هدية الأخوين؟

أليس الرب الإله، ذاك، مسؤولاً عن تلك الجريمة باختياره، دون تبرير، تقدمة الأخ ورفضه تقدمة الأخ الآخر؟

ألم يكن باستطاعته، وكان حرياً به أن يفعل، أن يقبل أيضاً تقدمة الأخوين على السواء، ويلقي من ثم بالتقدمة التي لا تعجبه لطيور السماء وحيوانات الأرض فتأكلها ويرتاح ضميره؟

من هنا تبدأ قصة الذبيحة التي توالت من الوثنية إلى اليهودية ووصلتنا إلى المسيحية فجعلت يسوع الذبيحة التي اكتفى بها الرب الإله فارتاحت البشرية من تكرار التقدمة. أما عند الاسلام فحطّت رحالها بألوف الذبائح التي تقدّم تكفيراً عن ذنب مزعوم أو طلباً لمغنم عتيد!...

أيحتاج الله إلى ذبائح وتقاديم؟

أيحتاج أن يأخذ الجزء وهو معط الكل؟

يوم وهب الانسان خيرات الأرض كلها ألم يعطه اياهـا كاملـة؟ هـل كانت عينه على جزء منها؟

ويغضب الاله التوراتي على قايين لقتلـه هـابيل ويلعنـه ويدعـو عليـه بالتغرّب في الأرض فيشعر قايين بذنبه ويقول للرب نادماً:

«... إنك طردتـني اليـوم عـن وجـه الأرض ومـن وجهـك أختفـي وأكون تائهاً وهارباً في الأرض فيكون كل مـن وجدنـي يقتلـني فقـال لـه الرب لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقـم منـه. وجعـل الـرب لقايين علامة لكي لا يقتله كل من وجده...» تكوين ٤:(١٤-١٥)

هل شعر الرب بذنبه بأنه كان المسـؤول عـن حـدوث الجريمـة الأولى ولّما أعاد حساباته أعطى صك الأمان للقـاتل ووضـع لـه علامـة تحميـه مـن القتل؟

من سيجد قايين ليقتله وهو ثـالث الآدميـين الموجوديـن حينهـا علـى الأرض؟

بالطبع لن يعمد آدم الوالد على قتل وحيده البـاقي للانتقـام، فيخسـر ولديه معاً، والحي، كما هو معروف، خير من الميت!...

فلمن اذا، هذه العلامة التي ميّز الله بها القاتل؟

وما هي هذه العلامة؟

وكيف يعرف هذا «المنّ» من الناس انها صك أمان إلهي يحمي القاتل من القتل؟

ألا يعني هذا، أن هذه العلامة كانت متداولة ومعروفة قبل قايين؟ وان هذه القصة وغيرها قد سُرقت عن مدوّنات الشعوب التي مرّ بها كاتب التوراة وعايشها وانتحل عنها ما يريد!

ألا يعني هذا ان كاتب التوراة حصر قصة الخلق بآدم وفي منطقة جغرافية محددة ومحصورة؟

ألا يثبت هذا اعترافاً من الكاتب، بأن قصة الخلق، هي قصة حصرية في شعب ما، وكتبت لهذا الشعب؟

وهذا الإله الذي هو لهذا الشعب فقط، أليس صناعة بشرية بحتة؟



الله يحمي القتلة

«... فخرج قايين من لدن الله وسكن في أرض نود شرقي الأردن. وعرف امرأته فحبلت وولدت حنوك. وبنى قايين مدينة سمّاها حنوك باسم ابنه...» تكوين ٤:(١٦-١٧)

وتوالت الولادات وتكاثر أهل التوراة **«فولد لحنوك لامك من متوشائيل فتزوّج امرأتين: عادة وصلة فكان له من عادة يابال ويوبال. ومن صلة كان توبال قايين وابنة هي نعمة» تكوين ٤:(١٥-٢٢)**

«وقال لامك لامرأتيه صلة وعادة: اسمعا قولي واصغيا لكلامي فإني قتلت رجلاً لجرحي وفتى لشدخي، انه ينتقم لقايين سبعة أضعاف وأما للامك فسبعة وسبعين» تكوين ٤:(٢٣-٢٤)

«وعرف آدم امرأته فولدت ابناً ودعت اسمه شيتا الذي بدوره ولد أنوش. حينئذٍ ابتُدِئ ان يُدعى باسم الرب» تكوين ٤: ٢٥

لم تذكر التوراة اسم امرأة قايين لا من هي ولا من أين جاءت، ولا اسم امرأة حفيده عيراد في حين ذكرت اسم إمرأتي لامك واسم امرأة حنوك وسمّت أولاد قايين وأولاد أحفاده، وهذا إثبات على وجود شعوب أخرى غير الشعب التوراتي. كما لم تذكر التوراة اسم الرجل الذي قتله لامك انتقاماً لجرحه، ولا اسم الفتى الذي قتله أيضاً انتقاماً لشدخه:

كل ما تذكره التوراة هو الحماية التي خصّها الله للقتلة:

القاتل الأول قايين يحميه الله بعلامة خاصة تميّزه وتردّ عنه غائلة الانتقام، وينتقم الله له من قاتله سبعة أضعاف!... أما القاتل الثاني لامك فينتقم الله له سبعة وسبعين ضعفاً.

وتتابع التوراة فتقول انه في زمن أنوش بدئ يُدعى باسم الرب. قبل أنوش باسم من كان يُدعى؟

وعلى اسم من قدم هابيل وقايين قربانيهما؟

ومن لدن من خرج قايين؟

ومن هو الذي حمى قايين وأعطاه صك الأمان ووسمه بالعلامة الواقية؟

ومن حرّم الأكل من ثمار شجرة المعرفة؟

ومن طرد آدم من جنة عدن؟

ومن ... ومن خلق الكون مرة واحدة إلى الأبد؟

الإله التوراتي، رب عصابة يحمي القتلة، فبقدر عنفهم وتأصل الجريمة في نفوسهم، وبقدر مهارتهم في القتل تكون الحماية ويكون الرضى عليهم: فقايين قتل أخاه فوعده الله بالحماية والانتقام من خصمه سبعة أضعاف، أما لامك الذي قتل اثنين، محطّماً الرقم القياسي الأول، فوعده الله بالانتقام من أخصامه سبعة وسبعين ضعفاً. الرب التوراتي إله سادي، قاتل، يحب العنف قولاً ومشاهدة وفعلاً، يحمي القتلة ويبارك نسلهم ويوسّع لهم درع الحماية!...

أعرفت الولايات المتحدة الأميركية هذا السر يا ترى؟ بالطبع نعم، فلقد تعلّمته من يهودها، ولأجل ذلك عمدت إلى ضرب عملتها بجملة تقول: بالله نؤمن IN GOOD WE TRUST، وعلى وجه العملة الآخر رسمت جميع الشعارات اليهودية والرموز السرية لإقامة النظام العالمي الجديد!

وبهذا الانتساب إلى الإله التوراتي، الذي يحمي القتلة ويباركهم، لجأت إلى ضرب هيروشيما ونيكازاكي بالقنابل النووية، وتلجأ اليوم إلى إشعال الفتن في العالم لبيع أسلحة الدمار، بحجة حماية السلام العالمي وبمباركة الإله الذي به تؤمن.

قارئي النجيب هل حاولت يوماً أن تتفرّس في رسوم وزخارف الدولار الأميركي؟

هل حاولت في لحظة ضجرك، أو في لحظة تأمل انعتاقي، أن تغوص في فلسفة نقوشه؟

بالطبع لا، لأنك، كغيرك من الملايين، لا يهمك منه إلا قيمته الشرائية الفاعلة، ليس إلاّ! وقد عرف واضعوه ذلك، فاستغلّوا هذا الأمر، معتمدين على غفلة الناس عن الغوص في أعماق المعاني والتلهّي بالسطحيات، بالزبد دون اللآلئ!. فالسبق المادي والتنافس الاقتصادي لم يتركا للناس وقتاً للتلهّي بالتفتيش عن الحقيقة، وهذا أمر مقصود بالطبع، ومدروس بعناية فائقة مما يتيح لمصمّمي السياسة العالمية أن يضعوا خطط المستقبل باطمئنان، فرسموها على نقوش الدولار، مموّهين حقيقتها، حتى

علـى الأمــيركين أنفســهم، برســوم وزخــارف، ذرّاً للرمــاد في عيــون المستطلعين، كذلك فعلوا برموز أوراق اللعب التي يتلهّون في اللعب بها في حين انهم يلعبون بمصائرهم دون أن يدروا.

حاول الآن، أن تتلهى، ولـو للحظـة، أريدهـا لـك استطلاعية، خـذ دولاراً واحداً وتأمّله:

على أحد أوجه ورقة الدولار صورة للرئيس الأميركي كُتـب عليهـا: بالله نثق، أو بالله نؤمن، IN GOOD WE TRUST، وعلى الوجه الآخر هناك رسمان: أحدهما لنسر ألبس العلم الأميركي قد أبسط جناحيه وأطلق ســاقيه وقبض في منقاره على شريط يحمل شعاراً عدد حروفه ثلاثة عشـر حرفـاً .E PLURIBUS UNOM ومعناها كلنا واحد، أو نحن وحدة أو مـن التشـرذم الى الوحدة.

في مخالب النسر اليمنى غصن غار أو غصن زيتون عدد أوراقه ثـلاث عشرة ورقة، كذلك هو عدد ثماره.

مخالب النسر اليسرى تقبـض علـى جعبـة سـهام عددهـا ثلاثـة عشـر سهماً.

الدائرة التي فوق رأس النسر هــي بشـكل ميداليـة تحمـل ثلاثـة عشـر نجماً.

في الناحية الأخرى لورقة الدولار صورة لهرم الجيزة في مصر، لم يكتمـل بناؤه، عدد مداميكه ثلاثة عشر مدماكاً مؤلفة من اثنين وسبعين حجراً.

تحت قاعدة الهرم تاريخ إعلان استقلال الولايات الثلاث عشرة التي اتحدت فيما بينها لتشكّل نواة الولايات المتحدة الأميركية: MDCCLXXVI

ففي الرابع من تموز ١٧٧٦ اتفقت الولايات: فرجينيا، ماسسوتيش، مريلاند، نيوهمشاير، ديلاوير، رود ايلاند، كارولينا الشمالية، كارولينا الجنوبية، بنسلفانيا، جيورجا، نيوجرسي، نيويورك وولاية كونكتيكت، على اعلان استقلال اتحادها.

فوق هذا الهرم، مثلث، ضمنه عين شعشعانية، ترصد العالم من خلال دائرة نورانية كتب فوقها جملة، عدد حروفها ثلاثة عشر حرفاً ANNUIT CŒPTIS ومعناها: الموافقة على ما بدء به أو وُوفق على ما تم البدء به.

في اسفل قاعدة الهرم جملة NOVUS ORDO SECLORUM ومعناها النظام العالمي الجديد الذي سيبداء العمل به حين أكتمال الهرم وذلك بعد تنصيب الجزء غير المكتمل منه (اسرائيل) على قمته!

ففي النظام العالمي الجديد، الذي تسعى اميركا إليه بوحي من عظماء المفكرين اليهود، الذين كانوا اساس تركيب الولايات المتحدة الاميركية ولا يزالون المسيطرين على سياستها العالمية من خلال مختلف التنظيمات والمؤسسات المالية والدينية والسياسية والاجتماعية، والفكرية، والاقتصادية وحتى العسكرية منها، سيفرض السلام على العرب انطلاقاً من ارض مصر، مهد الاهرامات، ثم تسيّد اسرائيل على مجموعة الدول العربية الثلاثة عشر والتي تشكل جغرافيتها حلم اسرائيل

في السيطرة على ارض كنعان كلها وهي: فلسطين، الاردن، لبنان، سوريا، العراق، العربية السعودية، اليمن الشمالي، اليمن الجنوبي، الكويت، عُمان، قطر، البحرين والامارات العربية المتحدة.

ثم، أخيراً، في أسفل ورقة الدولار جملة معناها: النقد المشهور أو العملة المهمة THE GREAT SEAL

ان كل ما نلاحظه اليوم من سيطرة الدولار على السوق المالية العالمية يهدف إلى فرضه كقوة مالية وحيدة في العالم تكون المشتهى والامنية للدول وللافراد في الارتكاز عليه، فتجمع الثروات وتكدّس المخبوءات بشكل عملة لها شهرتها العالمية: الدولار، الذي لا تغطية ذهبية له إطلاقاً، إنما ترتكز قيمته على قدرة أميركا الاقتصادية وفرضها لذاتها على العالم.

في هذا الوقت، ينفذ دهاقنة السياسة بقية أفكارهم فيجمعون الذهب بهدوء صامت ويتفرّدون في امتلاكه لحين إعلانه قيمة نقدية وحيدة في العالم، قيمتها في ذاتها ولا بديل عنها، وسيترافق ذلك مع انهيار اقتصادي للولايات المتحدة الأميركية، ينتج عن كارثة طبيعية أو أسباب داخلية، وهو أعظم بكثير من الذي جرى لها في العام ١٨٦١ وما رافق ذلك من حروب أهلية كادت تؤدي بالاتحاد، وسيصحب ذلك بلبلة مالية عالمية وانهيار اقتصادي لم تعرفه الدول في حياتها، وستكون السيطرة بعدها لمن يملك أكبر احتياطي من الذهب في العالم: ومن المقدّر أن يتمّ هذا الأمر في نهاية الربع الأول من القرن الواحد والعشرين الذي أصبحت طلائعه على الأبواب!

لو سألت أميركياً مطلعاً على تاريخ بلاده وعلى تاريخ عملتها عن الرقم ١٣ وما يرمز إليه، لأجابك بعفوية الطالب الذي حفظ دروسه عن ظهر قلب **«انه يرمز إلى عدد الولايات الثلاث عشرة التي اتحدت فيما بينها لتشكل نواة الدولة الحالية»**.

جواب منطقي، قد يكون مقنعاً لأغلبية السائلين! وهو جواب الحق الذي يغطى به الباطل! لأن للعدد ١٣ مدلولاً أعظم وأعمق بكثير من ذلك!

أنظره في التاريخ اليهودي القديم المكتوب وغير المكتوب الذي ينقل من الفم إلى الأذن مثل تعاليم الميشنا MICHNA ولعدد قليل من الخاصة المميزة والتي لا يتجاوز عددها الثلاثة عشر.

أنظره في تعاليم التلمود وفي كتاب الزُهار ZOHAR

وفي تعاليم المركافا MERCAVAH للحاخام سيمون بن جوشاي SIMEON BEN JOCHAÏ

أنظره في سفر يتزيرا SEPHER YETZIRAH

أنظره في علم الكابالا اليهودي القديم KABBALAH

أنظره في نبوات حزقيال!

ألا يمثل يعقوب وأولاده الاثني عشر: الاسباط ووالدهم.

ثم أنظره في التاريخ الحديث وفي مجريات الأمور الواقعة وكيف تركز عليه أميركا واسرائيل في كل الاجتماعات المهمة والتواريخ ذات الشأن المصيري!.

أنظره في بداية التاريخ المسيحي حين كان التغلغل اليهودي في الدين الجديد، في أوج نشاطه، بغية اخضاعه والسيطرة عليه، وتوجيهه إلى المرامي اليهودية!.

يسوع ومجموعة التلاميذ يشكلون العدد ١٣.

بعد صعود المسيح، وشنق يهوذا نفسه نَقُصَ العدد، فأعيد تكوين المجمع المسيحي الأول بانتخاب متيّاس ويوسف الذي يدعى باراسابا الملقب يوستس، وأعيد بذلك العدد ١٣ إلى الوجود!.

لماذا انتخب التلامذ اثنين بديلاً للواحد الذي فقدوه بخيانته للقضية، يوضاس المعروف بيهوذا؟

كان حريّاً بهم أن ينتخبوا واحداً بديلاً للواحد المفتقد فيكون عدد التلاميذ اثني عشر تلميذاً لا ثلاثة عشر!.

أما أن تكون الحجة انهم انتخبوا أحد الاثنين بديلاً ليسوع، فهذا غير منطقي، فمن ناحية، لا بديل ليسوع ومن ناحية ثانية ان يسوع لم يغب ولم يمت، وهو معهم دائماً!.

ألا يعني ان انتخابهم الاثنين كان تكميلاً لعدد ١٣؟.

وهذا يعني الالتزام كل ما يرمز إليه العدد ١٣ !...

هل العدد ١٣ هو رقم عادي أو انه يرمز في علم الاسرار الكونية إلى أشياء أكثر بكثير وأعظم عمقاً من دلالته الرقمية؟

ثم العدد ٧٢ (الاثنين والسبعين) الذي يدل على عدد حجارة إحدى أوجه الهرم الأربعة، هل هو رقم عادي؟ ألا يمثل هذا العدد، عدد اليهود الذين حضروا إلى مصر حين استدعاهم إليها يوسف بعد استقباله والده يعقوب؟

موسى وهرون مع السبعين شيخاً من شيوخ اسرائيل الذين احتمعوا إلى يهوه للتعارف في جبل حوريب، مصر، ألا يمثلون العدد ٧٢؟

ألا يرمز إلى حكماء بني اسرائيل الاثنين والسبعين الذين احتمعوا بإحدى الجزر المصرية بناء لأمر ديمتريوس DIMITRIOS في عهد بطليموس PTOLEMEE ما بين نهاية القرن الثاني والقرن الاول قبل الميلاد، وذلك لوضع أسس التوراة وخططها والتي عرفت باسمهم: التوراة السبعينية؟

أليس هؤلاء الحكماء هم البناة الحقيقيون للهرم الاسرائيلي الذي لم يزل منطلقه الأرض المصرية؟

ان للأحرف وللأعداد مدلولاتٍ سريةً، أكبر وأعظم عمقاً من القيم الرقمية التي تدل عليها وإلا فكيف ارتكز فيتاغورس عليها وأقام كل فلسفته ونُظُمَ مدرسته السرية عليها؟

ألم يُمض فيتاغورس سبع سنوات من حياته في طيبة وفي هيكل هليوبويس مصر، يتعلم الأسرار ومدلولاتها في الارقام، كذلك فعل أفلاطون وبريسيد PHÉRÉCYDE وطاليس THALÈS وارسطو، وامبوزاكليد المعروف بامبالي عند الدروز EMPEDOCLE، وديموقريتس وارفيوس وايدوكسيس وصولون، وتريتوليم TRITOLEME وغيرهم.

ان الجمعيات السرّية التنظيم والمتجذرة في عمق التاريخ البشري كذلك اليهود في علومهم السرية يعتمدون على الالغاز الرقمية والقيم العددية للاحرف لتفسير الاقوال للخاصة المميزة بينهم والتي لا يعرف تفسيرها العامة من الناس.وقد جاء على لسان يسوع في لوقا الاصحاح الرابع ١١- ١٢ ما يلي:

«فقال لهم لقد أعطي لكم ان تعرفوا سر ملكوت ا لله، واما الذين من خارج فبالامثال يكون لهم كل شيء. لكي يبصروا مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم».

وفي كتاب الزُهار ZOHAR اثناء تحدث ماير MYER عن علم الكابالا صفحة ٢٠٢ نجد تلميحاً صريحاً للرموز التوراتية **«تعيس هو الانسان الذي لا يرى في التوراة إلاّ قصصاً وكلمات عادية... ان هذه القصص ليست إلاّ الرداء الخارجي للتوراة، وتعيس الانسان الذي لا يميّز الرداء عن التوراة،... لأنه لا يعرف ماذا تخبئه الثياب»... وإن كانت التوراة لا تحتوي بالحقيقة إلا على هذا، كان جديراً بنا اليوم، ونحن قادرون على ذلك، أن نكتب توراة أكثر تقديراً واحتراماً...**

وقد جاء في كتاب أخنوخ ENOCH:

«الشقاء للانسان الذي يفشي الاسرار التي قد أسرّها المعلم الاول في أذن مانوشي» MANOUSHI.

ايها المثقفون العرب، يا قادة الناشئة ودعاة الفكر! تخلّوا عن كبريائكم في صراعاتكم الايديولوجية! فالايديولوجية الوحيدة التي

تجمعكم وتصهركم هي قوة المعرفة التي توحدكم انسانياً، والتي تدمجكم في وحدة تزيل الحدود المزعومة بينكم والتي رسمت لتكون المداميك الثلاثة عشر لهرم العبودية الذي يحلمون بالسيادة عليه!.

هيئوا شعوبكم لفكرة الاندماج الكوني في الفكرة الانسانية الشاملة التي تنهي عصور النزاع البشري والاقتتال العنصري!.

توحدوا في مدماك واحد، يُنهي فراغات نزاعاتكم المصطنعة ويزيل اوهام تعدياتكم على خطوط الحدود الوهمية التي رسموها لكم منذ الفي سنة ونيف!.

ان فعلتم ذلك سيصبح بناؤكم صخرة واحدة، صلدة، تتحطم عليها طموحات الآخرين وتتبدد عليها اضغاث احلامهم في الامتداد بين الازرقين، وتفرض ذاتها في معادلة التوحد الكوني المرتقب!.

غوصوا إلى ابعد من شواطيء ايديولوجياتكم الضحلة!

تعمقوا في علم المعرفة، لان من يمتلكها يمتلك السلطة، وابداؤا سباحتكم من جديد في علم اسرارها، علّكم تصلون! وستصلون حتماً، ان فعلتم!.

الطوفان وحماية نسل القتلة

من نسل لامك، القاتل الثاني في تاريخ البشرية التوراتي، ولد نوح الـذي أنجب بدوره ساماً وحاماً ويافث. وما يهمنا من أمر نوح هو انه ابن قاتل، وهـا الرب التوراتي يتدخل لينقذ أحفاد القتلة، فيمد يد العون لهم في الملمات:

...«وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الارض وولد لهـم بنـات، ان أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات. فاتخذوا لأنفسهم نســاء من كل ما اختاروا. فقال الرب لا يدين روحي في الانسان الى الابـد لزيغانـه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة. وبعد ذلـك أيضـاً إذ دخـل بنـو الله على بنات الناس وولدن لهم اولاداً. هؤلاء هـم الجبـابرة الذيـن منـذ الدهر ذوو إسم».

«ورأى الله أن شر الانسان قد كثر على الارض. وان كـل تصـور أفكار قلبه إنما هو شرير كـل يـوم. فحـزن الـرب أنـه عمـل الانسـان في الارض وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الارض الانسان الـذي خلقته... وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب...» تكوين ٦: (١–٨)

واعلم الله نوحاً بأنه سيهلك الارض بالطوفان وعلمـه صناعـة فلـك يخلصه مع أولاده ونسائهم مع من يريد أن يستبقيه استمراراً للحياة، أزواجاً من جميع البهائم والطيور... حتى أن قياسات الفلك حددهـا لـه مع جميع

المواصفات الأخرى اللازمة. وهكذا كان... فحدث الطوفان الذي دام من ٦٠٠/٢/١٧من حياة نوح وحتى ٦٠١/٢/٢٧من حياة نوح... ولا نسأل كيف ان فلكاً كهذا يستطيع حصر جميع أزواج الحيوانات بكل انواعها، كما لا نسأل نوحاً من أين كان يطعمها طيلة هذه المدة؟ ولكننا نسأل من هم أبناء الله الذين تزوجوا بنات الناس؟

هل كانوا يعيشون على الأرض ويختلطون بسكانها؟

هل كانوا مثل أبناء البشر لحماً ودماً وعادات وتقاليد؟ من أين لهم المعرفة حتى يختاروا؟ هل أكلوا هم ايضاً، كما فعل آدم وحواء من قبل، من شجرة المعرفة؟ ولماذا لم يطردهم الله أيضاً من الجنة؟

او ان تلك الشجرة كانت مخصصة للالهة وابنائهم فقط وما آدم وحواء إلا معتدين سارقين؟ وذلك كما يحدث داخل قفران النحل إذ إن غذاء أولاد العائلة الملكية من العسل هو غيره المعد لليرقات العاملات؟

هل أجساد أبناء الله مادية حتى يتزوجوا كالبشر فينجبوا مثلهم؟ وكيف نناسب ذلك مع قول يسوع: «**هناك يكونون كملائكة الله لا يزوّجون ولا يتزوّجون**»؟

ثم لماذا عاقب الرب أبناء البشر لزيغانهم فحدد لهم العمر بمئة وعشرين سنة عقاباً لهم على ذلك؟

ألم يشترك أبناء الله مع بنات الناس في الزنى والاشتهاء فكان العمالقة ثمار الزواج الآلهي الأرضي؟

لماذا لم يعاقب الله ابناءه على ذلك فيحدد أعمارهم؟ ألا يعني هذا أن زنى الرجل في نظر التوراة هو فحولة ورجولة، وزنى المرأة عهر وسقط؟

والرجال من الناس هل تزوجوا من بنات الله؟

وماذا كانت نتيجة التهجين هذه؟

ألم يكن عند الله بنات؟

مل دام عنده الابناء فعنده البنات أيضاً فلماذا لم يأت كاتب التوراة على سيرتهن؟

ثم كيف يأسف الله ويحزن؟

أمن المعقول ان الله الكامل يعرف الأسف على عمل أتاه؟

أيخطىء الله حتى يأسف على خلقه الانسان؟

ألم يكن الله يعلم بأن الانسان سيخلق بدوره الشر؟

وأن تصور افكار قلبه إنما هو شرير كل يوم؟

وما دور الله إن لم يخطىء الانسان؟

إن عظمة الله هي في كماله. هي مقدرته على معرفة الماضي والحاضر والمستقبل. فعند الله لا ماضي ولا حاضر ولا مستقبل. هو الزمان والمكان في آن واحد. هو القدرة الكاملة، الدائمة.

عظمة الله هي في خلقه لأنسان يخطىء كل لحظة، ففي مقابل هذا الانسان الضعيف، الناقص، الخطوء، اله خالق كامل، سموح. ومتى حُدّ كان معروفاً فتنتهي بذلك ألوهيته ولا يكون عندها مستحقاً للعبادة.

وأما ان يكون الله غضوباً، يائساً، نادماً، معاقباً، ضيق الصدر، فهي من صفات الضعف الانساني التي أُطلقت على صفات الله وذلك بسبب خلق الانسان التوراتي للاله الذي ينعكس على نفسه والذي يحتضن في أعماقه الصفات البشرية من كراهية، وضعف، وحقد، وندم، ويأس، وجهل وانتقام، وروح سادية.

صفات الكائن التوراتي العنصري تتنافى مع صفات الله الأحد الكامل. فالطوفان في إرادة الرب التوراتي انما هو تعبير عن حقد سادي لتدمير البشرية، ومن ناحية أخرى إظهار لعنصرية متحيزة نحو فئة من القتلة وابنائهم. فهذا الرب حمى نوحاً لأنه وجد نعمة في عينيه!...اية نعمة؟.!...

ولماذا هذه النعمة فيه دون غيره؟

هذا التمييز بين إنسان وإنسان إنما هو انعكاس لعنصرية الإنسان التوراتي الذي شاء أن يجعل ربه صورة حقيقية عنه، يفجر حقده على سواه في إنتقام لا تتخيله مخيلة حاقد ولا تتصوره أفكار القاتل العادي!...

ونوح هذا أليس حفيد أوائل القتلة؟

ألا تكفي هذه النعمة ليكون محظياً عند الله؟

ذبيحة الشكر

«وبنى نوح مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح. فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه لا أعود العن الارض أيضاً من أجل الإنسان، لأن تصور قلب الانسان شرير منذ حداثته، ولا أعود أميت كل حي كما فعلت.» تكوين ٦: (٢٠-٢٢)

بالعودة الى ذاكرة التاريخ الوثني، صورة الآله مولوخ «ملكارت» الرابض بهدوء فوق مذبح تأججت نيرانه، ورائحة الشواء البشري تعبق في الجو، وأصوات الكهنة المرنّمين تصدح عالية وتمتزج مع اصوات الطبول والصنوج لتخفي أنين المشويين وصراخ أهلهم، تعود هذه الصورة مجدداً مع مذبح نوح ولكن بصورة تغيرت بعض ملامحها:: فهنا، على ما يبدو، لا طبول ولا ترانيم ولا جوقة، والذبيحة هي بعض البهائم الطاهرة وبعض الطيور الطاهرة التي لا تفقه للألم معنى ولا من يشفق عليها فيبكيها.

إذا كان الانسان بأكله من ثمرة شجرة المعرفة المحرمة قد أخطأ وطرده الله لهذا الذنب الكبير، فما ذنب هذه الحيوانات والطيور الطاهرة لتشوى فداء عن الانسان؟

ثم ما ذنبها لتكون طاهرة وغير طاهرة؟

من هو الذي صنفها هكذا؟ ألم يباركها جميعهــا بنفـس الدرجـة يـوم خلقها؟!...

وما هي القاعدة لهذا التصنيف؟

ثم أيحرقُ الطاهر ويقدم مشوياً فتعبق رائحته بالجو ويترك غير الطـاهر حراً طليقاً يعيث في الارض فساداً؟ ألم يسمح الله لنــوح بإدخـال زوج مـن كل منها الى الفلك لاستبقاء نسلها على وجه الأرض؟ تكويـن ٧: (٢-٧) بمعنى أنه هو الذي سمح لغـير الطـاهر بالتكـاثر حفاظـاً علـى نسـله وبالتـالي استبقاء نجاسته وعدم طهارته؟

أليس هذا منافياً لعملية الثواب والعقاب ومطابقــاً للنظريـة القائلـة أن الرب التوراتي يحمي القتلة وغــير الطـاهرين كمـا فعـل مـن قبـل مـع قـايين ولامك من بعده؟

«ويتنسم الرب رائحة الرضى»

الرب التوراتي يحب الشواء ورائحته تعبق في أنفه فتثير قابليته فـيرضى عن نوح ويندم على فعلته ويعترف بذنبه ويقر بحقيقة تجاهلهــا مـن قبـل مـع آدم يوم أكل من ثمر شجرة المعرفة!... اليوم بعد وليمة نوح تغير ذلك الرب وتوضحت له الحقيقة: إن الانسان شرير منذ حداثته!...

ألم يكن قلب الانسان شريراً من قبل؟

الإنسـان لم يتغير فهـو هـو منـذ حداثتـه، فهـل تغير الله أو تغـيرت مفاهيمه؟

هكذا تريده التوراة: كائناً متردداً، غضوباً، أهوج، أحمق، يعاقب فيندم، يصدر الاحكام بغضبية ويعود فيهدأ ليعرف إن أحكامه خاطئة فيغير قراراتها!...

ما ذنب الكائنات التي أغرقها في طوفانه ثم ندم على فعلته بعد نفاقها؟

ما ذنبها، إن كان قصده معاقبة الإنسان، أن يعاقبها بجريرة غيرها؟

وها هو يتلو فعل الندامة: **«وقال الرب في قلبه، لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الانسان، لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ولا أعود أميت كل حي كما فعلت...»** تكوين ٦: ٢١

قال الرب في قلبه!...

من سمع قوله هذا الذي كررته التوراة عدة مرات، ما دام مناجاة ذاتية، وهمساً فكرياً ليس إلاّ؟

المهم أن وعد العفو هذا لم يدم إلا بقدر دوام دخان الشواء على المذبح. وها الجرائم تعود وتتوالى، وها الاحياء الذين وعدهم بالديمومة، يموتون بالآلاف والملايين بفعل الزلازل والبراكين والأعاصير، علاوة على أموات الحروب منذ فجر التاريخ، والتي أحدثها الانسان دفاعاً عن ذلك الرب وبأسمه واكتساباً لرضاه وبركاته!...

جميع جيوش العالم تحاربت باسمه!...

ولاسمه تبتهل!...

وإليه تتضرع لتنتصر!.

وهـو، هـو، لم يتغير، يتعـامل معهـا، جميعهـا، بنفـس الدرجـة مـــن اللامبالاة السادية، وبنفس القدر وكأن شيئاً لا يعنيه! فحصّاد الأنفس الحيـة منذ فجر التاريخ لم يثلم منجله ولم يكلّ ساعده وكأنه قد نسي وعده لنوح أنه لن يعود ويميت كل حيّ!...

وتتابع التوراة سردها فتقول:

«كان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافت. وحام هو ابو كنعان. وهؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء تشعبت الارض. وابتداء نوح يكون فلاحا وغرس كرماً. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. فأبصر حام ابو كنعان عورة ابيه وأخبر أخويه خارجاً. فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عـورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نـوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغـير. فقـال ملعـون كنعـان. عبـد العبيـد يكون لإخوته، وقال مبارك الرب إله سام... ليكن كنعان عبـداً لهـم»...
تكوين الاصحاح ٩: ١٨-٢٧.

والد يسكر ويتعرّى داخل خبائه! هل في الأمر ما يثير الدهشة؟ أليس له الحق في أن يسكر على طريقته؟

أليس له الحق في التهتك على الصورة التي يرتضيها؟

هذا الأمـر الـذي لم تألفـه الحضـارة الحديثـة في تـاريخ شـعوبها، و لم يستطع المـاجنون فعلـه أثنـاء سـكرهم، لا علانيـة في المواخـير ولا تسـتراً في

أخبيتهم، تراه مألوفاً، وعادياً عند الشعب اليهودي ومنذ بداية تسجيله مآثره الحضارية!...

أما ما هو غير مألوف ومستهجن عندهم فهو رؤية أحد الأولاد لوالدهم على هذه الحال ودهشته للأمر، مما جعله ينادي أخويه. ويا لفعلته الشنعاء!. فهو بالمصادفة قد رأى والده على ما هو عليه!. ولو كان أخواه هما الداخلين أولاً، لرأيا الوالد متعرياً يستمتع في سكره، فكيف كانا سيتصرفان؟ وهل كان سيلعنهما نوح ويجعلهما عبدين لأخيهما حاما الذي كان سيتصرف على نحو ما فعل أخواه في حال مناداتهما اياه؟!.

ان تفاجؤ حاما بوالده عرياناً أذهله فلم يعرف ماذا يفعل ولا كيف يستر عورة أبيه، فأين يكمن ذنبه في هذا؟.

إن كاتب التوراة تعمّد أن يحمّل حاما ذنب رؤية والده عرياناً لأنه يهدف إلى تبرير الحقد اليهودي العنصري على الكنعانيين فهو يحرّم حاما ويدينه ويلعنه في نسله الذي لم يكن قد ولد بعد حين حصول الحادثة مع نوح لأن حاما حين رؤيته والده لم يكن قد أنجب كنعانا صغير أولاده. فالتوراة تذكر في سفر التكوين الاصحاح العاشر، الجملة السادسة، بأنه أنجب كوشاً ثم مصرايم ثم فوطا وأخيراً كنعان.

فبالله كيف يكون كنعان أكبر أولاده؟

لماذا لم تلعن التوراة كوشا؟ فهل نسي كاتبها شأن البكورية في اسرائيل؟

أم انه قد أخطأ فيها؟

أم أنه قد وضع التوراة في زمن لاحق فسها عن باله السياق الزمني للاحداث؟

ان كاتب التوراة قد وقع في مكيدة فكره، ولو تنبّه لهذا الخطأ، لجعل كنعان بكر حام، فأوقع اللعنة في البكر دون غيره، لأن للبكر في المجتمع اليهودي الشأن الأهم والموقع الأعزّ والأغلى في قلب الوالد.

ثم لماذا لم تلعن التوراة حاما نفسه دون نسله؟

فهل تحمل الذرّية وزر لعنة الأهل؟ فإن كان كذلك فكيف برّئ اليهود من دم الصلب وهم القائلون: دمه علينا وعلى أولادنا؟

كان الأجدر بكاتب التوراة أن يلعن الوالد الفاسق، الماجن بدل لعنه ولده!

أيأكل الآباء الحصرم فيضرس الأولاد؟

أهذه هي عدالة التوراة؟

ثم كيف يقبل إله نوح دعاء هذا العجوز الخرف الماجن لو كان إلهاً كونياً؟

إن كتبة التوراة، يهدفون من خلال خلقهم لإلهم إلى عنصرة كل كلمة فيها وإلى تسييس كل فكرة وذلك تحقيقاً لمآربهم في الأرض الكنعانية دون سواها. ان حصرهم اللعنة في كنعان وأولاده كان مقصوداً لتسويغ حلمهم في الأرض، ذلك لأن من نسل كنعان كان السكان الأصليون لأرض فلسطين في سوريا وهم: صيدون بكره، وحثا ومنه اليبوسي

والاموري والجرجاشيّ، والحوّي والعرقي والسيني والاروادي والصحاري والحماتي. تكوين ١٠: ١٥-١٧.

ان كتبة التوراة وجامعي اسهها هم الذين خططوا فيها إقامة دولتهم على الأرض الكنعانية التي كانت تتألف حينها من مدن مسالمة، تكره العنف وتعيش من خيرات الأرض باكتفاء يمنعها من التعدي على غيرها، لذلك لم تكن مدناً محصنة كغيرها و لم تعتد الحياة العسكرية و لم تألفها في تاريخ حضارتها الانساني. فكان من الطبيعي للشعب اليهودي المتشرد أن يفتش له عن مكان يستملكه ويفخر باستحواذه فينسى به تاريخ تشرده وانتقاله من مكان لآخر طلباً للكلاء والماء لذلك وجد في الأرض الكنعانية المكان الملائم لتحقيق طموحاته. فمن الناحية العسكرية هي مدن مسالمة يسهل أخذها، ومن الناحية الجغرافية هي بلاد شاسعة وفيرة الخيرات، تنسيه فقر الماضي وذل التشرد. على هذا الحلم، اجتمع حكماء اليهود الاثنان والسبعون في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الأول اللذان سبقا التاريخ الميلادي في عهد بطليموس. وبعد تداولهم لمدة اثنين وسبعين يوماً متوالياً ودون انقطاع خرجوا بالتوراة السبعينية توافقاً مع عددهم وعدد الأيام التي أمضوها في تنسيق أفكارها وضبط وقائعها وإدخال ما يلزم عليها من تعديلات لتحقيق الحلم الكبير.

في قصة تعري نوح لا نسأل عن كيفية دخول يافت وسام عليه وهما يمشيان القهقرى، ولا نسأل عن كيفية إهتدائهما إلى موقعه في الخباء

وإعطائه الرداء ليسترا عورته ولكن السؤال عن لعنةٍ على شعب لم يكن قد ولد بعد؟

هل هذا تنبؤ أو استنباء؟ أو تخطيط مسبق لطرد الشعب الكنعاني من أرضه أو استعباده فيها بحجة ان الإله اليهودي قد أمر بها، وهيّأ عبوديته قبل أن يولد!.؟.

بالله عليكم يا رجال الكنيسة: كهنة وقساوسة، وإكليريكيين!

بالله عليكم أيها المسيحيون المثقفون في كل شيعكم ونحلكم، بكل درجاتكم ومن مختلف مواقعكم! بالله عليكم يا كل محبي الحقيقة، من مختلف شعوب العالم بكل أديانه وأفكاره أن تعيدوا قراءة التوراة!... ادرسوها بوعي، وتبصّروا فيها ثم احكموا علينا، علّنا من الضالين ومن الذين لم يفهموا ما قرأوا، واهدونا السبيل فيكون لكم الأجر العظيم أو أعلنوا الحقيقة وقولوا الحق فيحرركم ونكون قد أوفيناه!.



ابرهيم ! من هو ! وإلى أين ؟

«وأخذ تارح ابرام ابنه ولوطا (ابن ابنه هاران المتوفي على حياة والده تارح) **وساراي** (أي كنته امرأة ابرام ابنه) **فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى حران وأقاموا هناك»** تكوين ٢١-٣٢

هكذا تروي التوراة قصة انتقال تارح والد ابرهيم من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان ولا تخبرنا لماذا أبقى ابنه الآخر ناحور وزوجته ملكة ابنة ابنه هاران وأخت لوط في أرض الكلدانيين فكل ما نعرفه من خلال التوراة ان تارح والد ابرهيم توفي عن مئتين وخمس سنين، متحدياً، كما فعل غيره من امثال نوح وابرهيم ويعقوب، وعد الرب بجعل عمر الانسان مئة وعشرين سنة، حينها جاء الرب ابرام قائلاً:

«وقال الرب لابرام إذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك. وتكون بركة. وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» تكوين ١٢:(١-٣)

«فأخذ ابرام ساراي إمرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهما... وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان... فاجتاز ابرام في الأرض إلى مكان

شكيم، إلى بلوطة مورة. وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض. فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له.» تكوين ١٢:(٥-٧)

«ثم ارتحل ابرام متوالياً نحو الجنوب» تكوين ١٢: ٧

«وبعد ذلك حدث جوع في الأرض فانحدر ابرام إلى مصر ليتغرّب هناك» تكوين ١٢: ١٠

الارض المصرية، أرض خير وعطاء، تمناها أبرام أن تكون موطئ قدمه نحو الارض الموعودة وهي لم تزل منذ فجر التاريخ، حتى اليوم، النافذة التي يطل منها السلم اليهودي على العرب، والاصبع المحراك الذي يؤثر في كل قضاياهم.

وكانت ساراي امرأته على جمال أخّاذ ومغر يشتهيها كل من رآها، فخاف أبرام على نفسه لأجل جمالها فقال لها: **«لا تقولي انك زوجتي بل أختي لئلا يصيبني شر بسببك.**

«... وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي إمرأته إنك إمرأة حسنة المظهر فإذا رآك المصريون يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي انك أختي ليكون لي خير بسببك... ورآها رؤساء الفرعون ومدحوها لدى الفرعون. فأُخِذَت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى أبرام خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال. وضرب الرب فرعون ضربات عظيمة بسبب ساراي إمرأة أبرام فدعا فرعون أبرام وقال له ما هذا الذي صنعت بي لماذا لم تخبرني انها إمرأتك؟ لماذا قلت لي هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي. والآن هوذا

إمرأتك خذها واذهب. فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيّعوه وامرأته وكل ما كان له» تكوين ١٢:(١٠-٢٠)

هكذا، وكأن شيئاً لم يكن، ترك أبرام مصر مع ابن أخيه لوط مصطحباً معه زوجته المصون ساراي مع كل الخيرات والنعم التي حصل عليها لقاء بيعه لها. واتجهت القافلة المقدسة نحو الجنوب إلى بيت إيل حيث حدثت مخاصمة بين رعاة أبرام ورعاة لوط على الماء والمرعى. فالإقامة بأرض مصر كانت سبباً للخير له وللركب الذي يصطحبه، إذ كثرت مواشي الجميع حتى ضاقت بهم الأرض وقلّت عليهم المياه! فاقتسم أبرام مع ابن أخيه الاتجاه واختار أبرام الأرض الكنعانية **«فذهب وسكن في أرض كنعان»** وين ١٣-١٢

بعد افتراقه عن لوط ظهر الرب له قائلاً: **«لأن جميع الأرض التي ترى شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد»**

«نقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون وبنى هناك مذبحاً للرب» تكوين ١٣-١٨

وأقبل الخير على أبرام في أرض كنعان فكثر رجاله وماله وماشيته وكيف لا تكثر خيراته وقد أرضى إلهه بدفع زوجته إلى أحضان الفرعون، مختطاً بذلك طريقة جديدة في الشر لمرضاة ذلك الإله!؟. في هذه الأثناء هاجم كدر لعومر ملك سومر لوطاً فسباه مع نسائه ومواشيه. **«فأتى من نجا وأخبر أبرام العبراني»** تكوين ١٤:١٣

«فلما سمع أبرام ان أخاه سبي، جرّ غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلاثمئة وثمانية عشر (٣١٨) وتبعهم إلى دان. وانقسم عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم وتبعهم إلى حوبة التي عن شمال دمشق. واسترجع كل الأملاك واسترجع لوطا أخاه وأملاكه والنساء أيضاً والشعب» تكوين ١٤:(١٤-١٧)

في رواية التوراة لسيرة حياة أبرام يخلط الكاتب في تبعية لوط فأحياناً يسميه أخاه، وأحياناً ابن أخيه. والحقيقة هي أن لوطا هو ابن هاران بن تارح فيكون أبرام ابن عم للوط. ومن الملاحظ ان أبرام سمي في تكوين ١٤: ١٣ بالعبراني. وهذه التسمية خاطئة لأن نسب الرجل إلى الفعل عبر، لم يحدث، إذ لم يعبر أبرام أيّة مياه. وكلمة عبراني لم تطلق على الشعب اليهودي إلا بعد عبور بحر سوف الفاصل بين سيناء ومصر، وأفضل لقب ينسب إلى أبرام هو أبرام البدوي. لكنّ مفلسفي التوراة يقولون بأنه عبراني لكونه عابراً كثير الأسفار والتنقل وليس لأنه عبر أحد الأنهار أو البحار. لهم أن يؤولوا ما يشاؤون خدمة للأهداف القومية التي كانت التوراة إحدى أسسها. فأبرام هو بدوي كلداني، لا يمتلك الحضارة وكان شأنه شأن أمثاله من البدو، يسعون وراء الماء والعشب ويتنقلون من مكان إلى مكان دون شعور بالتعلق أو حنين للمكان، لأنه لا يوجد شيء من العمران الحضاري يربطهم بالأرض، وكانوا أثناء تنقّلهم ومخالطتهم لغيرهم من الشعوب، يأخذون من حضارتهم ما تستسيغه عقولهم وما يوافق غاية وجودهم.

لأجل هذا كان أبـرام يتجه باتجـاه الخير. ولما وصـل إلى الأرض الكنعانيـة وجدها أرض خير وعطـاء فتمنـى في نفسـه، ديمومـة الإقامـة فيهـا، فشـرّع لنفسه أمر إحتلالها والسكن فيها بحجة أن الرب هو الـذي أوصـى لـه بهـا، وأعطاه صك ملكيتها، وشرّع له مزاحمة سكّانها وبالتالي طردهم منها فيمـا بعد.

وحريّ بأمثال هؤلاء الرعـاة الرحـل ألاّ تكـون لهـم حضـارة بـالمعنى الصحيح: فكل ما يهمهم من العمران هو إقامة خيمة تقيهـم حـر الشـمس، ولوافح الريح وقر البرد. وفكرة بنـاء المذابـح ليسـت إلا كنايـة عـن إلتقـاط ورفع الحجارة بشكل بدائي، وإلى حدّ معيّن لتبدو مرتفعة عمّا حولهـا، دون أن يكون لها شكل هندسي معقد. لذلك لا نستطيع القول ان بناء مثل هـذه المذابح يدل على تقدم الناحية البنائية الحضارية عند البدو، إذا ما قورن هـذا الأمر بالفن المعمـاري الراقـي عنـد المصريـين والبـابليين الذيـن سـبقوا أبـرام وشعبه، فأقاموا الاهرامات وخططوا للزمن الآتي بشكل أعجـز الحضـارات اللاحقة عن التقليد!.

كل هم هؤلاء الرعاة محصور في عشب وفـير ومـاء دافـق. وتعلّقهـم بالرب، ليس إلاّ من باب الحفـاظ علـى الخيرات أو طلـب الاسـتزادة منهـا لضرورات البقاء. وأبرام، كغيره من الوثنيين، يرتبط إيمانـه بالآلهـة مـن بـاب المصلحة ليس إلاّ. فهو، كغيره من الرعـاة، لا يفهـم الله إلا مـن خـلال مـا يحتاجه من الخيرات ومن المسـاحة أو مـن خـلال الاسـتجارة والاحتمـاء بـه

خوفاً من الاعداء. وصورة الايمان الوثني هـذه تتجلى بوضوح من خلال تصوّر ابرام الله. ولا ننسى ان ابرهيم كان يمتهن صناعة التماثيل في محترف أبيه يبيعها ويعتاش منها وكانت صناعة رائجة يحتكرها وذووه إلى جانب تربية المواشي.

إن الله عند الانسان الوثني يمثل له درعاً واقياً من الخوف، أكان هذا الخوف ناتجاً عن عوامل طبيعية أم الخوف الناتج عن تعدي الانسان على الانسان. فما لا يستطيع الانسان تحقيقه لذاته وبقواه الذاتية، فانه يلجأ إلى قوة أعلى منه يستجيرها ويطلب معونتها: معونة أفراد عائلته وأقربائه وأبناء عشيرته وعبيده وحلفائه وأبناء قومه أولاً وإن لم تكف هذه القوى فانه يلجأ إلى القوة الخفية التي لا تقهر، فيتوسل إليها لتعينه ولتساعده على دحر الأعداء. وهذه القوة يعتبرها دائمة الفعالية، وعند الطلب، ويحصر وجودها بوجوده دون الغير، ويتمنى حصر فعاليتها به دون غيره من الشعوب.

ومن ناحية أخرى، إن كثرت مصائبه وشحّت خيراته أو زيادة في نوالها، فإنه يلجأ إلى تلك القوة الخفية، يسترضيها ويستميلها لخدمته لقاء نذر يقدمه أو عهدٍ وهمي يقطعه معها أو ذبيحة على مذبح يضحّي بها بعد حصوله على ما يبتغي. والانسان ماهر في المساومة فهو يعطي جزءاً مما أخذه ولا يعطي مما له إلا بغية الحصول على جزء مضاعف كحد أدنى.

ويلاحظ ان المذابح التي كان يقيمها أبرام ومن بعده كانت تقام بعد الحصول على المبتغى وليست قبله وكانت معروفة عند جميع سكان المنطقة.

تحت هذين الشعارين: الحصول على المبتغى، ودفع الخطر، كان الإيمان بالآلهة، مهما تعددت مصادرها وكيفما كانت فعاليتها، وكيفما كانت سبل الوصول إلى رضاها.

ومن الأسهل للانسان، خلال التفتيش للوصول إلى هذين الهدفين، أن تكون هذه القوى في إله واحد، له شمولية الفعالية وديمومتها، فيسهل الاتصال به والطلب منه ومن ثم استرضاؤه.

وخلال وجود أبرام في الارض الكلدانية وكانت حضارتها في زمن ملكها البابلي حمورابي (١٧٩٣-١٧٥٠ق.م.) في أوجها، وأثناء تجوله في مصر، مهد الحضارة الفرعونية وقتئذ، تعلم ابرام الايمان بالإله الواحد وحصر القوى بذات واحدة. والمصريون في ذلك الوقت كانوا رواد الايمان التوحيدي، إلى جانب التعاليم المديانية الكنعانية التي كانت تدعو إلى الإيمان اله واحد، تنحصر فيه كل القوى وإليه وحده يجب التوجّه.

فأخذ ابرام فكرة واضحة وشاملة عن التوحيد فراقت له، وآمن وغالى بإيمانه حتى جعل ذلك الإله خاصاً به وحاول فرض الإيمان بذلك الإله على من يجاوره من الشعوب، كي تكون أحكامه شاملة ومقدسة، فلا يعترض عليها أحد، فيضمن أبرام بذلك احتلال الأرض بتشريع من ذلك الإله الذي كان يسخّره لتحقيق مآربه ساعة يشاء.

فناحور، اخو ابرام، بقي على وثنيته وعلى ايمانه في تعددية الآلهة الى زمن بعيد. فلو كان التوحيد معروفاً في بيت تارح لكان ابرام واخوه ناحور

على ذلك الايمان. وها راحيل ابنة لابان بن نـاحور وزوجـة يعقـوب حفيـد ابرام تسرق تمـاثيل والدهـا وتخفيهـا تحـت حـدج جملهـا لـدى هروبهـا مـع زوجها من ظلم والدها لابان.

لماذا سرقت راحيل تماثيل وترافيم والدها لابان بن ناحور؟

ليـس لأنهـا ألعـاب أطفـال تسـرقها، وليـس لأنهـا، بسـرقتها لهـذه التمـاثيل، أرادت أن تهـدي والدهـا لابـان إلى عبـادة الله الواحـد الـذي لم تعرف شيئاً عنه و لم تتعلم عنه من أحد، وهي لم تغادر مضـارب والدهـا إلاّ وراء سقاية الماشية أو حلبها أو صرّها!...

سـرقتها لأنهـا علـى إيمـان أهلهـا، وهـا هـي في تغرّبهـا العتيـد تريـد الاستمرار بالتوجه إليها في العبـادة علـى الأرض الكنعانيـة وبـالطبع بموافقـة زوجهـا يعقـوب أبـي الاسـباط وحفيـد أبـرام، ومـن الجـائز المنطقـي أيضـاً مشاركته لها في ذلك.

زوجة يعقوب بن اسـحق بـن ابرهيـم تسـرق تمـاثيل والدهـا لابـان، وخـال زوجهــا في نفـس الوقــت!... أيـن التربيـة والتعليـم والإرشـاد والتوجيه؟... فلو كان أبرام موحّداً، لكان أحفاده على ذلك، فبعـد جيلـين بقي ناحور وثنياً لأنه بقي في أرضه و لم يبرحها، يمارس التعبّد للآلهـة الوثنيـة مع أولاده وأبناء عشيرته، ولابان أحدهم. في حـين ان شـقيقه أبـرام بسـبب كثرة تنقّله من أرض الكلدانيين إلى مصر مروراً بالأرض الكنعانية والعكـس بالعكس، تعلّم مفـاهيم جديـدة وتفتـح عقلـه علـى حضـارات لم يألفهـا في

موطنه الأول بلاد أور، وراقت له فكرة الإيمان بالله الواحد يسخّره لتحقيق مآربه!...

إن حياة البداوة تحتاج للعدد البشري. فبقدر ما عندك من قوة فإنك تشعر بالاطمئنان. والقوة العددية البشرية في حياة البداوة عامل مهمّ. هي سياج للرفاهية وللاستمرار، ورمح هجومي فعّال، «أباركك، وأكثر نسلك كرمل البحر» ويعرف أبرام ذلك فأنشأ له أوّل ميليشيا مدرّبة ومنظّمة في تاريخ الميليشيات، استعمل منها ثلاثمئة وثمانية عشر عنصراً هاجم بهم كدر لعومر ملك سومر في دان وتبعه إلى حوبة دمشق، مسترجعاً لوطاً ونساءه وخيراته التي سباها الملك السومري. وخرج ملك سادوم لاستقبال أبرام المنتصر. هكذا الناس لم تتغيّر منذ التاريخ، تستقبل المنتصر دائماً. وكان بين هؤلاء ملكي صادق ملك شاليم. الذي كان في نفس الوقت كاهناً فأخرج خبزاً وخمراً وباركه باسم الله العليّ تكوين ١٤:(١٧-٢٠). **الذي يذكره الكهنة في طقوسهم عند تقديمهم الخبز والخمر كقربان مقدس والذي جعله كتاب الاناجيل أرفع قيمة من يسوع المسيح بقولهم ان يسوع كان على رتبته، ليس لأنه كذلك، وليس لان يسوع كان ينتمي فكرياً وروحياً إلى مدرسته، بل لانه اول ملك سارع للاعتراف بمجد وسلطة اسرائيل، فجعلوه المشبه به تشجيعاً لغيره من الملوك والعظماء لأن يحذوا حذوه ويتشبهوا باعترافه وخضوعه لاسرائيل.**

وصورة هذا الكاهن، الملك، تتكرر في حياة الشعوب، وهي نموذج باقٍ باستمرار لصورة الملك أو الحاكم الضعيف، الزحفطوني* الذي تهمّه الحياة أكثر من عزّة الكرامة فيها!

ملكي صادق ملك شاليم وكاهنها، كان موحّداً يؤمن بالله العليّ، والناس على دين ملوكهم أو أن الملوك على دين شعوبهم، سيّان الأمر، ما دامت الحقيقة مقصودة. فالكاهن لا يكون لذاته وإنما يكهن لمجموعة بشرية تشترك معه في الإيمان، يوجّهها ويرشدها. أي ان الإيمان بالله كان موجوداً في ذلك الوقت ومنتشراً بين الناس وإلا فكيف نفسّر إن ملك شاليم وكاهنها في نفس الوقت كان كاهناً لله العليّ العظيم وبارك أبرام باسم إلهه الواحد. فهل من المعقول أن يكون ملكي صادق كاهناً بلا رعية؟

من هنا يأتي الإثبات بأن إيمان أبرام التوحيدي كان محدثاً تعلّمه أثناء تجوّله في مصر وكنعان وها هو يثبته بمباركة ملكي صادق له باسم الله العلي، وبالتالي فان أبرام لم يكن أول المؤمنين وبالتالي ليس أباً لهم.

والاثبات المؤكد أن شاليم هي مدينة كنعانية، يبوسية، مُوحّدة، قبل دخول العبرانيين إليها، وقبل أن يحوّلوا اسمها إلى اورشليم ويدّعوا قدسية ملكيتها فيما بعد، هذه الملكية التي استضاؤوا فكرتها لدى رؤيتهم خضوع ملكها وشعبه لهم وتقديمهم هدايا الخضوع. **والاستعباد عكس الحرية. هي تؤخذ بالقوة وهو يُقدم بالذلّ، هي يفرضها الأبطال أما هو فيقدمه الخونة لأسيادهم.**

---

* زحفطوني: أي الذي يزحف على بطنه.

ولدى عودته منتصراً على كدر لعومر ملك سومر واستقبال أهل شاليم وأهل سدوم مع ملوكهم له، أحسّ أبرام بنشوة النصر وشعر بالقوة فبدأ يفكّر بامتلاك الأرض. فالقوة الآن معه ولا يلزمه لتحقيق مأربه إلاّ الفتوى الإلهية؛ فسخّر الرب لذلك: «**في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات**» تكوين ١٥:١٨

ولكي يثبت الإله التوراتي وعده لابرام ولكي يذكّره به فلا ينساه ولا تضعف ثقته به غيّر اسم أبرام إلى ابرهيم واسم زوجته ساراي إلى اسم سارة وفرض عليه الختان في كل ذريته.

«**أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد ابرام بل سيكون اسمك ابرهيم... وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً. لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك وكل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم.**» تكوين ١٧:(٤-٨)

ولا يكتفي هذا الإله بفرض نفسه إلهاً على أبرام وآله من بعده بإثباته الشروط على نفسه في هذا العهد بل أملى بالمقابل شروطه على ابرهيم:

«**وقال الله لابرهيم. وأما أنت فتحفظ عهدي. أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك**

من بعدك: يختتن منكم كل ذكر. فتختنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم.» تكوين ١٧:(٩-١٢).

وكما كافأ قبله القتلة وحماهم، هكذا كافأ الإله التوراتي ابرهيم الذي كقواد باع عرضه إلى الفرعون، اذ رفعه إليه في معادلة القسم والعهد هذا و جعله نداً معادلاً له، يقيم معه المواثيق وعهود الشرف والمعاهدات السياسية والعقائدية!

من حينه، من ذلك الزمان، بدأ الختان ينفّذ إثباتاً للوعد الذي قطعه يهوه لابرهيم بإعطائه دولة تمتد من النيل إلى الفرات وأثبت وعد الختان هذا، في أديان عديدة ولا يزال يروّج له في المسيحية بأشكال أو بأخرى.



اسحاق واسماعيل

«... أما ساراي إمرأة أبرام فلم تلد له. وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراي لابرام هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة، ادخل على جاريتي لعلّي أرزق منها بنين... فسمع أبرام فدخل على هاجر فحبلت. فلما رأت انها حبلت، صغرت مولاتها في عينها. فقالت ساراي لابرام: ظلمي عليك... يقضي الرب بيني وبينك»

«... فقال لها أبرام هوذا جاريتك في يدك، إفعلي بها ما يحسن في عينيك. فأذلّتها ساراي فهربت من وجهها... وعند بئر على طريق شور وضعت هاجر إبناً لابرام وكان حينها ابن ستّ وثمانين سنة».

وظهر الملاك لهاجر فطيّب خاطرها، وبناء عليه عادت إلى مولاتها تحمل وليدها فسمّاه ابرام: اسمعيل تكوين ١٦.

وإرضاء لتضرّعات ساراي ورفعاً لمذلّتها ومكافأة لها على ماضيها في مصر وعلى قساوة معاملتها لجاريتها هاجر، وعدها ملاك الرب بغلام، فحملت. وكان أبرام، قد بلغ التسعة والتسعين سنة حين تحقق عهد الله معه بولادة ابنه اسحق.

«... وأما اسمعيل فقد سمحت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة. ولكن عهدي أقيمه

مع اسحق الذي تلده لك ساره في هذا الوقت من السنة الآتية...» تكوين ١٧:(٢٠-٢١).

هكذا يحابي الرب التوراتي بين ولد وولد. يفضّل جنيناً على جنين. هذا الرب لم يتغيّر فهو قد حابى بين قاين وهابيل يوم قبل تقدمة هذا الأخير ورفض تقدمة الأول، وها هو يجدد ذاته بتفضيله اسحق بن ابرهيم على اسماعيل بن ابرهيم. اثنان للوعد... بأمر الله كانا، ومع ذلك فهذا الاله يفاضل بين واحد وآخر موغراً صدر الأخ على أخيه كما فعل من قبل.

ولدى فطام اسحق، انفطر قلب سارة من رؤية اسمعيل بن هاجر يمزح ويلعب فأمرت زوجها بطرده مع أمه. ونفّذ ابرهيم رغبة زوجته المصون. وتاهت هاجر وابنها الفتى في صحراء بئر سبع. ولكن الله استجاب لنداء هاجر في محنتها فأنقذها مع ابنها، إذ فتح عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة التي كان قد زوّدها بها ابرهيم وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في بريّة فاران وأخذت له أمه، زوجة من مصر. تكوين ٢١.

ولما أصبح اسحق، البكر البديل، فتياً، أراد الرب التوراتي أن يمتحن صدق نوايا حليفه ابرهيم فقال له: **«خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة»** تكوين ٢٢:(١-٢) وأطاع ابرهيم ولما همّ بذبح الولد بعد أن أعدّ المحرقة أتاه صوت الرب قائلاً: **«لا تمدّ يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً... فرفع ابرهيم عينيه ونظر وإذا**

كبش وراءه مُمْسَكاً في الغابة بقرنيه. فأخذه ابرهيم وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه اسحق» تكوين ٢٢:(١٢-١٣).

ابرهيم رجل بار يحب إلهه الحليف ويطيعه وها هو يستجيب لرغبة هذا الإله في الحصول على وحيده اسحق مشوياً على مذبح. فهل يوم تنكّر لزوجته وباعها للفرعون كان ينفّذ كلمة الإله؟! ويوم وافق على طرد خادمته الحامل بناء لرغبة مدللته سارة هل تمّت هذه الموافقة برضى من هذا الإله؟!.

ويوم فطام اسحق ألم يوافق على طرد ابنه اسمعيل وأمه وتركهما يتيهان في الصحراء غير مهتم للمصير الذي ينتظرهما؟ انسي وعد إلهه له يوم حملت زوجته سارة؟

أنسي أن اسماعيل هو مبارك أيضاً من هذا الإله؟

فكيف يقسو قلبه ويوافق على طرده مع أمه، هل كان ذلك بموافقة نفس الإله؟

كاتب التوراة لا تهمه حياة اسمعيل ولا تؤثّر فيه عذابات الأطفال وتألّم الأمهات. فقط يهمّه إظهار مناقبية ابرهيم وعفاف الست سارة وعظيم أخلاقها!

ثم ألم يكن الملوك المصريون على هذه العادة؟

ألم تكن فكرة تقديم الاضاحي البشرية موجودة عند شعوب ذلك الزمان؟

وأي فرق بين إله ابرهيم والهة تلك الشعوب؟

ان استجابة ابرهيم لنداء إلهه لم يكن نابعاً عن قناعة إيمانية توحيدية. فلا الله الواحد الأحد يريد ذبائح ولا ابرهيم سمع ذلك الوحي. وإنما صوت الوثنية عاد من جديد، يذكّر ابرهيم بماضيه، وهل نسي أبرام وثنيته وآلهته على الرغم من تبديل اسمه إلى ابرهيم؟ وهل يمحى الماضي بتغيير الاسم؟

وهل يستطيع الانسان، وبهذه البساطة، نسيان ماضيه بكل معتقداته؟

الإله الوثني تسرّه الهدايا وترضيه التقادم وتغريه الذبائح، وأبرام يعرف ذلك وقد أحسّ بعودة الرجولة إليه بعد إنجابه اسمعيل واسحق فأراد الاستزادة، وعلى الرغم من محاولته التضحية بابنه الوحيد اسحق فانه كان يرجو بذلك نوالاً أعظم: جيشاً من الأولاد يحقق حلمه العتيد.

أعطى الوحيد لينال الكثرة. فلو كان على ثقة بأن التضحية بوحيده لن تعود إليه نسلاً كاملاً لما ضحّى به. فإعطاء الهدية إنما هو تعبير عن شكر بسبب عطية سابقة وبالتالي فانها في الوقت عينه ترنو إلى أخذ الأكثر أو على أقل تعديل، المحافظة على العطية ورد الخطر عنها.

فالله هو الذي يعطي

والله هو الذي يريد

والله هو الذي يأخذ

من ضمن هذا المفهوم كان على ابرهيم أن يسترضي هذا الإله لأن بيده مقوّمات الحياة من بدئها إلى نهايتها. فجميع الأمم كانت تصلّي

وتتوسّل وتقدّم المحرقـات والذبـائح اسـترضاء للآلهـة وطلبـاً لرحمتهـا وتجنبـاً لغضبها أو الاستزادة من نعمها وخيراتها.

فالشعوب المصرية كانت تلقي بأولادها البواكير في مطلـع الربيـع إلى نهر النيل طلباً لخيراته ودفعاً لفيضانه وتجنب خطره.

كمـا كـانوا يقدمـون الأضـاحي البشـرية الحيـة لاوزريـس واوزيـس استرضاء ودفعاً لشرهما...

والكنعانيون كان لهم مولوخ

وللصيداويين كان لهم عشتروت واشمون

وللعمونيين، أحفاد بنت لوط الصغرى كان لهم ملكوم

وللمؤابيين، أحفاد بنت لوط الكبرى، كان لهم كموش

ولابرهيم وقبيلته كان لهم إله خاص بهم، يختلف عن غيره مـن الآلهـة لأنه خاص بهم جداً، لهم وحدهـم دون غـيرهم، لا ينـازعهم فيـه أحـد ولا يقبل في رعيتـه غـيرهم. هـم خاصتـه يعرفهـا وتعرفـه. مميّزون في أخلاقهـم ومناقبيتهم فلا عجب إن مـارس ابرهيـم طقسـاً وثنيـاً مميزاً أمـام يهـوه إلهـه الخاص. هكذا كانت موضة الإيمان. وانتقلت بموضـة الذبيحـة إلى المسـيحية ولكنها تحوّلت فأصبحت رمزية رحاولت أن تجعـل يسـوع الضحيـة الفـداء عن جميع البشر...

هل يحتاج الله إلى إضاحٍ ليرضى؟

هل يغضب الله؟

أليس الله محبة فيّاضة بحدّ ذاته؟ أليست نعمة الخلق هي من فيض تلك المحبة؟

يوم أختار يسوع نفسه ليكون ذبيحة الفداء الأخير عن كل البشرية ألم يرد بذلك أن ينهي الايمان الوثني فتختفي الذبيحة وتزول من الوجود؟

أليست فكرة الفداء بالذبيحة إرضاء للإله واستعطافاً لخاطره فكرة وثنية امتدت إلى اليهودية وتمارس رمزياً في المسيحية؟ وفكرة التضحية بالابن الوحيد أليست فكرة وثنية يهودية؟ ثم هل اسحق هو الابن الوحيد لابرهيم أو هل هو بكره أو اسمعيل؟ لماذا لم تذكر التوراة اسمعيل كبكر لابرهيم، والعادة الوثنية في ذلك الوقت، أن يضحّى بالبكر، لأنه الأعزّ والأهمّ والأغلى والأحبّ؟ أليس اسمعيل من صلبه؟ أليس هو بكره الذي سمح له إلهه به وباركه وبارك نسله الآتي منه؟

هل ابن الجارية يختلف عن ابن الست؟

وهل الجارية في السرير هي غير السيدة عليه؟

وفكرة بنوّة المسيح أليست فكرة وثنية يهودية متجددة إذ جعلت المسيح ابن الله الوحيد؟

لماذا يكون وحيداً؟ فمن يكون له الواحد يكون له الكثير، لماذا هذه الحصرية في التبني؟

لماذا يضحّي الله بابنه؟ أليرضي نفسه؟

ألم يخلق الله البشر جميعاً بناء لمشيئته؟

هل الفرق في الإيمان هو في جوهر الله أو في طرق الإيمان به؟

وما الفرق بين مولوخ الوثني الذي كانت تستعطف خاطره الشعوب الكنعانية فتقدّم له الأضاحي البشرية الحية وتقيم له المذابح وتقدّم له النذورات وبين إيمان شعوب اليوم؟

إنّ سعادة العقل الانساني هي في ايمان بإله واحد خالق كامل مسؤول أوجد الكون بناء لمشيئةٍ حرّة خيّرة فإن لم يكن كذلك، فيا لشقاء ذلك العقل!...



في فلسطين

«... وانتقل ابرهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرّب في جرار. وقال عن سارة امرأته هي أختي. فأرسل أبيمالك، ملك جرار، وأخذ سارة» تكوين ٢٠/١-٣

«فجاء ملاك الله إلى ابيمالك في حلم الليل وقال له: أنا أيضاً علمت أنك لسلامة قلبك فعلت هذا. وأنا أيضاً قد أمسكتك عن أن تخطئ إليّ لذلك لم أدعك تمسها فالآن ردّ إمرأة الرجل» تكوين ٢٠:(٦-٧)

إن ظهور ملاك الله لابيمالك يثبت ان ملك جرار الفلسطيني كان يؤمن بالله قبل ابرهيم ويستجيب له ويخاف أن يفعل الشر أمامه. وإلاّ فكيف يعرف الملك ان هذا الملاك هو رسول من الله؟ ومن ناحية ثانية ان الله ضنين بعلاقته معه فلا يريده أن يخطئ، لذلك أمسكه عن إمرأة ابرهيم، في حين انه لم يمسك قلب الفرعون حين أخذ ساراي للمرة الأولى.

فابرهيم ليس أول الموحدين كما يحلو للبعض أن ينسبوا ذلك، فلو تعمّقوا في جذور الإيمان التوحيدي لوجدوا إنّ الشعوب الكنعانية الامورية، السومرية المديانية والحثية، سكان سوريا الطبيعية كانوا مؤمنين بوحدانية الله، وبمثل انسانية سامية، كما وأن فئة من أهل مصر كانت مؤمنة موحدة، وهرمس خير دليل على ذلك. وكانت الدعوة، للتوحيد والإيمان

بالله الواحد الخالق القدير الحي، دعوة سرية بسبب طغيان الإيمان الوثني وتحكّم كهنة البعل بتحريك عاطفة الشعب كيفما شاؤوا كما هي الحال اليوم عند رجال الدين، ومؤامرة قتل الفرعون الموحّد امنحوتب الرابع المعروف باخناتون هي أكبر دليل على وجود الايمان التوحيدي من جهة وعلى فعالية كهنة الوثنية في إدارة عقول وعاطفة الشعب من ناحية أخرى.

كذلك استشهاد سقراط ألم يكن في سبيل دعوته إلى الإيمان بالله الواحد الأحد؟

وحفاظاً على ذاتهم وعلى تتابع الإيمان لمن بعدهم شكّل الموحّدون الجمعيات السرية التي حُصر الانتماء إليها في النخبة من مفكري ذلك الزمان وطالبي العلم فيه. وكان طلاّب العضوية يخضعون لأقسى الامتحانات والتجاريب وذلك للتثبت من صدق نواياهم ولتثبيت إيمانهم فيما بعد. وليست جمعية فيثاغوروس والجمعية الكورنثية وجمعية الإخوة البيضاء، إلاّ امتداداً للجمعيات السرية التوحيدية التي كانت منتشرة في هيليوبوليس مصر وفي جبل الكرمل في فلسطين. وإلاّ فكيف وصل التوحيد إلى ابيمالك، وكيف يفسر خوفه من الله، ومصالحة الله له بين الحين والحين؟ كذلك كيف نفسّر ذكره لله في اليمين التي طلبها من ابرهيم:

«... وحدث في ذلك الزمان ان ابيمالك وفيكول رئيس جيشه كلّما ابرهيم قائلين: الله معك في كل ما أنت صانع. فالآن احلف لي بالله ههنا انك لا تغدر بي ولا بنسلي وذريتي. كالمعروف الذي صنعت إليك

تصنع إليّ وإلى الأرض التي تغرّبت فيها. فقال ابرهيم أنا أحلف. وعاتب ابرهيم ابيمالك لسبب بئر الماء التي اغتصبها عبيد ابيمالك. فقال ابيمالك لم أعلم من فعل هذا الأمر أنت لم تخبرني ولا أنا سمعت سوى اليوم. فأخذ ابرهيم غنماً وبقراً وأعطى أبيمالك فقطعا كلاهما ميثاقاً. وأقام ابرهيم سبع نعاج من الغنم وحدها. فقال ابيمالك لابرهيم ما هي هذه النعاج السبع التي أقمتها وحدها. فقال انك سبع نعاج تأخذ من يدي لكي تكون لي شهادة بأني حفرت هذه البئر. لذلك دعا ذلك الموضع بئر سبع. فقطعا ميثاقاً في بئر سبع. ثم قام ابيمالك وفيكول رئيس جيشه ورجعا إلى أرض فلسطين» تكوين ٢١:(٢٢-٣٢).

ابيمالك ملك مؤمن يخاف الله ويعرف سبله كما يعرف نفسية ابرهيم الغدّارة. فطلب من خصمه ومضيفه أن يحلف له با لله كي لا يغدر به. الغدر الابرهيمي مشهور وإلاّ لما تحسّب ابيمالك له وشهرة البدوي في الغدر ذائعة الصيت ويحسب لها ألف حساب. ولكي يأمن من غدر ابرهيم طلب منه أن يحلف له باسم الله. فلو لم يكن مؤمناً بالله ويعرف قدرته لما احتمى به من غدر ابرهيم.

وانتهز ابرهيم فرصة ضعف ابيمالك أمامه وخوفه من الله والاستجارة به والاحتماء باسمه في عهد لا شيء يمنع من النكول به، فاستغل المناسبة، ليمتلك بئر الماء، مختلقاً قصة اعتداء رعاة ابيمالك على رعاته وردمهم البئر. وكرّس تملكه للبئر بثمن قدره سبع نعاج كان كافياً ليكون

بمثابة شهادة قيد له كرسه الواقع الحالي وهو المكان المعروف: بيئر شيڤا أي النعاج السبع.

وهكذا تم أول شراء للماء والأرض في تاريخ فلسطين والذي انتهى بطرد سكانها بعد حوالي اربعة الاف سنة من شراء بئر الماء.

وينجح ابرهيم ويمتلك البئر ويحفظ عهده بعدم غدره بابيمالك ولكن الى حين، وها احفاده يمارسون اليوم في فلسطين ما لم يستطع ابرهيم يومها تنفيذه: العهد بين الاثنين كان صريحاً: «**ان لا يغدر ابرهيم بابيمالك ونسله وذريته**» و لم يكن هناك إلزام لذرية ابرهيم بالحفاظ على ذرية ابيمالك! فما تفعله ذرية ابرهيم اليوم لا يخرج عن القانون ولا يشكّل نكولاً لعهد بين فريقين لم يتفقا في الأصل!...

وتموت سارة عن مئة وسبعة وعشرين سنة في قرية اربع التي هي حبرون في أرض كنعان. فندبها ابرهيم وبكاها بمرارة وانتهزها فرصة لتملك الأرض الكنعانية. فبنو حث أصحاب أخلاق وحمية ونخوة وأصالة فلن يخلوا عليه وهو بهذه المصيبة بالأرض. فاستغلّ شهامتهم، وهو خير مستغل، وذهب يلتمس منهم ملكية قبر يدفن فيه زوجته فأجابه بنو حث: «**في أفضل قبورنا ادفن ميتك، لا أحد منا يمنع قبره عنك حتى لا تدفن ميتك.**» تكوين ٢٣:(٦–٧).

وكما استغل ابرهيم زوجته في حياتها إذ عرضها مرتين: للفرعون في مصر، ثم لابيمالك ملك جرار الفلسطيني، ها هو يستغلها في مماتها فلم يشأ

أن يدفنها في قبر معار، فبعد أن سجد شاكراً لبني حث معروفهم، رجاهم أن يلتمسوا له من عفرون بن صومر الحثي أن يعطيه مغارة المكفيلة التي هي في طرف حقله. فأجاب عفرون الحثي ابرهيم في مسامع شعبه: «**الحقل وهبتك اياه والمغارة التي فيه وهبتها لك، أدفن ميتك**» تكوين ٢٣: ١١.

ورفض ابرهيم أخذ القبر مجاناً، فالمجانية لا تعطيه صك التملك، فقال بعد سجوده لعفرون: «**ليتك تسمعني، أعطيك ثمن الحقل. خذ مني فأدفن ميتي هناك**» تكوين ٢٣: ١٣.

وأُخِذَ عفرون بمسكنة ابرهيم وتذلله فقال له: «**يا سيدي اسمعني، أرض بأربعمئة شاقل فضة ما هي بيني وبينك، فادفن ميتك**»تكوين ٢٣: ١٥.

فسمع ابرهيم، وضحك في قلبه لأن حلمه قد تحقق، فوزن الفضة ثمناً للحقل وقدمها لعفرون. «**فوجب حقل عفرون الذي في المكفيلة، الحقل والمغارة التي فيه وجميع الشجر الذي في جميع حدود حواليه لابرهيم ملكاً لدى عيون بني حث وجميع الداخلين باب مدينته. فوجب الحقل والمغارة التي فيه لابرهيم، ملك قبر من عند بني حث**» تكوين ٢٣: (١٦-٢٠).

بهذه الكلمات بدأ التملّك الرسمي في فلسطين: شراء البئر أولاً ثم المدفن ثانياً، لقاء ثمن وسند تملك في كلا الحالين.

وتوالى التملك اليهودي في فلسطين، بهدوء وتنظيم وتخطيط فأصبحت فلسطين مع الزمن لآل ابرهيم، وتشرّد أهلها يفتّشون عن الوطن... يحلمون باستعادة الأرض ويحلم خصومهم بتحقيق حلم تملك

الوطن الكبير من الفرات إلى النيل وفرض سيطرتهم على كل الارض التي تشكل نواة الدول العربية. حينها قرّت عين ابرهيم فدفن سارة امرأته في حقل المكفيلة التي في حبرون في أرض كنعان.

وبموت سارة انطوت صفحة سوداء في تاريخ النساء إذ لم يسجل تاريخ النساء قلباً أقسى من قلب سارة. طردت خادمتها الحامل بعد أن دفعتها إلى أحضان زوجها لتحمل منه، ثم ضاقت عينها عليها لما رأت حملها، فطردتها عبر الصحراء غير مكترثة للجنين الذي في بطنها لكن ملاك الله أنقذها وتدخّل فأعادها إلى سيدها فولدت له اسمعيل. ثم أثناء فطام اسحق شاهدت سارة ابن ضرّتها وجاريتها يمزح ويلعب في فناء الدار فدبّت الغيرة في قلبها ونهشه الحسد، فأمرت بطرد هاجر وابنها الفتى ليتيها في صحراء بئر سبع غير مشفقة عليهما وضاربة بعرض خبائها مباركة الملاك للطفل اسمعيل.

وسارة هذه العظيمة ألم ترتضِ أن تباع كعاهرة في مصر إلى الفرعون وأن تعيدها ثانية عند ملك جرار في فلسطين، إرضاء لزوجها ولتحقيق حلمها؟

المرأة العفيفة الشريفة لا تقبل حتى ولو بالموت أن تبيع نفسها وتبيح عفافها إرضاء لزوجها!... فالموت بطهارة خير عندها من حياة دنسة مرفهة.

المرأة التي تسمح لنفسها بذلك لن تفعل هذا على حسابها الخاص بل على حساب كرامة زوجها التي فقدها حين رجا زوجته أن تفعلها انقاذاً له، وبالتالي فانها ستذل هذا الزوج وسيصبح ألعوبة بين يديها، تأمره فيطيع،

تشير عليه فلا يستطيع رفضاً. وهكذا كان الأمر مع ابرهيم، إذ أصبح ألعوبة سارة يحقق لها أمانيها خشية ثورة غضبها وتعييره بما يستحي أن يقال له. همّه «السترة» كما يقال ولا شيء غير ذلك. لذلك استجاب لأمر سيدته سارة فاندس في فراش هاجر فحملت منه، ثم استجاب لأمر طرد هاجر الحبلى ثم وأيضاً نفّذ أمر طرد هاجر وفتاها عبر الصحراء.

ومع ذلك لا تزال الكنيسة حتى اليوم تبارك عرائسها وتدعوها للتشبه بسارة!

ألم يقرأ رجال الدين المسيحي قصة سارة، وحقد سارة، وقساوة قلب سارة، وعهر سارة؟.

أين المناقبية وأين العفاف وأين الطهارة في حياة سارة؟ لماذا تزييف الحقائق وطمسها وتغليف الزيف وإظهاره مظهر الفضيلة والحقيقة؟ وإلى متى؟

ويعود ابرهيم بعد موت سارة فيتزوّج قطورة فأنجب منها زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا! ووفاء لذكرى سارة وتكفيراً عن ذنبه معها، واعترافاً بجميلها عليه، أعطى ابرهيم كل ماله وكل ممتلكاته لابنه اسحق دون غيره من أولاده تكوين ٢٥:٥.

ولما شاخ قال لعبده كبير بيته: «**ضع يدك تحت فخذي، فاستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم بل إلى الأرض وإلى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجةً لابني اسحق**» تكوين ٢٤:(١-٤).

وهكذا كان فذهب العبد إلى ارام النهرين إلى مدينة ناحور وانتقى لاسحق، سيده، رفقة ابنة بتوئيل بن ناحور، زوجة له. تكوين ٢٤:١٥.

وتوفي ابرهيم بعد أن عاش مئة وخمسا وسبعين سنة فدفنه اسحق واسمعيل في حقل المكفيلة إلى جانب سارة تكوين ٢٥ ك٩.

لا يخبرنا كاتب التوراة كيف علم اسمعيل بوفاة والده حتى حضر صدفة الدفن وكان يسكن في فاران مصر؟ ويومها لا اتصالات سلكية أو لاسلكية ولا أقمار اصطناعية ولا صواريخ تنقل المسافرين بلمح البصر. علّه جاء صدفة يفتقد حنان والده الذي طرده وأمه هاجر وتركهما يتيهان في صحراء بئر سبع، تنفيذاً لرغبة زوجته المصون سارة؟

ابرهيم الخليل أبو المؤمنين، الذي دفع زوجته إلى البغاء مرتين حفاظاً على حياته واستدراراً للرزق والغنى، صاحب شرف ونخوة يأبى مجانية التعامل فيرفض أخذ مدفن لزوجته سارة هبة من عفرون بن صومر!...

ولكنه يرتضي أن يطرد هاجر وهي حبلى وقد وهبته ذاتها وعلى مرأى سيدتها سارة كي تحفظ نسله، ثم يعيد فعلته ثانية ويطردها فيما بعد مع ولدها اسماعيل ويتركهما لريح القدر في الصحراء، فيرتاح ضميره لأنه نفّذ أوامر ورغبات السيدة سارة!...

كيف يرتضي ابرهيم أن يهب كل ماله وممتلكاته لابنه اسحق، ويحرم ابنه اسمعيل. واما زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا فيكفيهم انه وهبهم الأسم من ام اسمها قطورة لا يذكرها التاريخ الا بهذا فقط. اذ

انها لم تزن، و لم تشهد الزنى و لم تشجع عليه، و لم تبغ مع احد، فلماذا تُذكر اذاً؟ ولماذا تستحق التمجيد؟

ابرهيم ابو المؤمنين، اسمه ممجد الى الأبد، ليس لأنه اول من آمن بالله فتعفف، بل لأنه اول من اشترى الارض الفلسطينية، ولأنه اول من اسس دولة اسرائيل!...

ايمانه بالهه يهوه لا يعني ابداً انه كان يؤمن بالله الحقيقي رب العباد وخالقها الذي نعرفه نحن: الله المعرفة، الله الخير، الله المحبة، الله الكمال الدائم، الله الواحد للجميع دون تفرقة او تمييز.

ايمان ابرهيم بألهه التوراتي انما هو نموذج آخر من الأيمان بالآلهة الوثنية التي تكره وتحب، وتغضب، وتثور وتستلطفها الهدايا وتشكل فريقاً ضد فريق، وتأخذ بيد شعب على شعب آخر فتنتقم وتسبي وتنهب وتحرق الزرع والضرع، ولا فكيف نفسر بقاء ناحور على وثنيته مع عائلته، وكيف نفسر بقاء لوط على وثنيته على الرغم من مرافقته لابرهيم مسيرة كبيرة من العمر، ومن نسل لوط العظيم كان العمونيون والموابيون وآلهتهم، وكيف نفسر وثنية من جاء بعد ابرهيم وارتداد الشعب العبراني في كل لحظة عن عبادة الهه ابتداء من ايام موسى وهارون وعجائبهما وحتى سليمان الحكيم ذاته الذي مات على اعتاب هيكل ملكوم.

فلو كانت عبادة ابرهيم عبادة ايمان صادقة بالله الحقيقي الذي نعرفه اليوم لما كان الأرتداد ابداً ولما توارثنا وثنية الأيمان من جيل الى جيل.

لوط وابنتاه

في أثناء رحلة الرجوع من مصر، وقد كثرت مواشيهما، رعاة لوط مع رعاة ابرهيم على الماء، فأقتسما الاتجاه والمسيرة فذهب ابرهيم الى ارض كنعان اما لوط فذهب وسكن في سدوم مع ابنتيه وزوجته. وفي احدى الليالي، استضاف في منزله غريبين فلم يرق ذلك لأهالي المدينة الذين حاولوا دخول منزله عنوة لأخذ الضيفين وقتلهما، ولكنّ لوطاً خرج يرجو سكان المدينة ان يتركوهما بسلام لأنهما ضيفاه وقد اجارهما، والضيف عزيز على البدو، وعرض عليهم ابنتيه اللتين لم تعرفا رجلاً ليفعلوا بهما ما يشاؤون لقاء ترك الغريبين.

وكان أن هذين الغريبين هما من ملائكة الله جاءا مرسلين لتفقد المدينة وامتحان اخلاق اهلها، فقررا احراق المدينة، وتدميرها بسبب سوء اخلاق شعبها وكثرة الفساد فيها. فانتشل الملاكان لوطاً من المدينة مع ابنتيه وزوجته واعلماه نيتهما بذلك وقد اوصياه مع عائلته ألاّ ينظروا وراءهم الى ما سيحصل، لئلا يموتوا، بل يكملوا سيرهم باتجاه المدينة التالية.

وهكذا تم، فأحرقت المدينتان: سدوم وعمورة، بالنار والكبريت، واثناء فرار لوط وعائلته احبت امرأته ان تلقي نظرة اخيرة على ماضيها في المدينة فالتفتت وراءها، فتحولت الى عمود ملح. واكمل لوط مسيرته فأتى

وسكن مع ابنتيه في جبل صوغر. ولما شاخ قالت البكر لأختها الصغرى: **«ابونا قد شاخ وليس لي الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلّم نسقي ابانا خمراً ونضطجع معه فنحي من ابينا نسلاً.»** تكوين ١٩ /٣١ -٢٣

واعجبت قصة اضطجاع لوط مع ابنتيه، الشاعر الياس ابو شبكة فقال:

«مغناك ملتهب وكأسك مترعَة
فاسقي اباك الخمر واضطجعي مَعَه...»

وسقت الفتاتان أباهما خمراً فسكر، واضطجعت البنت البكر معه في الليلة الأولى فحملت، وكان دور الصغرى في اليوم التالي. وكانت نتيجة هذا التناوب في الزنى العائلي أن أنجبت الابنة الكبرى للوط ولداً اسمه مؤاب الذي كان منه فيما بعد كل نسل المؤابيين. وولدت الصغرى بن عمّي الذي كان منه نسل بني عمّون.

بهذه القصة، الفاجعة الأخلاقية، تتحفنا التوراة مكرّسة الزنى العائلي كفعل مقدس، مشروع لأن الغاية منه شريفة: ابنتا لوط غيورتان على توالى نسل والدهما، ولا بأس في فعلتهما خاصة، إذ يكون الأب بحالة اللاوعي. وكانت النتيجة أن امتلأت الأرض زنى ورذيلة وازدهرت خطة بنتي لوط حتى جاء المنع في اللاويين، **«ولا تدنّس ابنتك بتعريضها للزنى لئلا تزني الأرض وتمتلئ رذيلة»** لاوين ١٩:٢٩

على هذا النحو من الإيمان بالإله كان الإيمان عند ابرهيم وآله. فهذا اله مُسَخَّر لخدمة الغاية عندهم، إذ يشرع لهم الوسيلة ويقدّس فعل أيديهم مهما كان، فلا يختلف إله ابرهيم عن إله لوط، وناحور ولابان إلاّ في التسمية فقط. وأما الغاية من وجود ذلك الإله عند الجميع فكانت واحدة. وهذه العبادة لذلك الإله، وإن اختلفت طرقها ووسائلها وصورها، فهي واحدة عند الجميع، وإلاّ فكيف يفسّر فعل لوط وابنتيه والارتداد الدائم عبر الأجيال ضذ ذلك الإله؟

لماذا لم تعلّم ابنتا لوط نسلهما عبادة الله الحقيقي لو كان لهما ذلك الإيمان، بالتعلّم والممارسة، من والدهما؟ لماذا لم يأخذ لوط على عاتقه نقل ذلك الإيمان إلى ابنتيه لو كان له ذلك الإيمان الذي تدعي التوراة انه كان لابراهيم وآل ابراهيم؟

أليس العمّونيون هم من نسل ابنة لوط الصغرى؟ أليس المؤابيون هم من نسل ابنة لوط البكر؟

ألم يتعبّد العمّونيون للإله ملكوم، والمؤابيون للإله كموش التي انتشرت عبادتهما وراجت إلى زمن بعيد حتى ان سليمان نفسه أعاد الاعتبار لهما فترك عبادة الإله الحقيقي الذي تراءى له، ومات سليمان وثنياً على أعتاب كموش وملكوم؟

إله ابراهيم وآله في جميع أجيالهم وحتى اليوم لم يكن إلاّ صورة للإله التوراتي الوثني العنصري، والإيمان به لم يكن يوماً إلاّ إيماناً مزاجياً متقلّباً.

«العائلة المقدّسة»

«لا تبغض أخاك في قلبك... لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك، بل تحب قريبك كنفسك.» لاوين ١٩:١٧

على هذه الوصية نشأت عائلة اسحق وتربّى أولادها. **«وكان اسحق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه رفقة بنت بتوئيل الآرامي، أخت لابان من فدان ارام زوجة. وصلّى اسحق إلى الرب لأجل إمرأته لأنها كانت عاقراً.»**

فاستجاب الرب لها قائلاً:

«في بطنك أمتان ومن أحشائك يفترق شعبان. شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير، فلما أكملت أيامها لتلد، إذا في بطنها توأمان. فخرج الأول أحمر. كله كفروة شعر. فدعوا اسمه عيسو. وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعي اسمه يعقوب» تكوين ٢٥:(٢٣-٢٦)

وهكذا ولد عيسو ويعقوب التوأمان.

هنيئاً لشعب ابراهيم... ينادي الله ساعة يشاء فيستجيب له ويحادثه، ويرشده، ويبشّره بولادة ذكوره، فيباركهم، ويكثر نسلهم.

بهذه البساطة يحضر الله ويحادث، يقدّم العون ساعة الضيق ويفرج الهمّ. هنيئاً لمن لهم مثل هذا الإله.

ويكبر الغلامان، فكان اسحق يميل إلى بكره عيسو لأنه كان يمثل صلابة الرجال وقوتهم، وأما رفقة فكانت تميل إلى يعقوب، والأمهات عادةً تميل إلى صغيرها.

وفي إحدى رحلات الصيد، أجهد التعب عيسو وأعياه الجوع فطلب من أخيه يعقوب أن يطعمه «من هذا الاحمر» تكوين ٢٥: ٣٠

فاستغل يعقوب جوع أخيه الذي نازعه البكورية فأخذها لفارق بسيط في الزمن، فقال له: لا اطعمك حتى تبيعني بكوريتَك: البكورية شيء مهم عند الشرقيين!.

فالأب عندما يأتيه ابنه البكر يدمج شخصيته في شخصية الوليد فيصبح أبو فلان. وتكون المباركة بهذا الفلان لأنه البكر، وله كل الأفضليات على بقية الإخوة.

فالأب بعد ولادة ابنه البكر ينسى اسمه مختاراً، ومتباهياً بذلك، فينساه الناس أيضاً، فلا يعود هو اسحق مثلاً بل يصبح أبا عيسو. حتى زوجته تنسى الاسم الذي عرفته به فتناديه باسمه الجديد: ابو عيسو...!

فعندما يولد الذكر البكر ويسمّى، يُمحى ماضي الوالد كلّه ويصبح انساناً بلا اسم إلاّ في السجلات الرسمية، فلا يعود يعرف إلاّ من خلال اسم ولده. فبدلاً من أن يعرف الولد من خلال والده أصبح الأب يعرف من خلال أحد الأولاد فقط، دون غيره منهم: الولد البكر. حتى وإن لم يكن سوياً، حتى وإن لم يعش إلاّ لحظات بعد التسمية، فالأفضلية هي له دون

غيره من الإخوة. أما بقية الأولاد فاسمهم عادي ووجودهم كذلك!...
وكثيراً ما تفعل الغيرة فعلتها عند الأولاد في مثل هذه الحالات. إذ يرى بقية الأولاد أن أسماءهم لا تُلْفَظُ إلاّ للطلب أو للنهي: يا فلان اسكت، يا فلان أحضر الماء... يا فلان... يا فلان... وتكثر حركة الأولاد، ويكثر شغبهم، لأنهم في أعماق ذاتهم يفعلون ذلك عن عمد حتى ينادي عليهم بأسمائهم فيتساوون بتكرار أسمائهم مع اسم أخيهم البكر الذي يتكرر دائماً مع ذكر الوالد أو الوالدة.

وإن خاف الأولاد سلطة الأهل الزاجرة، فامتنعوا عن الحركة والشغب، أصيبوا بصدمة الكبت الرغائبي، التي غالباً ما تسبب لهم بعض الأمراض الظاهرية الجلدية: ظهور الثآليل، أو البثور الصدفية أو الاكزيما، أو الباطنية منها: الفأفأة في الكلام، التغميز في جفون العينين، علاوة على إظهار البطء في الفهم وغير ذلك من الأمراض النفسية، وحتى المرضية أيضاً. فيعقوب الذي فصلته عن البكورية لحظات قليلة كان طموحاً لها وشاء القدر أن تلد أمه أخاه عيسو قبله بلحظات أما هو فظهر بعده وكانت يده قابضة على عقب عيسو، وكأنه يريد إمساكه وردّه إلى الوراء!... أما وقد ساعد القدر على ذلك وقد أتته الفرصة سانحة لينتقم من ذلك القدر فينتزع البكورية من أخيه وبثمن زهيد جداً: إذ حجب طبيخ العدس عن أخيه المهدد بالموت جوعاً...

الحياة أم البكورية يا عيسو؟

الحياة بلا بكورية أم الموت جوعاً يا عيسو؟

وفضّل عيسو الحياة وباع بكوريته لأخيه بصحن مجدرة!... «**فقال عيسو، ها أنا ماضٍ إلى الموت فلماذا لي البكورية فقال يعقوب احلف لي اليوم. فحلف له. فباع بكوريته ليعقوب فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبيخ عدس. فأكل عيسو وشرب وقام ومضى وقد احتقر البكورية.**» تكوين ٢٥:(٢٧-٣٤)

هل كان طبيخ يعقوب للعدس أثناء عودة أخيه من الصحراء بمجرد صدفة؟

هل يعقوب هو صاحب الحيلة والتدبير لانتزاع البكورية من أخيه؟ وتجيب التوراة صراحة على هذين السؤالين:

«**فأحب اسحق عيسو لأن في فمه صيداً وأما رفقة فكانت تحب يعقوب**» تكوين ٢٥:٢٨

رفقة بنت بتوئيل بن ناحور، سيدة ذكية للغاية، أحبت ابنها يعقوب إلى حد المحاباة، فعلّمته، وهي المجرّبة الداهية، حيلة طبيخ العدس ليجبر أخاه على التنازل عن بكوريته وأخفت الأمر عن زوجها الذي أعمته الأيام: وتفتقت لها الحيلة لتكون مباركته ليعقوب بدلاً من بكره الأصيل عيسو إذ سمعته يقول لابنه عيسو: «**إذهب يا بني إلى الصيد وتصيّد لي واصنع لي أطعمة لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت.**» تكوين ٢٧:(٣-٤)

فخرج عيسو للصيد وكان أشقر، أحمر، أشعر. وأثناء غياب عيسو في صيده عمدت رفقة إلى جديين من الماعز فذبحتهما وصنعت طعاماً لزوجها ووضعت جلديهما على يدي يعقوب لأنه كان أملس بعكس أخيه عيسو. ثم أخذت ثياب عيسو وألبستها ليعقوب وحملته الأطعمة ليقدمها لوالده على أنه عيسو فيباركه!

ودخل يعقوب إلى أبيه الذي تعجّب من سرعة عودة ابنه عيسو من الصيد فقال له: «**ما هذا الذي أسرعت لتجد يا بني**» فقال يعقوب مقلّداً صوت عيسو: «**إن الرب إلهك قد يسّر لي**» فقال اسحق ليعقوب وقد ساوره الظن به: «**تقدم لأجسّك يا بنيّ أأنت هو عيسو أم لا**». فتقدّم يعقوب إلى أبيه، فجسّه وقال كلمته المشكورة: «**الصوت صوت يعقوب ولكن اليدان يدا عيسو أخيه**» تكوين ٢٧:(٢٥-٢٧)

ولما عاد عيسو من الصيد وقد انتهى كل شيء فالمباركة قد تمّت، والبكورية لا تسقط نهائياً عنه إلاّ بمباركة البديل، فسقط على وجهه ورجا والده أن يعطيه ما تبقى من بركة لديه فقال له: «**هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك وبسيفك تعيش ولأخيك تستعبد.**» تكوين ٢٧:(٣٩-٤٠)

وكقطرات سم مصفى دخلت هذه الكلمات إلى قلب عيسو فانطلق والحقد يأكله وأضمر الشر لأخيه!...

هل أبهجت رفقة قلبها بتفريقها الأخ عن أخيه؟

هل أبهجتها المحاباة بين ابنيها؟

هل أبهج رفقة حقد عيسو على يعقوب؟

هل أبهج رفقة استغلالها لسذاجة زوجها، الاعمى، الخَرِف في آخر أيامه؟ ومع ذلك يقول الكاهن للعروس أمام المذبح: «**وأبهجك الله أيتها العروس مثل رفقة**».

رحمة بأولادكم أيها الناس الشرقيون إنسوا قصة البكورية واعدلوا فيما بينهم ولا تتركوا الوثنية اليهودية تتابع عملها في وشم الأجيال اللاحقة بحقد الاخوة!...

ورحمة بشخصياتكم أيها الآباء، لا تزيلوا ذواتكم الناضجة في شخصية ولد ابن يومه، فيكون للحظته هو نفسه وأنتم في الآن، وأما أنتم، فللحظة لا تعودون، ولا يبقى لكم من الاسم الأصيل، إلاّ جثة ظالمة وظل حقد تورثونه لبقية الأولاد!...

البكورية التي بيعت بصحن عدس، لا تزال تمارس عندنا فيسمّى الأب باسم ابنه البكر دون غيره من الأولاد فكأنه والد فلان دون غيره فيصاب بقية الأولاد بعقدة الذنب والنقص ويصاب البكر بعقدة التفوّق والعظمة والاستكبار، وبين هذه العقد ينشأ الحقد والضغينة والكراهية بين الأولاد.

أبو محمد، أبو جورج، أبو منصور، أبو معروف، أبو علي أبو... أبو...

أليست هذه البدعة التوراتية الوثنية هي السبب في كثير من مشاكل التربية والمنازعة العائلية وسبباً في تأجيج روح الكراهية بين الاخوة في العائلة الواحدة؟

إن كان للبكورية هذه الأهمية وإن كان الإله يحب البواكير ويختصّهم بأفضليات دون سائر إخوتهم، فكيف تنسى التوراة بكورية اسمعيل وتغفلها وتجعل من أخيه الأصغر، اسحق، البكر البديل، فيباركه إلهه التوراتي ويعده لترؤس الأمم فيما بعد؟

إن كان لهذا الإله سلطة المباركة والسلطة على الماضي والمستقبل فكيف يقبل أن يُغشَّ كما غُشَّ عبده اسحق؟ ثم تتكرر قصة البكورية، وكأن الزمن يعيد نفسه، ومع شاهد، يربط جيلين ببعضهما، يشهد المأساة، ويبارك مزعناً للأمر الواقع وإلهه يغط في نوم عميق أو مغشي في غيبوبة أو متلهٍّ في أمور أخرى...

لماذا أهمل الغرب المتحضر هذه البدعة فلا ينادي الأب باسم ابنه، أما عندنا فلا يُعرف الأب إلاّ من خلال اسم ابنه؟ فقط في شرقنا نمارس هذه العادة تكريساً لغفلتنا العقلية وتكريساً لتوراتية التعليم وإثباتاً لتبعيتنا لوثنية الإيمان التوراتي.

من شابه اباه ما ظلم

«... وكان جوع في الأرض غير الجوع الاول الذي كان في أيام إبرهيم فذهب أسحق إلى أبيمالك الملك الفلسطيني، الى جرار. وظهر له الرب وقال لا تنزل الى مصر. اسكن في الأرض التي أقول لك. فأكون معك واباركك لاني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقمت لأبرهيم أبيك...» تكوين ٢٦:(١-٤)

واقام اسحق في حرار. وسأله أهل المكان عن امرأته. فقال هي أختي...

«...وحدث أن طالت أيامه هناك وأن ابيمالك أشرف من الكوة ونظر وإذا اسحق يلاعب رفقة امرأته. فدعا أسحق إليه قائلاً لماذا قلت إنها اختك لولا قليل لأضطجع احد الشعب معها فجلبت علينا ذنباً. فامر أبيمالك الشعب بأن الذي يمس هذا الرجل وإمرأته، موتاً يموت.» تكوين٢٦:/١-١١

الولد سر أبيه، فاسحق أراد أن يمارس نفس اللعبة القديمة التي لعبها أبوه مع الفرعونَ ومع أبيمالك وكانت سبباً لغناه ومجده، فادعى أن رفقة هي أخته، علّه يصيب بها غنى وحماية، كما حدث مع والده، ومن شابه اباه ما ظلم!...

من المنطقي أن رفقة لم تكن بجمال حماتها سارة التي مُدح جمالها للفرعون فضمها لسراريه، وأما رفقة، فلم يلتفت إليها أحد، ألا اسحق، فكسُد موسمها.

أبيمالك، ملك جرار الفلسطيني، كان يخاف الله ويخشى أن يأتي أحد الشعب ذنباً تجاهه وكان على ما يبدو، يحترم المفاهيم الأخلاقية ويمنع انتهاكها، ومن بينها استهجانه مداعبة الأخ لأخته، في حين أن ممارسة الجنس بين الأب وابنتيه بدت شيئاً عادياً ومقدساً الى حد ما عند الشعب اليهودي، كذلك اضطجاع الولد مع أخته أو مع نساء أبيه فيما بعد.

كما أن أبيمالك كان يهتم بالقيم الأخلاقية ويمارسها فعلاً. فقراية الضيف وحمايته هما من القيم الرائجة عندهم، تمارس كواجب اخلاقي وانساني: فاسحق وزوجته كانا جائعين معوزين فأطعمهما أبيمالك هذا، وغريبين فحماهما وبإسم المبادىء الإيمانية التي يعيشها وشعبه أوصى شعبه بهما خيراً وسمح لأسحق بزراعة الأرض واستغلالها.

«**فأصاب في تلك السنة مئة ضعف وباركه الله...**» تكوين ٢٦:(١٢-١٣)

الله يبارك اسحق في أرض جرار

والله يبارك اسحق لأنه حاول بيع شرف إمرأته والله يعده بطرد الفلسطينيين الذين أضافوه، وأجاروه

كان جائعاً فأطعموه

وعطشاناً فسقوه

وغريباً فأووه وحموه

فقيراً فأغنوه

لذلك لم يذكر الله أبيمالك وشعبه بشيء و لم يهتم لمكافأتهم بل على العكس لقد صمم على تشريدهم وطردهم من أرضهم تنفيذاً لوعده لأبرهيم وللقسم الذي أقسمه له.

هذا الإله لا يستطيع ان يكون مع اسحق على غير ما ذكر، لأنه صنيعة أجداده وعلى شاكلتهم أوجدوه، ولأجل تحقيق أهدافهم عرّفوه على بقية الأمم وفرضوه عليهم إلهاً كونياً مزيفاً، لذلك، فإنه لا يستطيع إلا تنفيذ رغائب من أوجده لئلا يفقد ربوبيته وتسقط هيبته ويصبح إله قيم وخير كإله أبيمالك الكنعاني، الفلسطيني.

مسكين أبيمالك! إنه يتبع القيم الأخلاقية والأيمانية الحقة فيخشى أن يرتكب شعبه الزنى خوفاً من الله! إله ابيمالك يخافه المؤمنون به إن ارتكبوا شراً أو إن خالفوا قاعدة اخلاقية!

إله ابيمالك وشعبه إله كوني، لا يميز ولا يحابي بين أنسان وآخر، اما إله اسحق وشعبه فأنه على نموذج خاص: يعرف خاصته فيميزهم ويسامحهم وخاصته تعرفه فترتكب الشر بمشورته وبسماح منه لأجل ذلك تبارك الزنى والشر بنسل اسحق، وقل الخيّرون الغيارى في الحق، المؤمنون بالله الحقيقي لإن الإله التوراتي يشردهم هباء منثوراً في أصقاع الأرض.

ما همَّ أن يتخلى إسحق عن شرفه، ويبيـع عرضـه، فوالـده مـن قبلـه سيّد من علّم بيع الشرف وأول من فتح سوقه!...

ما همّه، ما عيّبه، ايه شريعة تمنعه!؟...

فإلهه معه، يباركه ويحميه ويعـده بمـيراث الأرض كلهـا «...**وأعطي نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض.**»

وتعاظم إسحق في فلسطين وكثرت مواشيه وفاضت خيراته. وحدث أن اختصم رعاته مع رعـاة مضيفـه فـارتحل بنـاء لطلـب ابيمـالك الى وادي جرار ومن ثم الى بئر سبع ضامراً الشر في نفسه ومعللاً الآمال بالوعد الآلهي له بالعودة الى تلك الأرض سيداً لا متغرّباً.

ويعرف ابيمالك بنيّة اسحق فيأتيه مع فيكول رئيس جيشـه واحّـزات من اصحابه، فيسأله عهداً وميثاق أمان وحسن جوار.

«**انا قد رأينا أن الرب معك. فقلنا ليكن بيننا حلف ونقطـع معـك عهداً. أن لا تصنع بنا شراً. كمـا لم نمسـك وكمـا لم نفعـل بـك ألا خـيراً وصرفناك بسلام... ثم بكروا في الغد وحلفـوا بعضهـم لبعـض وصرفهـم اسحق...**» تكوين ٢٦:٢٦-٣٣

وعلى الرغم من معاهدة حسن الجـوار وعـدم الإعتـداء هـذه، مُحـي العهد، وطُوي الميثاق، وسقطت فلسطين بيد من استضافت وهُجّر شـعبها، كل ذلك بعلم الرب التوراتي وارشاده وتوجيهه وبمباركته.

وقالت رفقة لأسحق: «أن كان يعقوب يأخذ زوجة من بنات حث فلماذا لي الحياة...» ...فدعا اسحق يعقوب وباركه وأوصاه: «لا تأخذ زوجة من بنات حث.» تكوين ٢٨ :٨

هذه العنصرية الحاقدة على جميع الشعوب تظهر على لسان رفقة وعلى شفتي زوجها اسحق كما ظهرت قبلاً على لسان أبرهيم. فجميع بنات شعوب العالم هنّ شريرات بنظر أولاد ابرهيم وآله وبالتالي لا يستحققن الزواج من بكور إسرائيل.

أما عيسو، فزواجه من يهوديت أبنة بيري الحثي، ومن بسمة ابنة ايلون الحثي، لم يكونا زواجين ناجمين عن قناعة، وانما هما زواجا نكاية وانتقام، إذ اراد إيغار صدر والديه اللذين أنكرا عليه بكوريته، فكان زواجه «مرارة نفس لاسحق ورفقة...» تكوين ٢٦: ٣٥

وأملاً بأخذ ما تبقى من بركة في بيت أبيه، وبرأب ما تهدم في صرح العلاقة الأبوية عاد عيسو وتزوج من محلّة بنت اسماعيل وأخت بنايوت، علّه بهذا الزواج يستعيد عطفاً لم يكن، وحبّاً اعطي لغيره ولن يعود.

أما يعقوب وبناء لرغبة والده فلقد ذهب الى حاران حيث اجتمع بخاله لابان واتفق معه على أن يعطيه ابنته راحيل لقاء مهر قدره سبع سنين يقضيها في خدمة خاله.

ولما انتهت المدة، طلب يعقوب عروسه ليدخل عليها، فجمع لابان، والد العروس، اهل المكان وأو لم وأقام فرحاً. وفي المساء، أخذ ابنته الكبرى ليئة، وكانت عيناها ضعيفتين ودسّها في فراش يعقوب على انها راحيل. وتحت دلس الظلمة، دخل يعقوب عليها ظناً منه أنها عروسه راحيل التي أحبها. وعند الصباح اكتشف العريس خديعة خاله لابان فقال له: «**ما هذا الذي صنعت بي. أليس براحيل خدمت عندك. فلماذا خدعتني. فأجاب لابان: لا يجوز عندنا أن تعطى الصغرى قبل الكبرى. أكمل أسبوع هذه فأعطيك راحيل مقابل خدمة سبع سنين أخرى...**» تكوين ٢٩: ٢١-٢٨

لابان، خال يعقوب، خدع ابن شقيقته، بتزويجه من ليئة بدلاً من راحيل!... هدفه فقط تصريف بضاعته، ليئة أولاً، لأنها البضاعة المعيوبة، ثم راحيل. بذلك يكون قد أصاب عصفورين برمية واحدة: يفرج هم ليئة بأسبوع زواج لقاء مهر سبع سنوات خدمة، ثم يزوج راحيل بنفس الشرط الاول. وعليه، فأنه يستفيد كتاجر من بيع البضاعة المعيوبة بسعر البضاعة الجيدة، فيكون قد استغل يعقوب مدة أربع عشرة سنة ونفّق بضاعته الكاسدة.

بعد خدمة مهر مدتها سبع سنين أخرى كان خلالها يمتّع نفسه بليئة، عاد يعقوب وتزوج من أختها راحيل فكان له من ليئة: رأوبين، وشمعون ولاوي ثم يهوذا. أما راحيل فكانت عاقراً على ما يبدو فغارت من اختها، ضرّتها، وأجبرت يعقوب على أن يدخل على جاريتها بلهة لتنجب عنها: «**أدخل عليها فتلد على ركبتي وأرزق أنا أيضاً منها بنين...**» تكوين ٣٠:٣/ ٤

ودخل يعقوب على بلهة فحبلت وأنجبت له دان. ثم تكررت العملية فولدت نفتالي. بلهـة تحبـل وتتوجـع وتلـد، وراحيـل تدّعـي الأمومـة كذبـاً ونكاية بأختها.

ولكي تثأر من أختها فإن ليئة، وكانت قد توقفت مؤقتاً عن الـولادة لأمتناع يعقوب عنها بسبب انشغاله بأختها راحيل وبجاريتها وليـس لسـبب آخر، عمدت الى محاربة أختها بسلاحها، فدفعت بجاريتها زلفة إلى احضـان زوجها يعقوب فأنجبت منه جاد ثم أشير.

وكان أن راؤبين ابن ليئة قد وجد في الحقل أيام حصاد الحنطة لفّاحاً، وهو نبت يشبه الباذنجان وثمره اليـبروح ذو رائحـة عطريـة جيـدة، لـه تأثير جنسي فعّال ومثير غريزي معروف، فأعطاه لأمه. وطلبت راحيل من أختها ليئة شيئاً من اللفّاح. فرفضت الأخت قائلة وقد أخذتها الغـيرة مـن استئثار أختها بزوجها وحرمانها منه: **«ألا يكفي أنك أخذت زوجي حتى تعـودي فتأخذي لفّاح ابني»** فقالت راحيل: **«إذاً يضـطجع معك الليلة عوضاً عـن لفّاح ابنك.»**

فلمـا اتـى يعقـوب مـن الحقـل استقبلته ليئـة قائلـة لــه: **«انــي قــد استأجرتك بلفّاح ابني.»** فأضطجع معها تلك الليلة فحبلت وأنجبت له ابنـاً خامساً هو يساكر. ثـم كـرّت بعدهـا مسبحة الأتصـال، فعـادت وانجبـت زبولون وابنة اسمها دينة تكوين ٣٠:٩/-٢١

بهذه البساطة كانت الزوجة تدفع زوجها الى البغاء وأمام عينيها في إباحية وفجور مشروعين ومقدّسين.

وبهذه البساطة كانت الأخت الضرّة تحجب زوجها عن أختها وهي شريكتها فيه، فلا تتركه يضاجعها إلا بأجرة. ففي ماخور بنات لابان لا شيء بالمجان. لكل متعة ثمن.

وبمثل هذه العفوية الساذجة كان قلب الله على الزواني والبغاة والقتلة. فها هو يذكر راحيل وقد امتعته سيرة حياتها ففتح رحمها وحبلت وولدت يوسف ثم ماتت بعد ولادتها لبنيامين.

بالله عليكم، هل تسمحون لأولادكم بقراءة مثل هذه القصص؟ أتقبلون، ان سمحتم لهم بقراءتها، أن يتشبهوا بابطالها؟

ايها القساوسة، يا دعاة التوراة!

ايها الكهنة الأخيار!

اية عظة اخلاقية تستنتجونها من امثال هذه القصص؟

واين الحكمة الالهية في سرد هذه الخلاعات؟...

الانتقام

وحدث لما وضعت راحيل أن يعقوب قـال للابـان اصرفـني لأذهـب ألى عشيرتي وأرضي. اعطني نسائي وأولادي الذين خدمتك بهم فأذهب. و لم يقبل لابان أن يعطيه ما له بل أجبره على البقاء سنة أخـرى يتقاسمـان بعدهـا المواشـي على اساس أن تكون الرقط المنقّطة من نصيب يعقوب، لأن لابان كـان يعـرف ان مواشيه هي على لون واحد فاراد بذلك استغلال ابـن اختـه وصهـره وذلـك بوعده بالماشية المخططة لأنه يعرف بأن النسل الآتي سيكون على شبه القديم.

أما يعقوب، الذي كان صاحب حيلة وفطنة فطريتين، فاحضر قضباناً خضراً من لبنى ولوز ودلب وقشر فيها خطوطاً بيضـاً كاشـطاً عـن البيـاض الذي على القضبان ووضعها على مسقى الغنم والماعز القوية فتتوحم عليهـا وتأتي بنسل مخطط ومرقط قوي يكون من نصيبه. في حين كان يحجب هذه القضبان عن الغنم والماعز الضعيفة فتأتي بنسل ضعيف غير مرقط فتكون من نصيب لابان. هكذا رد يعقوب الصاع صاعين وانتقم من عمه لابان.

وأحس يعقوب بفطرته أن عمه، والد زوجته لن يتركه يرحل بسلام، فدبر بناء لارشاد الرب له، مكيدة رحيله. وأثناء غياب لابان وانهماكه بجـز غنمـه، أعلـم زوجتيـه بـالأمر فأجـابت راحيـل وليئـة: **«ألنـا ايضـاً نصيـب وميراث في بيت أبينا. ألم نحسب منه أجنبيتين لأنه باعنا وقد أكل ثمننا، إن**

كل الغنى الذي سلبه الله من أبينا هو لنا ولأولادنا». تكوين ٣١:/١٥-
١٦ وبهذا بررت الأختان سرقة أموال والدهما. وقام يعقوب فحمل اولاده ونساءه ومسروقاتهما على الجمال متوجهاً الى ارض آبائه وعشيرته حسب ارشاد الرب له تكوين ٣١-١٣

وسرقت راحيل فيما سرقت أصنام آلهة أبيها وأخفتها في حداجة جملها.وفي اليوم الثالث اكتشف لابان هرب صهره ونسائه وأولاده مع مواشيه، فلحقه مع أولاده وأدركه في جبل جلعاد وعاتبه على هربه ولامه على سرقته لتماثيل ألهته. فأنكر يعقوب لأنه لم يكن يعلم بأن راحيل قد سرقت أيضاً التماثيل. وكبريء عرض على حميّه أن يفتش ركبه. وفتش لابان الركب و لم يجد التماثيل لأن راحيل اخفتها في حداجة جملها وجلست عليها ورفضت النهوض عنها بحجة أن عليها عادة النساء. تكوين ٣١:(٣٣-٣٥)

وسُوّي الخلاف بين لابان وصهره يعقوب بإقامة رجمة من الحجارة في جلعيد تكون شاهداً فاصلاً بين مطامع الاثنين، وارتضيا بتحكيم إله ابرهيم وآلهة ناحور بينهما وحلف يعقوب بهيبة أبيه اسحق. تكوين ٥٣:٣١ وأكمل الرحل اليعقوبي طريقه باتجاه الاردن.

راحيل التي افتقدها الله هي وثنية مشركة بقيت على شركها ووثنيتها رغم هذا الافتقاد الالهي لها. هي بنت لابان، بنت بتوئيل بن ناحور أخي ابراهيم، سليلة عائلة وثنية، ولها آلهتها الخاصة تتعبد لها وتنقلها معها في جميع رحلاتها.

وابرهيم تزوج من نسل هذه العائلة وأوصى اسحق ابنه ان يتزوج منها فأخذ رفقة بنت بتوئيل وبدوره أوصى ولده يعقوب فتزوج من راحيل وليئة دفعة واحدة.

فكيف يكون ابرهيم مؤمناً ومتحمساً في إيمانه ويوصي بزواج أولاده من وثنيات وعلى غير إيمانه ويصرّ على ذلك ولا يرضى بغيرهن زوجات لنسله؟

وكيف يصرّ اسحق لو كان مؤمناً وموحداً وموقناً من إيمانه ومن توحيده أن يزوّج ابنه من فتاة وثنية؟

لماذا تسرق راحيل تماثيل والدها؟ هل لتزيّن بها خيمتها؟

أم لإيمانها بها وللتوجّه إليها في العبادة في وطنها الجديد؟ فهي لم تسرق التماثيل لقيمتها الذهبية تعويضاً للإرث الذي تدّعي حقها فيه بل لحاجتها الإيمانية لتلك التماثيل.

يقول قائل علّ راحيل سرقت تماثيل آلهة والدها لتبطله عبادتها وترده إلى الإيمان بالاله الواحد الذي يدّعي زوجها الإيمان به.

هذا الاله هل هو نفسه الذي أتى أثناء الليل وحذّر لابان من أن يكلّم يعقوب بخير أو بشر؟ تكوين ٣١:٢٤

هل هو نفسه الذي ظهر ليعقوب أثناء توجهه إلى كنعان وضربه على فخذه فأوجعه وجعله يخمع من فخذه لذلك لا تأكل بنو اسرائيل عرق النسا الذي على فخذ الغنم لأن الرب ضرب يعقوب على عرق النسا؟

هل هذا الاله هو من ضمن الآلهة التي شهدت في رجمة جلعيد على اتفاق لابان ويعقوب واشترك بالتحكيم معهما في حل القضية؟

هذا الإله ليس إلاّ صورة عن آلهة زمانه: هو إلـه اسرائيل التوراتي ليس إلاّ، والذي تعرفه راحيل ورفقة حق المعرفة: الإله الماكر المخادع، السارق: يسلب والدهما لابان، الذي يسرق بدوره ابن شقيقته وصهره: يعقوب: «... **إن كل الغنى الذي سلبه الله من أبينا، هو لنا ولأولادنا**» تكوين ٣١:١٦

فمن يمكر على من؟

ومن يعلّم الآخر السرقة؟

«ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين»؛ قرآن كريم.

وكي يثبت هذا الإله ذاته ووعده ليعقوب، أمره بتغيير اسمه فأصبح اسرائيل، وعندها عبر اسرائيل ضفة الأردن وبدأ التاريخ العبراني، كذلك وبدأ الوشم العميق فيما حوله من الإيمان وفي المحيط!...

والسؤال من أين جاء كاتب التوراة باسم اسرائيل، أليس أيل هذا هو إله الكنعانيين الذي يأمر بالمحبة والسلام لأن الحرب ضد مشيئته!

أليس هذا إثباتاً لانتحال الشعب العبري الاسم لاكتساب صفة الشعب المختار (أي عائلة الله)؟ إذ أضاف كلمة اسرة إلى أيل؟ وهكذا بشحطة قلم، وباللعب على الكلمات، وبانتحال صفات، وبتبديل أسماء وتغيير سير، أصبحت اسرائيل حقيقة فرضت نفسها على الانسانية في كل الأجيال اللاحقة للعهود التوراتية!.

أسطورة الأرض مقابل السلام

«... وإلى شكيم المدينة خرجت دينة ابنة يعقوب من ليئة، للتفرج والتعرف على بنات البلد. فرأها شكيم بن حمور الحوري فأخذها وضاجعها وأذلّها وتعلّقت نفسه بها وأرادها زوجة له. فكلّم أباه لأجلها.»

وسمع يعقوب بما جرى لابنته فكتم الأمر لغاية في نفسه.

وحضر حمور يطلب يد الفتاة ويرجو مصاهرة آل يعقوب قائلاً: «شكيم، ابني قد تعلّقت نفسه بابنتكم. اعطوه اياها زوجة، وصاهرونا، تعطون بناتكم وتأخذون لكم بناتنا وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم. كثّروا عليّ جداً مهراً وعطية.» تكوين ٣٤:(٨-١٢)

وأجاب بنو يعقوب قائلين: «لا نستطيع أن نعطي أختنا لرجل اغلف... أن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ بناتكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً.»

وقبل أهل شكيم واختتن كل ذكر فيهم وفي اليوم الثالث وأثناء تألمهم من عملية الختان، دخل بنو يعقوب المدينة وقتلوا كل ذكر فيها ونهبوا ثروتها وسبوا نساءها وأولادها.

مجزرة شكيم هي صورة لأول مجزرة كرّست خيانة الضيف لمضيفه وأصبحت مثالاً يكرره ورثة يعقوب بجميع أسباطهم في أرض فلسطين بلا

رحمة ودون شفقة. فهم كل مرة وفي جميع المفاوضات يتمسكتون أول الأمر ويتظاهرون بالقبول ويستدرجون خصمهم إلى الوقوع في حبال غايتهم المخفيّة جيداً، إلى حين يشعرون بقوة موقفهم فينشبون مخالبهم في عمق المناحر ويكون النصر لهم.

لماذا يحق ليهوذا أن ينظر أبنة شوع الكنعاني فيأخذها زوجة ويدخل عليها وكان له من نسلها عير واونان وشيلاً؟ تكوين ٣٨:/١–٥

لماذا لا يحق ذلك لحمور بن شكيم مع أنه عرض الزواج الشريف على دينة حسب الأصول وبمهر يقدره أهل العروس؟

لماذا لم يطبقوا ما جاء في شريعتهم «**واذا راود رجل عذراء لم تخطب فاضطجع معها، يمهرها لنفسه زوجة، أن أبى ابوها أن يعطيه إياها، يزن له فضة كمهر عذارى...**» خروج٢٢/١٦

أم أن شرائعهم مزاجية يطبقونها على من يرغبون وكيفما يشاؤون وساعة يريدون؟

ثم لماذا ذهبت دينة ألى المدينة؟ الأجل التعرف على بنات البلد أم لأغراء شباب البلد وهذا ما حصل بالفعل؟

لماذا رفض يعقوب أسرائيل عرض أهل شكيم: الأرض مقابل السلام؟

ولماذا يقبلونه اليوم؟

هل اقتنع اليهود بفكرة اقامة اسرائيل الاقتصادية التي تمتد الى عمق العالم العربي واعتبار اسرائيل، الدولة، بحدودها الحالية، مركزاً اساسياً دينياً وسياسياً لاسرائيل الاقتصادية؟

هل ارتضوا بذلك واغفلوا ما جاء في توراتهم؟ وماذا سيفعلون بالاله العسكري المحارب، الذي وعدهم بالدولة التوراتية؟

هل سيبدلونه باله آخر ويكتبون لاجله توراة جديدة؟

هل تغيرت اسرائيل واتمت خطط التوراة؟

او تغيَّر العالم فأصبح مختوناً كله على دين اسرائيل؟ فالويل حينها للعالم من غدر اسرائيل!...

أن خيانة آل يعقوب لشكيم تسقط إذا ما قورنت بخيانة الأخوة فيما بينهم وتآمرهم على أحدهم نكاية بوالدهم يعقوب الذي كان يحب يوسف من زوجته راحيل، اكثر من بقية أخوته. هذا التحابي في المعاملة أوغر صدر الأخوة على أخيهم وباتوا يتحينون الفرص للإيقاع به والتخلص منه. وأتتهم الفرصة حين أرسل يعقوب ابنه يوسف ليتفقد أخوته في البرية، واثناء محاولتهم إلقاءه في بئر، مر تجار اسماعيليون فباعوه لهم بعشرين من الفضة!... وذبحوا تيساً وصبغوا قميص يوسف بدمه ليقولوا لوالدهم إن ذئباً افترس أخاهم .تكوين ٣٧: ٤ وما بعدها.

وتوالت الخيانات والتآمر في تاريخ آل يعقوب فيوضاس باع معلمه بثلاثين من الفضة وسلّمه للقتل على أيدي جلاّديه من ورثة اسرائيل.

وبطرس, على الرغم من معاشرته لأعظم رسـول محبـة، يخـون سـيده وينكره ثلاثاً وقبل صياح الديك!....

لو قبل اسرائيل وأولاده عرض آل شكيم منذ ذلك التاريخ لما كـانت حرب فلسطين ولما كـانت مأسـاة القـرن العشـرين ومـا سـيليها بعـده مـن المآسي.

رأوبين يضاجع زوجة ابيه

«رأوبين انـت بكـري، قوتـي وأول قدرتـي، فضـل الرفعـة وفضـل الرفعة وفضل العز.» تكوين ٤٩ : ٣.

هكذا قال يعقوب عن رأوبـين بكـره مـن ليئـة والـذي في غفلـة عـن والده ذهب وضاجع زوجة أبيه بلهة. **«وحدث ان كان اسرائيل ساكناً في تلك الأرض «مجدل عدر» ان رأوبين ذهـب واضطجـع مـع بلهـة زوجـة أبيه»** تكوين ٣٥ك ٢٢

لم ينفعل اسرائيل و لم يغضب لأن الأمر عادي وغالباً ما يحصل فكـل ما قاله أنه شبّه ولده الزاني بالماء الفاتر:

«فاتراً كالماء لا تتفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك فدنسته.»

تكوين ٤٩ : ٤

لماذا لم يطبق يعقوب أحكام الشريعة على ابنـه فيقتلـه ويقتـل زوجتـه الزانية معه؟

«واذا اضطجع رجل مع امرأة ابيه. أنهما يقتـلان كلاهمـا.دمهمـا عليهما.» لاوين ٢٠/١١

ولماذا اغفل يعقوب وصية التثنية ٢٣/٢ **«ولا يدخل زنيـم في جماعـة الرب ولو في الجيل العاشر.»**

آل يعقوب، ألم يكونوا في جميع أجيالهم وعلى مدى العصور وحتى اليوم من جماعة الرب؟ أليسوا شعبه الخاص؟ أليس هذا الرب من صناعتهم؟ وتشريعه أليس من نسيج غاياتهم؟ ألم يكونوا جميعهم زنماً؟

وبلهة زوجة يعقوب تزني مع ابن زوجها لماذا؟

هل رأوبين ابن زوجها هو أول من زنت معه؟

هل هو آخرهم؟ أو أنه احدهم؟

أجيبي يا ست بلهة فلقد عفا الله عما مضى!

أما انتم يا مروّجي الفكر التوراتي فأجيبوا اية فضيلة اخلاقية تستخلصونها من هذه القصة؟.

الاونانية L'ONANISME

كما بدأت اللواطية بلوط واشتهرت به، كذلك الأونانية هي مأثرة آل اسرائيل التي بدأت بأونان بن يهوذا:

«...وحدث في ذلك الزمان أن يهوذا نزل من عند أخوته ومال الى رجل عدلامي اسمه حيرة. ونظر يهوذا هناك إبنة رجل كنعاني اسمه شوَع. فأخذها ودخل عليها. فحبلت وولدت ابناً ودعا اسمه عيرا. ثم حبلت وولدت أبناً ودعت اسمه أونان. ثم عادت فولدت ايضاً ابناً ودعت اسمه شيلة.

واخذ يهوذا زوجة لعير بكره اسمها ثامار. وكان عير شريراً في عيني الرب فأماته. فقال يهوذا لأونان أدخل على امرأة اخيك وتزوج بها وأقم نسلاً لأخيك. فعلم أونان أن النسل لا يكون له. فكان إذ دخل على امرأة اخيه أنه أفسد على الارض لكيلا يعطي أخاه نسلاً. فقبح في عيني الرب فعله فأماته ايضاً.

فقال يهوذا لثامار: «اقعدي ارملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني...» تكوين ٣٨:/١-١١

كما اللواطية فأن الأونانية بداية لمذهب الحقد والأنانية انتشر بعد اونان وقبل اكتشاف حبوب منع الحمل!...

قبح عمل أونان في عيني الـرب فأماتـه: لأن هـذا الـرب ضـد تحديـد النسل، على ما يبدو!.

ولما ماتت ابنة شوع الكنعـاني حـزن عليهـا زوجهـا يهـوذا الى حـين انقضاء مدة الحداد ثم ذهب إلى تمنة ليجزّ غنمهُ...

وعلمت ثامار... ثامار الجميلة أرملة عير ثم أرملة اونـان مـن بعـده، بسفر حميّها. فخلعت ثياب ترملّها على زوجها، وتنكّرت وجلست كعاهرة على مدخـل عينـايم علـى طريـق عـودة يهـوذا، ومقصدهـا أن تـأتي بنسـلٍ لزوجها ومن صلب يهوذا بالذاتّ...

وظنّها يهوذا زانية، فطاب قلبه وفاوضها بالدخول عليها لقـاء جـدي ماعز يرسله إليهـا. ولغايـة في نفسـها، طلبـت منـه أن يرهـن عندهـا خاتمـه وعصاه وكوفيته إلى حين وفائه بالوعد.

يهوذا أرمل يتوق إلى لقاء النساء!

وثامار أرملة مرتين وتتوق إلى الرجال وإلى تحقيق مطمح كبير!.

وصدق المثل بهما: «**أعزب دهر ولا أرمل شهر**» وتمّ اللقاء وحملت ثامار من حميّها دون أن يعرفها...

وأرسـل يهـوذا الجـدي مـع صاحبـه العدلامي، حيرة، وطلـب إليـه استرداد المرهونات من الزانية. فأتى العدلامي وفتّش عن الزانية وسـأل عنهـا فلم يعثر عليها.

وبعد أشهر ثلاثة ظهر حمل ثامار. وأتهمت بالزنى. فقال يهوذا: **«اخرجوها لتحرق!»**.

فلما أخرجت للحرق قالت أنا حبلى من صاحب هذه الكوفية والخاتم والعصا! واسقط في يد يهوذا فقال: **«هي أبرّ مني»**.

وكان موسم زنى الحمى مع كنته خيّراً وخصباً إذ أنجبت ثامار توأمين: فارص وزارح.

مواسم الزنى التوراتي فيّاضة، خيّرة، معطاءة.

والرب التوراتي يشرّع ويشهد ويبارك ويعفو.

«فإن لم يرض الرجل أن يتزوج إمرأة أخيه فلتصعد إمرأة أخيه إلى الشيوخ وتقل قد أبى أخو زوجي أن يقيم لأخيه إسماً في اسرائيل ولم يرضني زوجة. فتستدعيه الشيوخ ويكلّمونه في ذلك فإن أصرّ على الرفض فتتقدّم إمرأة أخيه بحضرة الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتتفل في وجهه قائلة هكذا يصنع بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه».

لم يخطر ببال ذلك الإله إن الحمَ سيضطجع يوماً مع كنته لذلك لم يشرّع شيئاً يدينهما به.

مبارك اسم يهوذا لأنه بنى لابنه بيتين دفعة واحدة! وحفظ له توالي النسل المبارك إلى الأبد؟...

مقدّسة هي التوراة بمثل هذه التعاليم وبمثل هذه الأمثال!...

هذه المثل، هذه القيم، هذه المفاهيم التي يزخر بها الكتاب المسمّى مقدساً، هل تتمنى قارئي الجريء، أن تتلى على مسامع أولادك؟

هل تقبل أن تكرز عليهم وتحت ستار مقدس؟

إلى متى الصمت؟

والام الغفلة؟

وحتام التعمية؟

ردّ الجميل

وينتهي سفر التكويـن بسـرد قصـة يوسـف بعـد أن باعـه إخوتـه إلى إلتجار الاسماعيليين بعشرين من الفضة ثم انتقاله إلى ملكيـة فوتيفـار خصـي الفرعون...

وتسـرد التـوراة إغـواء زوجـة الخصـي ليوسـف وتمسّكه بطهارتـه. وانتقاماً لكرامتهـا ادّعـت لزوجهـا ان يوسـف يراودهـا علـى نفسـها فـأمر بسجنه. ثـم تـروي التـوراة قصـة حلـم الفرعـون وعجـز المنجمـين تفسـيره فأُحْضِرَ يوسـف مـن السـجن وكـان قـد اشـتهر فيـه بمقدرتـه علـى تفسـير الأحلام، وفسّر الحلم للفرعون تفسيراً أرضاه فعيّنه مدبّـراً عامـاً علـى مصـر وأطلق يده في أمور الشعب فاحتكر الغلال ومنعها عن المصريين زمن المجاعة مما اضطرهـم لبيع أراضيهم لصالح سيده مقـابل تقويتهـم. فكـان الاحتكـار الاول والاقطاعية الأولى في التاريخ البشري المدوّن. واسـتدعى يوسـف أبـاه وإخوته وسيّدَهم على مصر. وتنتهي القصة بمـوت يعقـوب في مصـر ونقـل رفاته إلى حقل المكفيلة بناء لوصيتـه. ثـم يمـوت يوسـف بعـد أن اسـتحلف إخوته أن يصعدوا عظامه من مصر. تكوين ٥٠:٢٥

أرض الميعاد يا يوسف لم تحتمل أحداثك زمن الضيق وها أهلك أيضاً يأتون مصر، أرض الخيرات، فكانت مُزن خـير عليهـم وكنـت سـيداً فيهـا،

أتيتها عبداً مباعاً وأصبحت سيدها الحر، وها أنت تنكر فضلها فتستحلف إخوتك قبل موتك أن ينقلوا عظامك منها! لماذا؟ أرد جميل يا ترى؟

أم لعادة في نفس العبيد؟

كتاب خدمة الإكليل

بعد دخول العروسين الكنيسة، للقيام بمراسم الزواج، وبعد نهاية الدورة الثالثة، يرفع الكاهن الإكليل عن رأس العريس قائلاً:

«عظّمك الله أيها العريس مثل ابرهيم وباركك مثل اسحق وكثّرك مثل يعقوب. سر في السلام واحفظ بالبر وصايا الله».

ثم يرفع الكاهن الإكليل عن رأس العروس قائلاً:

«وأنت أيتها العروس، عظّمك الله مثل سارة، وأبهجك مثل رفقة، وكثّرك مثل راحيل. إهنئي برجلك حافظة حدود الناموس لأنه هكذا حسن لدى الله.»

هكذا تمجّد الكنيسة أرباب التوراة وتحضّ العروسين على التشبّه بهم دون العودة لمناقبيتهم أو إغفالاً متعمداً لها.

فابرهيم تخلّى عن شرفه وباع عرضه مرتين وتخلى عن بقية أولاده! واسحق حاول تقليد والده ولكن لمرة واحدة فقط، لم يتحقق فيها مأربه، كما أنه كان ضعيفاً أمام زوجته ومتحابياً مع أولاده.

ويعقوب بطل الاحتيال الاسطوري وزير النساء الذي لم يبلغ شأو شبقه أحد و لم تستطع مغامرات فلنتينو ودون جوان وراسبوتين أن تبلغ في تعدديتها جزءاً من أخباره، كان عابد أوثان ومتحيزاً مع أولاده، كما كان

خائناً ينكث عهوده ويقتل مضيفه كما فعل بخدعة الختان المشهورة في أهل شكيم. و لم يحسن تربية أولاده إذ لم يعلّمهم شيئاً من المناقبية، فضاجع بعضهم إحدى زوجاته!

من أين لأبطال التوراة، هؤلاء، المناقبية الأخلاقية؟ وكيف يطلب الكاهن من العريس أن يتشبه بهم؟ وعلى أية فضيلة يستند في ذلك؟

أيجهل هؤلاء الكهنة، قصة هؤلاء الأبطال في سفر التكوين؟

أم انهم لم يقرأوها؟

أم انهم لم يفهموها؟

أم انها زُيّفت وفُرضت عليهم في طقوسهم تكريساً للوشم التوراتي في الدين المسيحي؟

وسارة من هي؟

هل حفظت حدود الناموس؟

ألم تقبل أن تبيح نفسها للفرعون ثم لابيمالك إرضاء لرغبة زوجها؟ وما الفرق بينها وبين أية عاهرة تقبل أن تبيع عرضها بناء لرغبة قوادها؟

سارة هذه ألم تطرد هاجر الحبلى وبدون شفقة؟

ألم يقسو قلبها على جاريتها وجنينها؟

ألم تدفع بتلك الجارية إلى أحضان زوجها وكانت السبب في شقائها؟

ثم ألم تشرّد اسماعيل وأمه لأنها رأته يلعب؟

ألا يحق لابن الجارية أن يستمتع بألعاب سنّه، في الملعب الوالدي؟

ألا ينفطر قلبك أيتها العروس لمثل هذه الأخبار؟

فهل تقبلين أن تتشبهي بسارة؟

حريّ بنا أن نروي قصة سارة على حقيقتها ونعرّف الناس على سلوكها وعلى قساوة قلبها فنقول: أقسى من قلب سارة، فنعمم تصرّفها ونشهرها بما كانت عليه فلا نغطّي الحقيقة ونموّه التاريخ.

ورفقة ألم تحاول لعب دور سارة فخانها الحظ إذ لم يلتفت إليها أحد؟ فأية بهجة كانت لها في حياتها؟

ألا تمثّل دور الأم الجاهلة المتحكمة بزوجها والتي تحابي بين أولادها فتعلّمهم الحقد والتنافر والكراهية والاحتيال والغش والكذب؟

هل تقبلين أيتها العروس والأم العتيدة أن تكوني مثل رفقة فتعلّمين أولادك المباغضة وكراهية الأهل وتغشّين زوجك؟

وأما راحيل فيقول الكاهن: وكثّرك مثل راحيل.

ألا يعلم كهنة الدين المسيحي بأن راحيل بقيت إلى زمن بعيد شبه عاقر و لم تنجب إلا يوسف وماتت في أثناء ولادتها لبنيامين؟

لماذا لا يعترف هؤلاء الكهنة بزوجة يعقوب الأولى: ليئة، وهي المرأة المنجاب إذ ولدت: رأوبين، شمعون، لاوي، يهوذا، يساكر، وزابلون؟

ألأن راحيل هي البادئة في دفع جاريتها بلهة إلى أحضان زوجها يعقوب فيرتكبان الفحشاء أمامها وبرضاها وتحت ستار مقدس؟

أم لأنها بقيت على وثنيتها فسرقت تماثيل آلهة لابان والدها، لتمجّدها في وطنها الجديد، أرض كنعان في شكيم؟

أم لأنها محتالة من الدرجة الأولى تسرق وتعرف كيف تخفي فعلتها؟ وما ذنبها إن كانت على صورة إلهها؟

أم لأنها باعت ليلتها لأختها ليئة مقابل قليل من لفّاح وحده رأوبين ابن ليئة؟

هل حفظت تلك السيدات المناقبيات حدود الناموس والأخلاق؟ بأية مباركة، يا كهنة الدين المسيحي، تباركون بها عرسانكم؟ لماذا لا تكرزون عليهم شيئاً من تعاليم يسوع وأقواله وسيرته وطهارته بدل سفائف الرذيلة هذه ورجاسات التوراة؟

عظّمك الله مثل سارة أيتها العروس وأبهجك مثل رفقة!

بأي شيء تعظّمت سارة؟

ولأي شيء كانت بهجة رفقة؟

أتتعظمين أيتها العروس بكونك عاهراً مثل سارة؟

أتبتهجين مثل رفقة حين تمزّقين أوصال عائلتك وروابط الإخوة بين أولادك؟

وأنت أيها العريس أترضى أن تكون مثل ابراهيم، قوّاداً يدفع امرأته إلى الرذيلة طلباً للحياة؟

أيرضيك أن تكون زوجتك مثل سارة؟ أم مثل رفقة أمّا جاهلة؟

أيتها المسيحية تطهّري من إثم الوثنية اليهودية وانفضي عنك غبار عهرها الذي أرادوه لك. وعلّمي ومارسي فضائل يسوع الحقيقية!

لتنتفض المسيحية ولتمحِ إلى الأبد آثار وشم هذه الوثنية بثورة علمية عقلية ينفّذها قساوسة ورهبان الكنيسة، إنقاذاً لتعاليم المسيح ولرد الاعتبار إلى جوهر تلك التعاليم!...

الثورة الآن مطلوبة قبل فوات الأوان لأنه بعد قليل لن تبقى المسيحية وحينها لن يكون فرق بين القساوسة والرهبان بجميع درجاتهم وفُرَقِهم وبين حاخامات التوراة!...

وللحديث تابع

عند بعض الطوائف المسيحية في أثناء خدمة الإكليل يقول الكاهن للعروس ممتدحاً جمالها ومعدداً خصالها: «**اسمعي يا ابنتي وانظري وانسي شعبك وبيت أبيك فيشتهي الملك جمالك**» فهل نسي هؤلاء الكهنة وصية المسيح: «**من نظر إلى إمرأة فاشتهاها فقد زنى بها في قلبه**».

ألا يعرف هؤلاء الكهنة بأن الزنى يبدأ شهوة في الفكر ثم يمارس جسدياً؟

أنسي هؤلاء الكهنة أن طهارة التعاليم المسيحية تحرّم الزنى حتى ولو بالفكر؟

فكيف يحضوّن العروس ويشجعونها لتكون سبباً للإغواء وللشهوة عند الملك؟ ألا تكون العروس بذلك مسؤولة عن الزنى ولو بالفكر، حتى وإن لم تشارك به جسدياً؟

وإن لم يكن كذلك فلماذا الحشمة التي تطلبها الكنيسة والتعاليم المسيحية من النساء؟

ثم هل اشتهاء الملوك هو غيره عند سائر الرجال؟

وهل الملوك هم غير سائر الرجال؟

وهل زناهم فضيلة ومباركة، وزنى عامة الناس خطيئة ورذيلة؟

أو لأن هذا الإغواء وهذا الاشتهاء لهما ما يبررهما، إذ ذكر في التوراة في سفري يهوديت واستير، أنهما يكونان أحياناً للفضيلة؟

«فيهوديت أرملة منسى وكانت جميلة المنظر جداً» يهوديت ٨:٧

يوم عزمت على مساعدة شعبها من ظلم أليفانا، **«تركت ثياب ترملها واستحمّت وادّهنت بأطياب نفيسة وفرّقت شعرها... وتزيّنت بكل زينتها... وزادها الرب بهاء من أجل أن تزينها هذا لم يكن عن شهوة بل عن فضيلة» يهوديت ١٠:(٣-٢٠)**

ولما رآها اليفانا القائد العسكري أغواه جمالها وشغف قلبه بمحاسنها فاشتهاها. ولما أدخلها الخيمة أسكرته فنام. عندها، قامت قائلة: **«أيدني أيها الرب إله اسرائيل وانظر في هذه الساعة إلى عمل يدي حتى تنهض اروشليم مدينتك كما وعدت» يهوديت ١٣:٧** ثم عمدت إلى خنجره فاستلته وقطعت رأسه.

وخلاصة قصة استير أن الملك احشويرش أقام في السنة السادسة لملكه حفلة صاخبة لجميع زعمائه وعبيده وجيشه ليظهر غنى مملكته المجيدة. ولما طاب قلبه بالخمر طلب من خصيانه أن يؤتى بزوجته الملكة وشتي **«ليرى الشعوب والزعماء جمالها لأنها كانت حسنة المنظر» أستير ١:١١**

ولما رفضت الملكة، غضب الملك وقرر بناء لنصيحة مستشاريه عزل الملكة واعطاء الملك لمن هي خير منها وجمعت أبكار المملكة لاختيار الجميلة البديلة للملكة وشتي. وكان من بينهنّ جارية يهودية يتيمة الأبوين اسمها هدسة أو استير. **«وكانت جارية جميلة الشكل، حسنة المنظر» استير ٢:٧**

وفي أثناء استعراض احشويرش الملك للحواري فتنه جمال هدسة وأغواه حسن منظرها فاختارها لتكون بديلة عن الملكة العفيفة المعاندة.

الملكة وشتي التي رفضت طلب زوجها الملك أن يستعرضها أمام الزعماء والجيش والتي عصت أمره بارتكاب المعصية، هي امرأة مرذولة الفعل، مذمومة التصرف، قبيحة الذنب والأخلاق حسبما جاء في التوراة!...

فأما الاغواء والإغراء وإظهار المفاتن والمحاسن كما فعلت استير، فتكلم من فضائل المرأة التوراتية!... وهدسة أو استير هي النموذج التوراتي للمرأة التي تغوي وتغري وتوقع في التجربة. ومثيلاتها كثيرات في أحاديث التوراة... وكلهن بطلات، رافعات لرايات الشرف والشهامة والعفة والغيرة القومية!...

ولم تكتفي استير بقلب الملك لأنها كانت تبغي قلب المملكة، فأوقعت بهائها بوزيره هامان واتهمته باغتصابها فكان أن علّقه الملك على باب المدينة، فأنقذت شعبها منه وتحكّمت مع عمّها مردكاي بخيرات المملكة!

ألا يكفي هذا التبرير لأن يصبح الاغواء فضيلة؟

ألا يكفي لأن يكون الاشتهاء مسموحاً به وقد أجازه الرب التوراتي وباركه؟

في التوراة نوعان من الزنى: أحدهما مبارك ومقدّس والآخر زنى رذيلة «وقلّة أخلاق». الزنى التوراتي ذو المصلحة العامة هو زنى أخلاق وطنية وفضيلة قومية مقدسة!...

كما ان في التوراة نوعان من الاغـواء: اغـواء شـهوة عـاهرة واغـواء فضيلة مقدسة.

ما أفقرك أيتها المسيحية! ففـي تعـاليمك حتـى الزنـى فـي الفكـر ممنوع!...

ما أفقرك بالجسد وما أغناك بالروح!

ما أعظم تعاليمك وما أقل المؤمنين بك!

لو كنت تمارسين اليوم فهل كـان هنـاك مـرض فقدان المناعـة «السيدا»؟

وهل كان هناك حروب وبغض وعداوات؟

ولمن ستباع أدويـة مـرض السيدا وأدويـة الأمـراض الزهريـة، والسفلس والهوس الجنسي، لو كثر المؤمنون بتعاليمك؟

«وبارات الجنس» واستعراضات التعرّي، واسواق بنات الهوى والأفلام الإباحية وألبسة الإغراء وعطور النداء، وغيرها وغيرها... والحروب وأسلحة الدمـار، كلهـا لمـن كـانت ستقام ومـن هـم روّادهـا ومشاهدوها وممارسوها وزبائنها، ومعلنوها وتجّارها وصانعوها... لـو كـثر اتبـاع المثاليـة المسـيحية وأصبحـت اقتناعـاً فكريـاً وممارسـة يومية أخلاقية؟

الحياة في مصر

في عهد رعمسيس الثاني ابن سيتي الأول ساءت العلاقة بين المصريين واللاجئين اليهود فأمر رعمسيس قابلتي العبرانيات: شفرة وفوعة أن تقتلا كل مولود ذكر للعبرانيين. و لم تنفّذ القابلتان أمر الملك بحجة أن العبرانيات قويات يلدن قبل وصول القابلة إليهن!... عندها أمر الملك بإلقاء من يولد من ذكور العبرانيين في نهر النيل!... في ذلك الوقت تزوّج عمران اللاوي من عمته يوكابد فولدت له هارون وموسى. ولما رأت يوكابد أن موسى حسن الصورة خبّأته ثلاثة أشهر ثم بعدها أخذت سفطاً من البردى وطلته بالحمر والزفت وضعت الولد فيه وخبّأته بين الحلفاء على حافة النهر.

وأثناء نزول ابنة الفرعون ترمتس TERMUTHIS إلى النهر لتستحم وكانت مصابة بالبرص، رأت السفط في الماء فأرسلت خادمتها وأخذته ولما فتحته إذ هو صبي يبكي. فرق قلب ابنة الفرعون عليه. وعرفت انه صبي عبراني. وظهرت اخت موسى، مريم، وكانت مختبئة ترعى الولد من بعيد. فتقدّمت من ابنة الفرعون عارضة عليها أن تأتي لها بمرضعة للولد.

وهكذا كان، فجاءت الفتاة بأمها إلى ابنة الفرعون التي عهدت للأم إرضاع الولد لقاء أجر. فأخذت يوكابد ابنها فأرضعته ولما كبر جاءت به إلى ابنة الفرعون.

وترعرع موسى في بلاط الفرعون كإبن لابنته ترمتس وأخذ اسماً فرعونياً: يوزرزيف وتعلّم كأبناء الفراعنة: الهندسة والفلك والفيزياء والكيمياء والسحر والتنجيم وما إلى ذلك من علوم الفراعنة التي كانت محصورة فيهم دون غيرهم وكانوا في ذلك الزمان في أوج مجدهم العلمي، وبناء الأهرام خير شاهد على تفوّقهم العلمي الذي امتازوا به دون غيرهم من الشعوب.

ولما بلغ موسى الأربعين وكان فارع البنية قويّها، عرف انه ينتمي للعبرانيين وانه ابن بالتبني لابنة الفرعون فخرج يوماً يفتقد أبناء شعبه فرأى مصرياً يضرب عبرانياً، فغلت الحمية العرقية في رأسه فقتل المصري ودفنه في الرمل.

وفي اليوم التالي شاهد عبرانيين يقتتلان فتدخّل مصلحاً بينهما فقال له أحدهما: أمفتكر أنت بقتلي كما قتلت المصري؟

وشاع الخبر وسمع الفرعون بالأمر فطلب أن يُقتل موسى الذي فرّ إلى أرض مديان وجلس عند البئر علّه يجد مجيراً يحتمي به.

وجاءت بنات كاهن مديان، يثرون بن رعوئيل، وكن سبعاً، للاستقاء من البئر لغنم أبيهن. فمنعهن الرعاة وطردوهن فما كان من موسى وقد أخذته النخوة، أن نهض وأنجدهن وسقى غنمهن. وذهبت البنات وأخبرن أباهن الذي جاء يشكر موسى ويرجوه أن يقبل ضيافته. فقبل موسى وأقام في مديان وتزوّج بصفورة إحدى بنات الكاهن وولدت له جرشوم والعازر.

وفي هذه الأثناء مات الفرعون ميرنفت الذي حكم بعد والده رعمسيس فتنهّد العبرانيون ورفعوا صوتهم يستغيثون الله.

«وحدث في تلك الأيام ان ملك مصر مات وتنهّد بنو اسرائيل من العبودية وصرخوا، فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية، فسمع أنينهم وتذكّر ميثاقه مع ابراهيم واسحق ويعقوب» خروج ٢:(٢٣-٢٥).

هكذا كان المولد التوراتي لموسى، وهكذا كانت نشأته، وبداية الطريق إلى التحرير والخروج، هكذا بدأت، مع موسى، الطفل الوحيد في العالم منذ فجر التاريخ، الذي أرضعته أمه وأخذت أجرة رضاعته. أصدفة هي أم تكريس لواقع اليهود الذين لا يقدمون شيئاً بالمجان؟

ترعرع الطفل في البلاط الفرعوني وعاش عيش الأمراء، يتعلّم علومهم، يتمتّع بنعم الحياة وبذخها... ويكهن في معبد هليوبوليس مما سمح له بالاطلاع على كافة الاسرار المودعة في خزائن الهياكل التي لا يطلع عليها إلاّ القلّة النادرة من كبار الكهنة العلماء: Les hiérophantes وهذا ما سمح له فيما بعد بالوصول إلى قمة العظمة في التاريخ العبري خاصة وان حدته بالحضانة بيترا BYTHRA، زوجة الفرعون ميرنفت، قد تعلقت به كثيراً، فاطلعته على اسرار الكهانة، اذ كانت كاهنة لاوزيريس وملمّة بكل الامور والاسرار واعدّته لتسلم السلطة بدل ابنها المختل عقليا: الفرعون امينوفس.

لدى بلوغ موسى الاربعين وبتشجيع من والدته ترمتس، حاول القيام بثورة انقلابية ضد خاله، بالتربية، الفرعون امينوفس AMENOPHIS، ولما

فشل، استفاقت فيه الروح الذئبية، ووجد نفسه يهوديا، فتخلى عن اسمه الفرعوني اوزرزيف OSARSEPH وذهب هائماً على وجهه يتفقد احوال بني قومه في غربتهم فارتكب جريمته الاولى بقتله احد المصريين دفاعا عن احد ابناء أمته وهرب إلى مديان وتزوج من ابنة كاهنها!...

لا تخبرنا التوراة عن دين ذلك الكاهن، هل كان موحّداً على دين أخناتون أو كان وثنياً كغيره من الكهنة الذين تآمروا مع نفرتيتي زوجة أخناتون وأشترك معهم في تسميم أول فرعون داعية للتوحيد!؟...

المهم أن موسى تزوج من صفورة ابنة كاهن مديان، يثرون، دون الاهتمام إلى خلفية هذه الفتاة الدينية أو العرقية و لم يسأل عن أصلها إن كانت يهودية أم كنعانية أم أرامية أم مصرية، فكيف تم هذا الزواج بين يهودي ومديانية؟

ألم يخلق هذا الزواج، حساسية في قلب الاسلاف الذين شرّعوا وأوصوا الكثير بأمور الزواج وحددوا القوانين والأطر لذلك ؟

ألم يرفض آل يعقوب تزويج أختهم دينة من شكيم بحجة أنه أغلف؟ ألم يرتكبوا مجزرة لأجل ذلك؟

هل كان شعب مديان يعرف الختان حتى تمت المصاهرة بلا عقد؟ أو أن الله كان مشغولاً في ذلك الوقت بحل العقدة اليهودية إذ تذكر عهده لابرهيم وإسحق ويعقوب حين وصل إليه صراخ الشعب العبراني؟

أيعقل أن يعد الله شعباً بشيء ثم ينسى وعده؟

ثم لماذا يعد الله شعباً دون غيره، وهو غير ملزم بالوعد، لأن نعمة خلقه وعد بحد ذاته؟

هل الله خرف حتى ينسى أو أن مشاغله كثيرة فينسى؟

هكذا تريده التوراة بحرفية الكلمة أن يكون!.

والعبودية التي تتحدث عنها التوراة!.

اية عبودية ومن يستعبد من؟.

ألم يستعبد يوسف مصر؟

ألم يحتكر خيراتها؟

ألم يستغل جوع الشعب وحاجته إلى الطعام فيجبره على التنازل عن أرضه؟

ألم يكن مدبر الفرعون والحاكم بأمره؟

ألم يأت بشعبه الى مصر فيميزهم بالمعاملة ويخصّهم في كل شيء؟

ألم ينافس هؤلاء الأغراب الشعب المصري على خيراته وطعامه؟

من الطبيعي في أيام الجوع أن يحقد الشعب على حكامه الذين يستغلون محنته، ومن الطبيعي في حال قيام ثورة على الحاكم أن يضطهد الشعب جميع من كان يعتبرهم سبباً لمحنته، فهل من العجب أن يتعرض اليهودَ العبرانيون الغرباء عن مصر، وهم يشكلون رأس الحربة الحاكمة، للاضطهاد والكراهية؟

«بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم وازود»

في محنة الشعب المصري طيلة سبع سنوات لم يلتفت الله إليه، همّه الشعب العبراني، المتنعم بخيرات مصر وعلى حساب شعبها وقد اتخم من خيرات اهرائها التي يسيطر عليها ويتحكم بمواردها كيفما شاء. ولكن ما إن صرخ الشعب العبراني حتى تذكر ذلك الإله وعده لأبراهيم واسحق ويعقوب..

مسكين ذلك الإله! فهو على صورة رفقة التي حابت بين بنيها ففضلت يعقوب على عيسو، وهو بدوره يفضل العبرانيين على المصريين، فلا يهمّه غيرهم، ولا يصله صوت غيرهم، ولا يتذكر شيئاً الا الوعد الذي قطعه لآبائهم!.

ام مسكينة رفقة، وما ذنبها، إن كانت على صورة إلهها؟.

أهيه الذي اهيه Fyhe Asher Fyhe

في اثناء هرب موسى ظهر له الرب الإله في جبل حوريب من خلال العليقة الملتهبة آمراً إياه بخلع نعليه لأن الارض التي يقف عليها هي أرض مقدسة. وعرّف الرب الإله موسى على نفسه: **«انا إله ابيك إله ابرهيم وإله اسحق وإله يعقوب»** خروج ٣:٦

ثم إن الله اخبر موسى أنه سينزل لينقذ شعبه من المصريين وليصعدهم إلى أرض جيدة وواسعة تفيض لبناً وعسلاً، إلى مكان الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحوريين واليبوسيين. ثم أمر موسى بأن يتقدم وشيوخ بني اسرائيل من الفرعون لطلب إجازة. فقال موسى للرب ليتثبّت من شخصيته ومن صدق كلامه: **«ها اني آتي الى بني اسرائيل واقول لهم: إله آبائكم أرسلني إليكم فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم فقال الله لموسى: أهيه الذي اهيه** Fyhe Asher Fyhe خروج ٣: (١٣-١٤)

ومعناها انا هو الذي هو

ثم يرشد الله موسى إلى ما يجب فعله خاتماً قوله: **«تدخل وشيوخ بني اسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له: الرب إله العبرانيين التقانا فالآن نمضي سفرة ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا. ولكني أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضون. فأمد يدي واضرب مصر بكل عجائبي وبعد ذلك يطلقكم وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين فيكون حينما**

تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم. فتسلبون المصريين.» خروج ٣:١٨-٢٢

أهيه الذي اهيه، إله ليس كالآلهة!... لا يعرفه موسى ويجهل حتى اسمه لأنه نشأ في بلاط الفراعنة، كأبن للاميرة ترمتس التي هيأته ليتسلم الحكم بدل أخيها امينوفيس، فكان ان أكتشف أمره وفرّ طريداً في صحراء سيناء يفتش عن بديل لمجده الضائع!...

أهيه الذي اهيه: الإله التوراتي، إله العبرانيين دون غيرهم يعلّمهم السرقة والاحتيال والاختلاس والخيانة ويشرّع لهم المخازيّ.

أهيه الذي اهيه، اله يغتصب أرض الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين واليبوسيين وغيرهم ليعطيها للعبرانيين القتلةّ.

أهيه الذي اهيه إله يستعمل عظمته وقدرته ليفرض على المصريين حل الاستسلامّ.

ما ذنب المصريين؟ ألم يحسنوا قراية العبرانيين؟

ألم يفسحوا لهم؟

ألم يقاسموهم لقمة العيش والحياة المشتركة؟

ألم يؤاخوهم ويأتمنوهم؟ والا فكيف اعاروهم أغلى مصاغهم وأفخر ثيابهم؟

ألم يتنعم العبرانيون بخيرات مصر بسبب يوسف، في حين كان المصريون يتضورون جوعاً؟

ما ذنب الشعب المصري يأخذه الرب التوراتي بتلك الآخذة؟

أيجوز لمثل هذا الأهيه العبادة؟

أيجوز امتداد تكريمه في الاناجيل وغيره من الكتب؟

هل يجوز أن يعاقب المصريون لأجل طيبة قلوبهم وصدق نواياهم، وحسن ضيافتهم بالسرقة الآلهيه المقصودة؟

وهل تجوز مكافأة السارق ومعاقبة المسروق منه؟

ولمن وضع موسى في لوح وصاياه: «**لا تسرق**»؟

فهل يعني هذا أن سرقة العبري لغير العبري مسموحة ومقدسة؟

وأرض حوريب المقدسة، الأرض المصرية الكريمة، تستباح بأمر هذا الأهيه الذي أهيه، للقتل والسرقة والويلات تخليصاً لليهود وتنفيذاً لوعده بالارض التي تفيض لبناً وعسلاً، اهذا جزاء الاحسان والاضافة والاجارة؟

ترك العبرانيون مصر في شهر نيسان (أبيب) فتحرروا من العبودية واحتفلوا بذلك.

من تحرر من عبودية الآخر؟

وأي شعب يجب أن يعيّد ويحتفل بخلاصه من الشعب الآخر؟

سُرقت مصر واستُبيحت مرة فتحررت بهروب اليهود منها واستراحت إلى الأبد وتخلصت من القتلة والسفلة والخونة والسارقين أما العالم اليوم فكلّه تحت رحمة من يدّعي أنه مُضطهد ومكرُوه ومُستعبد!..

يا يهود العالم، يا عرب العالم، يا شعوب العالم الواحد، أي إله يعلّم الشر كما تعلمه التوراة!.

أي إله ينصر شعباً على شعب ويقتلع شعوباً من أرضها ليعطيها لشعب واحد؟

أي إله يحمي القتلة ويختارهم أمناء سره؟

أي إله محتال يعلّم السرقة ويشرّعها ويقدّس عمل السارقين ويبارك أيديهم؟

أشكال هذا الاله الوثنية كثيرة وصورته في شكلها التوراتي فاقت جميع الاشكال!.

أهيه الذي أهيه!.

أيستحق مثل هذا الإله العبادة والتكريم عند غير الشعب العبري؟ أو هل تقبل به القلة اليهودية المؤمنة بإله واحد، خالق، محب لجميع الناس دون تفرقة أو تمييز؟

هل يقبل به دعاة السلام اليهود؟

هل يؤمن به اليهود الانسانيون، اصحاب الفكر المتحرر،

وهل يقبلون خططه التي رسمها موسى واتباعه؟

الله يعلم موسى السحر والشعوذة

واستغل موسى، وكان عمره ثمانين سنة، حاجة الـرب اليـه وإلحاحـه عليه للذهاب إلى الفرعون، فطلب منه أن يميزه بعلـم خـارق يسـتعمله فيمـا بعد: **«فأجاب موسى وقال: ها هم لا يصدقونني ولا يسمعون قـولي. بـل يقولون لم يظهر لك الرب. فقال له الرب مـا هـذه في يـدك فقـال عصـا. فقال إطرحها إلى الأرض فصارت حية. فهرب موسى منها. ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها. فمدّ يـده وأمسـك بـه فصـارت عصـا في يده. ثم قال له أيضاً أدخل يدك في عبّك. فأدخل يده في عبّه. ثم أخرجها فإذا يده برصاء مثل الثلج. ثـم قـال لـه رد يـدك إلى عبّـك فـردّ يـده ثـم أخرجها وإذا هي قد عـادت مثـل جسـده. فيكـون إذا لم يصدقـوا هـاتين الآيتين ولم يسمعوا لقولك انك تأخذ من ماء النهر وتسكب على اليابسـة فيصير الماء الذي تأخذه من النهر دماً على اليابسة»** خروج ٤:(١-٩)

عندها اقتنع موسى وعاد إلى يثرون حميّه يودعه لأنـه مزمـع أن يعـود إلى مصر لرؤية شعبه. وأخذ موسى امرأته وبنيه وعاد إلى مصر على الحمير، وعصا الله في يده.

«وأثناء الطريق حاول روح الله أن يقتل جرشوم ابن موسى البكـر فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلـة ابنهـا ومسّـت رجليـه قائلـة إنـك عريس دم لي. فانفك عنه» خروج ٤:(١٨-٢٥)

ولدى وصول موسى إلى مصر استقبله أخوه هارون كما هو مهيّا ومعدّ من قبل وعد الرب، ثم إن موسى جمع الشعب وشيوخ اسرائيل وصنع أمامهم العجائب التي علّمه الرب إياها، فآمن الشعب. خروج ٤:(٢٩-٣١)

هل شاهدت قارئي الجريء ساحراً يقدم أعاجيزه أمام الناس ويظهر أمامهم مهارته في الخفة وتمويه الحقائق؟

هكذا فعل الله أمام موسى إذ علّمه ما لم يعلم! السحر وألعاب الخفة والشعوذة يسيطر بهما على ألباب إخوته وعلى المصريين فيما بعد ويفرض بذلك نفسه كليماً للرب وأميناً لسره مدى الدهور.

هذا العبراني العتيق وكليم الله ووسيطه إلى بني اسرائيل، نسي أن يختن بكره جرشوم!

لماذا هذا النسيان يا موسى؟ وقد استمر ذلك أربعين عاماً؟

ألعلّك لم تكن مؤمناً بآلهة ابرهيم واسحق ويعقوب أجدادك فلم تكترث للوعد الذي قطعوه على أنفسهم ليعرفهم الله ويعرف صدقهم؟

ألم تكن على الوعد معهم وإلاّ فكيف يأتيك الله ويخصّك بما لم يخصّ به أحداً قبلك أو بعدك؟

وأثناء عودتك يتذكر الله ان ابنك جرشوم غير مختون فيطلبه ليقتله، فلجأت صفورة ابنة الكاهن المدياني إلى صوانة تختن بها ابنها فتجعله عريس دم لها، فيرضى الله عن ذلك ويكف عنه!...

عريس الدم، والدم، والقتلى!...

أليست هذه كلها من عادات الوثنية في تكريم آلهتها؟

من علّم صفورة الختان، وأهلها وعشيرتها كغيرهم من الكنعـانيين أو المصريين لم يكونوا على هذه العادة؟ وكيف عرفت مرام روح الله فختنـت ابنها؟

والله الذي يريد قتل الاولاد لتعذيب الآباء في نسيانهم، أليس هـذا الإله سادي التفكير والفعل؟

أيستحق العبادة مثل هذا الإله؟

أيستحق التكريم والتقديس هذا السادي التوراتي الكبير؟

وما مصير الملايين غير المختونة؟ أهـي الوقـود المعـد لجهنـم مـن قِبَـلِ يهوه، هذا الأهيه الذي أهيه؟

الرب التوراتي: ذلك السادي الكبير

واستجابة لنصيحة الرب التوراتي ذهب موسى مصطحباً أخاه هارون وقابلا الفرعون وسألاه أن يسمح لشعبهما بالذهاب سفر ثلاثة أيام في البرية: «**فنذهب سفر ثلاثة أيام في البرية، ونذبح للرب إلهنا لئلا يصيبنا بالوباء أو بالسيف**» خروج ٥:٣

ويرفض الفرعون، كما هو معدّ من قبل الإله ويأمر بمضاعفة عذاب العمال من بني اسرائيل، ويتدخل الرب مشدداً عزيمة آل يعقوب مذكراً بالعهد الذي أعطاه لابرهيم وإسحق ويعقوب: «**وايضاً اقمت معهم عهدي ان اعطيكم ارض كنعان، ارض غربتهم التي تغرّبوا فيها.**» خروج ٥:٤

ثم إن ذلك الإله يعد شعب إسرائيل بإعطائه هذه الارض ميراثاً ويفرض نفسه عليهم إلها بقوله: «**واتخذكم لي شعباً واكون لكم إلهاً.**» خروج ٥:٧

وأما موسى فيجعله إلهاً لفرعون ويجعل أخاه هارون نبياً له، وبما أن لكل إله نبيّاً فحريّ أن يكون هارون نبياً عند موسى.

... وهكذا كان، إذ حضر موسى ونبيه هارون أمام الفرعون، وكما أمر الرب وخطط، طرح هارون عصاه أمام الفرعون وعبيده فصارت ثعباناً. وطرح سحرة الفرعون عصيهم فصارت أيضاً ثعابين ولكن عصا هارون تفوّقت فابتلعت عصيهم.

على الرغم من تفوّق السحر الآلهي بيد هارون على سحر الانسان المصري، لم يؤمن الفرعون و لم يذعن لطلب موسى بإطلاق شعبه، حينها لجأ هارون إلى الخطة الثانية إذ ضرب مياه النيل بعصاه فحوّلها إلى دم ومات السمك وأنتن النهر!.

وفعل سحرة مصر الشيء نفسه فتعادل الشر بالشر وكانت الجولة الثانية سجالاً بين فريقي السحر!

وقبل متابعة حلقات المباراة السحرية نعود إلى موسى وأين نشأ وأين تعلّم.

ألم ينشأ موسى في كنف ابنة الفرعون ويصبح أميراً فرعونياً فيُعلم بمدارسهم الراقية المميزة، ويصبح كاهناً لاوزريس في معبد هليوبوليس، ويتقن فنون السحر والشعوذة وعلم الجغرافيا والفلك والكيمياء والفيزياء والحساب والهندسة وعلم الطب وعلم الاستشعار وعلوم القيافة والريافة وغيرها من العلوم الفرعونية البحتة والتي كانت محصورة في أولاد الفراعنة دون غيرهم؟

ويتفوق التلميذ موسى في علومه وهذا طبيعي إذ أن اغلبية الأولاد اليتامى والمحرومين يتفوقون: لإن الحرمان للولد، يفجّر فيه الطاقات المخبوءة ويحوّل عقدة النقص والحرمان عنده إلى طاقة متفجرة ناقمة، وأولى ثمار هذا التفوق عند موسى هي تفوقه في إحدى جولتي مباراة السحر، بحضرة الفرعون، على سحرة مصر، إذ ان عصاه التي تحوّلت إلى افعى أكلت أفاعيهم المتحولة بدورها من عصي.

ثم في الجولة الثالثة مد هارون يده بعصاه على مياه مصر فصعدت الضفادع وغطّت ارض مصر.

وفعل العرافون كذلك بسحرهم!.

واجتمعت المصيبتان على شعب مصر:ضفادع السحر الآلهي، وضفادع السحر البشري، فطلب الفرعون من موسى أن يخرج الضفادع من البرية فيعطي شعبه الحرية. وعليه وبناء لصراخ موسى تدخل الإله فأمات جميع الضفادع في البرية. ولما أحس الفرعون بالفرج إذ تخلص من الضفادع نكث وعده ولم يسمح لليهود بالمغادرة!

وبدأت الجولة الرابعة فضرب هارون تراب الارض بعصاه فحوله بعوضاً على الناس والبهائمّ...

وحاول العرافون والسحرة المصريون أن يخرجوا البعوض ولما فشلوا قالوا لفرعون «هذا إصبع الله.» خروج ٨: ٩ ثم انسحبوامن المباراة تاركين موسى ونبيّه هارون يتابعان. فنشر هارون الذباب في أرض المصريين ومنعه عن أرض جاسان حيث يسكن اليهود!...

وعندما تضايق المصريون التمس الفرعون من موسى أن يخلصه من الذباب فيطلقه وشعبه في مسيرتهم حيثما يشاؤون.

«شبيك لبيك، عبدك بين ايديك».

ما على موسى ألا ان يحرك شفتيه فيحضر إلهه أمامه يأمره موسى بإخراج الذباب فلم تبق في مصر ذبابة واحدة!...

وبناء لتوجيه وإلهام إلهيين ينكث الفرعون عهده مرة أخرى. فيميت الله مواشي الفرعون كلها دون أن تموت شاة واحدة للاسرائيليين لأن المواشي الاسرائيلية هي ايضاً مميزة، لها هويتها، وعرقيتها وإلهها الذي يحميها دون غيرها ويدفع عنها البلاء!...

وبناء لإيحاء وأمر إلهيين يذّر موسى نحو السماء رماد الاتون

«فصارت دمامل بثور طالعة في الناس وفي البهائم ولم يستطع العرّافون ان يقفوا امام موسى من اجل الدمامل لأن الدمامل كانت في العرّافين وفي كل المصريين.» خروج ٩: ١٨ -١١

ما هذا الرماد الذي ذرّه موسى نحو السماء؟

هل توصّل الفراعنة بعلومهم الى اسرار الذرة؟

والى صناعة المفاعل الذرية؟

وهل كانوا يحسنون التخلص من الرماد الذري وحفظه؟

وها هو تلميذهم وربيبهم موسى يطبق ما تعلمه فاستخدم قوة الاشعاع النووي الموجود في الرماد فأصاب المصريين وبهائمهم بالدمامل تماماً كما فعل الاميركيون في نيكازاكي وهيروشيما وكما حصل مؤخراً في روسيا عند تسرب الاشعاع النووي من مفاعل تشرنوبيل!...

عظيم أنت يا موسى!

«ويمد موسى عصاه نحو السماء فأعطى الرب رعوداً وبرداً وجرت نار على الارض. فكان برد ونار متواصلة في وسط البرد...فقتل الناس

والبهائم وتكسر جميع شجر الحقل إلا ما كان في أرض جاسان...»

بالطبع فإن جاسان ستبقى سليمة لأنها محمية إلهية يسكنها بنو اسرائيل. **وهكذا يحصل اليوم فأثناء الحرب العراقية- الكويتية- الاميركية تأثر الاقتصاد العالمي كله بنتائجها ودفعت جميع دول العالم ضريبتها الا اسرائيل فقد استفادت من ستة وعشرين مليار دولار دُفعت لها ثمناً لتحييدها لأنها محمية إلهية منذ فجر التاريخ ولا تزال حتى اليوم بفضل غفلتنا العقلية.**

وتحت ضغط المصائب يلجأ الفرعون إلى موسى فيرجوه رفع هذه البلايا واعداً باطلاق حرية الشعب الإسرائيلي!... وترتفع البلايا بناء لرغبة موسى. لكن الفرعون حنث بوعده أيضاً بعدما ارتفعت مصائب البرد والنار عنه، وحينها مد موسى عصاه للمرة الثامنة فانتشر الجراد، إثر ريح شرقية محدثة وأكل كل عشب الارض وجميع ثمر شجر مصر، وبالطبع إلا ثمر شجر وعشب أرض جاسان!...

وشدد الرب قلب فرعون فلم يطلق بني اسرائيل. هذا الرب الذي يقسّي قلب فرعون، هو نفسه الذي يستجيب ليد موسى التي امتدت نحوه للمرة التاسعة فعمّ الظلام أرض المصريين ثلاثة أيام كاملة إلا مساكن الإسرائيليين في أرض جاسان «**إذ كان لهم نور في مساكنهم!**»

وعاد ذلك الإله يشدد قلب فرعون من ناحية ويطلق يد موسى بالعجائب والويلات من ناحية اخرى!... **تماماً كما تفعل أميركا اليوم**

مع العرب واسرائيل. لعبة قديمة مكتوبة في التوراة وتمارس اليوم بحذافيرها مع تغير الزمان دون المكان!...

ولآخر مرة يقسي الرب التوراتي قلب الفرعون وفي نفس الوقت يهيء العبرانيين للخروج ويعلّمهم كيف يفصحون تلك الليلة **«فإنني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين. ويكون لكم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين اضرب أرض مصر. ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً في أجيالكم تعيّدونه فريضة أبدية.»** خروج ١٢: ١٢ -١٤

ونفذ العبرانيون الإرشادات الإلهية: أكلوا الفطير سبعة أيام وذبحوا الأغنام بحسب عشائرهم وبباقات الزوفا رشوا دم الذبائح على قوائم وعتبات بيوتهم لتكون مميزة عن بيوت المصريين فيعرفها آلههم حين مروره، فلا يصيبهم بالبلاء والموت.

ومر الرب في نصف الليل وضرب كل بكر للمصريين.

وتمت المجزرة الآلهية ورضخ المصريون للأمر خوف الفناء...

وحمل العبرانيون فطيرهم ونفذوا إرشادات موسى الإلهية:

«طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون العبرانيين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين».

خروج ١٢: ٣٥ -٣٦

وهكذا بعد ضيافة أربعماية وثلاثين سنة وفي شهر نيسان (ايـب) ارتحل عن مصر ستماية الف ماش من الرجال عدا النسـاء والاولاد وكـانوا قـد أتوهـا بناء لاستدعاء يوسف لهم سبعين نفساً مـن صلـب يعقـوب، خـروج(١-٥)، وأخذ موسى معه رفات يوسف الذي استحلف أخوته ألا يبقوا عظامه في مصر.

وهكذا تم خلاص الأرض المصريـة مـن المصيبـة العبريـة لتبـدأ مصيبـة الأرض الكنعانية - العربية فيما بعد.

هكذا تنشأ التوراة الله فتصوره لنا إلهاً جـزاراً، متسلطاً، هـاوي قتـل ودم، سادياً يتقن فنون عذاب البشر ويحرضهـم على الشـر فيعلّمهـم القتـل والخيانة والزنى والسرقة.

يرفع يد القاتل ويمسك برقبة البريء ليسهل قطعها. يقسّي قلب الفرعون ويغلّظه حتى يثبت قدرته عليه بالمصائب التي ينزلها على شعبه وفي نفس الوقت يحمي القتلة وأحفادهم ويباركهم ويكثر نسلهم ويجعلهم شعبه المختار

بعد اربعماية وثلاثين سنة، لم ينسَ اليهود احقاد تعاليمهم و لم يحاولوا ان يأخذوا شـيئاً مـن التعـاليم الكنعانيـة والمصريـة الـتي تبشـر بالخير والمحبة والتسامح وبانسـانية المعاملـة وبوحدانيـة الانسـان، الـتي تفخـر اليـوم بمثلهـا المسيحية والاسلام والهندوسية!...

أي فرق بين هذا الإله الذي أصاب مصر بجميع الويلات بناء لإشـارة من عصا موسى أو عصا هارون وبين الفرعون الذي أمر قابلات العبرانيـات بقتل الذكور حين ولادتهم؟...

اي فرق بين هذا الأهيه الذي جاز نصف الليل في الأرض المصرية وقتل جميع بكور المصريين من الذكور وبين آل يعقوب الذين فتكوا بمملكة شكيم؟ أو بينه وبين أي مجرم سجله تاريخ الانسانية مثل هولاكو وجنكيز خان وهتلر وغيرهم وغيرهم من قتلة الإنسانية جهراً أو خفاء؟

من تفوق على الآخر بين هؤلاء جميعاً بإجرامه؟

لمن كانت الغلبة في النهاية؟

حتى أعشاب الحقل لم تفلت من ساديته!...

هذا الإله الشرير هل تعرفه الكنيسة على حقيقته وكما جاء في التوراة أو خوفاً من انتقامه تحاول تصوير شره خيراً، وانتقامه نعمة، وساديته حكمة؟ ألأجل هذا يعمد الكهنة في عيد الغطاس وفي غيره من المناسبات على استعمال الزوفا لرش العتبات والقوائم ولكن هذه المرة بالماء المقدس وليس بالدم؟

سنّة المحافظة على عادة رش القوائم وعتبات البيوت لتمييز اليهودي عن المصري، أو خاصة الله، عن غيرهم لم تزل تمارس كي يميز الإله حين مروره، شعبه المختار عن غيره!

يا كهنة البعل المسيحيين!

يا كهنة العالم الذي يدّعي الحضارة!

إن الله الحقيقي ليس بحاجة لتلوين قوائم وعتبات البيوت بالدم ليعرفكم ويميّزكم!

كفاكم زيفاً تؤمنون به فُرض عليكم فضللكم وأعمى بصيرتكم فضللتم بدوركم عالم المسيح!

الله المحبة لا يميّز بين إنسان وإنسان!...

الله المحبة لا يؤذي انساناً ولا يضمر الشر لإنسان!...

الله المحبة لا يمر في نصف الليل ليقتل البكور ويعذّب الناس!

الله الحقيقي ليس له أعداء ولم يكن عنصرياً!...

الله الحقيقي، الذي به نؤمن، نور يملأ الكون ويفيض عنه!

الله الحقيقي، الذي به نؤمن لا يتدخّل في الجريمة ولا يهيئها ولا يمد يده يمسد رقبة فلان ليقطعها فلان!...

الله روح خير ونعمة محبة فيّاضة للعالم. من أرادها كانت له لأنها فيه. من أحسّها استشعر بسعادة وجودها، ومن أنكرها أظلمت القيم والمثل في عينيه وقلبه وعقله فانقلب عنده الخير شراً، والمحبة بغضاً، والتسامح حقداً، والعطاء بخلاً:

الله نور. من فتح نافذة عقله شعر بنعمة وجوده، ومن أسدل على عقله وقلبه وحواسه ستائر الجهل لم يشعر بدفء النور ووهجه وسطعه ونعمة العيش فيه.

الله ليس دمامل بثور تنتشر من رماد الاتون!

الله ليس مصيبة ضفدعية!

ولا أفاعي سحرية!

ولا لعنة ذباب وبعوض!

ولا لعنة البرد والنار!

الله خير مطلق

الله معرفة شمولية فيّاضة

الله محبة بذاته

إن لم يكن الله، هكذا، فلا سعادة بالتعرف عليه،

وإن كان الله كذلك فلا سعادة للعيش بغير نعمه!...

بعد الخروج

في شهر ابيب «نيسان» خرج العبرانيون فاستراحت مصر.

وأقام اليهود عيداً يحتفلون به بسلب المصريين وقتل الإله لبكورهم، وكرّسوا ذلك بالأضاحي التي ألزمهم بتقديمها من أبكار مواشيهم: «**تقدّم للرب كل فاتح رحم وكل بكر من نتاج بهائمك... الذكور للرب**» خروج ١٣:١٢

«**وكان لما تقسّى فرعون عن إطلاقنا أن الرب قتل كل بكر في أرض مصر: من بكر الناس إلى بكر البهائم. لذلك أنا أذبح للرب الذكور من كل فاتح رحم. وأفدي كل بكر من أولادي... ويكون لك علامة على يدك وتذكاراً بين عينيك...**» خروج ١٣:(١٥-١٦)

وأحسّ المصريون بالخديعة وبحيلة بني اسرائيل، فجهّز الفرعون جيشاً ولحق بهم وكاد يدركهم في الحيروث عند البحر أمام بعل صفون فخاف الاسرائيليون وصرخوا في وجه موسى: «**أمن عدم القبور بمصر أخرجتنا لنموت في البرية. ماذا صنعت بنا فأخرجتنا من مصر.**» خروج ١٤:١١

وطمأنهم موسى قائلاً: «**فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد. الرب يقاتل عنكم وأنت تصمتون.**» خروج ١٤:١٣

ويتدخّل الرب لدى سماعه نداء موسى الإيماني فيأمره أن يمد يده فيشق البحر ليدخل بنو اسرائيل وسطه على اليابسة بقيادة ملاك الله السائر أمامهم.

ولما دخل الجيش المصري في يابسة البحر المحدثة للحاق بالاسرائيليين الذين أدركوا الشاطئ، مد موسى يده فعاد اليمّ إلى حاله فأغرق كل مركبات وأفراد الجيش المصري.

«ونظر شعب اسرائيل المصريين أمواتاً على الشاطئ... فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى» خروج ١٤:١٣

«... وكان في هزيع الصبح ان الرب أشرف على عسكر المصريين في عامود النار والسحاب وأزعمهم وخلع بكر مركباتهم. فقال المصريون نهرب من اسرائيل. لأن الرب يقاتل عنهم» خروج ١٤:(٢٤-٢٥)

ما الفرق بين الرب التوراتي هذا وبين الإله مارس معتمراً الخوذة الفولاذية على رأسه والدرع على صدره والحربة القاتلة بيمناه؟

الرب التوراتي إله وقائد محارب في الوقت ذاته، يخطط، يشرف، ويشترك بالقتال فيقاتل عن الظالم وضد المظلوم، يدافع عن السالب ويهدي طريقه بواسطة ملاكه، فيصون الغنيمة، ثم يهلك المسلوب!...

يحمي القتلة ويقتل أصحاب الحق، وفوق كل ذلك فهو ميكانيكي ينزع اكر مركبات المصريين ويزعمهم!...

أيعقل أن رباً مثل هذا يستحق شمولية العبادة؟...

أما قصة المد والجزر، والتي كان يجهل سببها في حركة المياه، أكثر علماء ذلك العصر، فإن موسى الذي درس الفلك فعرف تأثير دوران القمر حول الشمس على حركة المياه والذي، أثناء هربه من الفرعون بعد المؤامرة

الفاشلة وبعد قتله للمصري وفراره من وجه العدالة المصرية، فقد اكتشف هذه المخاضة في بحر سوف ولاحظ توقيت انحسار المياه عند الجزر ثم عودتها إلى الطغيان على الشاطئ وقت المد، ولاحظ الوقت الذي تستغرقه هذه الحركة بين المد والجزر، فاستغل هذه المعلومات وحفظها في قلبه إلى حين الحاجة إليها حيث أضفى عليها الطابع الإلهي فكان ان حرّك يده بالعصا معطياً الأمر للانطلاق وعبور المخاضة في أثناء بداية الجزر وانحسار المياه عن الشاطئ إلى مسافة بدا فيها قعر البحر يابسة صخرية. وكان التوقيت صحيحاً فمر عسكره بسلام... ولدى اقتراب المصريين من مكان العبور، حان زمن المد، فأشار بيده، فطغت المياه وأغرقت الجيش المصري، الذي كان يجهل طبيعة الأرض ولا يدري قادته من علوم الفلك والجغرافيا شيئاً لأن هذه العلوم كانت محصورة بالندرة من أبناء الفراعنة.

وترنم موسى للانتصار قائلاً:

«من مثلك بين الآلهة يا رب... الفرس وراكبه طرحهما في البحر... الرب قوتي ونشيدي...»

«وأخذت مريم أخت هرون وموسى الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص يرنّمن للرب» خروج: ١٥

ويتابع موسى رحلته بشعبه من بحر سوف نحو أرض شور. وعطش الشعب، وتذمّر من قلّة الماء العذب وعلا صراخه. فلجأ موسى إلى سحره وذلك بطرحه شجرة في الماء المر الذي استحال إلى ماء عذب.

وعلى الرغم من كل هذه الأعاجيب التي كان موسى يفعلها باسم إلهه فإن العبرانيين كانوا يستعلون عليه ويترددون في إعلان ألوهيته وكأنهم كانوا يشكّون في كل ما يأتيه موسى.

وفي شهر حزيران أي بعد شهرين من خروجهم من مصر وأثناء عبورهم صحراء سيناء تذمّر الشعب من الحرمان الغذائي الذي يعيشه فتذكّر قدور اللحم في مصر والسمك والخضروات والفاكهة المصرية:

«قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم...» عدو ١١-٥

«ليتنا متنا في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً ونشبع...» خروج ١٦:٣

وعلا صراخ الشعب وكثر تذمّره فكان الوعد الإلهي:

«في العشية تأكلون لحماً وفي الصباح تشبعون خبزاً.» خروج ١٦:١٢

فكان في المساء أن السلوى صعدت وغطت المحلة... وفي الصباح المنّ: دقيق يغطي الأرض مثل قشور، كانوا يلتقطونه صباحاً كلّ حسب أكله، وإذا حميت الشمس كان يذوب...

هكذا فطيلة أيام الاسبوع كانت السلوى تغطي المحلة في المساء. وعند الصباح المنّ. إلاّ يوم السبت ففيه يستريح الرب.

المنّ والسلوى غذاء إلهي لشعب خاص جداً، للشعب العبراني وحـده دون غيره من الشعوب أعدّ له أثناء عبوره صحراء سيناء وحتى وصولـه إلى أرض كنعان.

ويتحدثون عن العبودية في مصر

ويتحدثون عن المظالم التي قاسوها في مصر

ويتحدثون عن الاضطهاد في أرض مصر

ويتحدثون عن الحرمان في أرض مصر

ويتحدثون عن عزلتهم في أرض مصر

وها هم في سيناء يتذكـرون شبع اللحـم والخبز والسـمك والبطيـخ والبصل والكرات...

وها هم في جوع سيناء وبصحبة نبيّهم يتذكرون السمك الذي كانوا يأكلونه مجاناً في أرض مصر...

في سيناء يتذكرون خيرات مصر التي كانت تفيض عليهم، ويتحدثون عن العزلة والاضطهاد وعليهـم حلى ذهـب وحلـى فضـة وثيـاب الشـعب المصري ومع ذلك لا تزال الشعوب تصدق الاكذوبة وتشفق علـى الشـعب العبراني المسكين!...

مسكينة هذه الشعوب ما أرقّ قلبها وما أظلم عقولها!...

صخرة حوريب

في ترحال بني اسرائيل في صحراء سيناء باتجاه أرض كنعان بناء لأمر الإله، وفي محلة رفيديم بالذات لم يكن ماء ليشرب الشعب الذي كعادته تذمّر قائلاً «**لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا بالعطش**» خروج ١٧:٣

وثار الشعب وخوفاً من رجم الشعب له لجأ موسى إلى إلهه يسأله حل المشكلة فأشار عليه: «**مر قدّام الشعب وخذ معك من شيوخ اسرائيل وعصاك التي ضربت بها النهر خذها في يدك واضرب على صخرة حوريب التي أقف أمامك عليها، فيخرج ماء ليشرب الشعب**» خروج ١٧:(٥-٦)

وضرب موسى الصخرة، وخرج الماء فشرب الشعب ودعا موسى ذلك المكان مسّه أو مريبة لأن الشعب الاسرائيلي لحينه كان يشكّ بوجود الرب.

وفي رفيديم تحارب الاسرائيليون مع سكان الارض العماليق. واختار موسى لقيادة جيشه، ربيبه وتلميذه، يشوع بن نون. وفي كل مرة يتدخل الإله التوراتي يهوه عندما يشعر أن شعبه في خطر وطلب من موسى أن يُبقي يديه مرفوعتين بعصاه حتى انقضاء النهار فيتم النصر وأثناء المعركة أجهد موسى وكلّت يداه المرفوعتان بالعصا، فأسندهما له هارون وحور

حتى انقضاء النهار. وتحقق النصر ووعد الله موسى بمحو ذكر العماليق من تحت السماء. خروج ١٧:(٨-١٦)

في رفيديم، لم يكن ماء للشرب، ففجّر موسى الصخرة نبعاً عذباً... وفي رفيديم يعيش العماليق سكان الأرض!

فكيف كان يعيش شعب العماليق بلا ماء؟ هل كان له مثل موسى؟

في كل لحظة كان وجود الإله يهوه موضوع شك عند العبرانيين. فعند أول محنة ينكرونه وفي كل محنة كان يقذهم خوف إنكاره وليثبت لهم وجوده.

يعطشون فينكرونه، فيفلق لهم صخرة حوريب ليثبت قدرته فيعودون إليه.

يجوعون، فيرسل لهم رفوف السلوى مساء والمنّ عند الفجر!...

يخافون في القتال فيحارب عنهم!...

وأمام جبروت العماليق في رفيديم ينكرونه ويتمنون الموت في الأرض المصرية، فيخشى على وجوده فيسارع إلى القضاء على العماليق إلى الأبد مُثبتاً ربوبيته على دعائم الجماجم فيقيم له موسى مذبحاً دعا اسمه: يهوه نسي أي الرب رايتي. خروج ١٧:١٥

التعاليم التوحيدية

«مد يدك لعدوّك، فإن تركه الله، فاطعمه من خبزك».

«انك ترضي الله، إن فكرت، قبل أن تتكلم بغضب على أحد».

«كن هادئاً بوجود أخصامك والمحن أمام الذي يهينك، ولا تكلّمه حتى يهدأ غضبه، فهو أثناء غضبه، كالعاصفة يتجه للأمام، كما النار في الهشيم».

«لا تنتقم من الذي يكرهك. اتكل على الله، فتواضعك ولطفك يحبطان عدوك»

«لا تشتهِ خيرات الآخرين وكن عادلاً في كل ما تقوم به، لأن الله يعطي الاحساس بالعدالة لمن يحبهم».

«كن راضياً بالضرائب وإياك غش المكاييل عند كيلك القمح وهكذا تستطيع أن تنام بسلام وتستيقظ بسعادة»

«كن حكيماً مع الفلاحين ولا تجعلهم يخدعونك بطمعهم»

«لا تنقل معالم مساحة أرضك بغية زيادة مساحتها، ولا تلمس حدود حقل الأرامل فمن يفعل ذلك، فهو معتدٍ ستهدم مخازنه وتنزع خيراته عن أولاده ويعطى ميراثه للآخرين»

«لا تشتهِ خيرات الفقراء ولا تسد جوعك بخبز المحتاج، لأن خبز المحتاجين مرّ لا يبتلعه البلعوم»

«مد قمح يعطيكه الله، خير من خمسمئة مد تأخذها بالقوة لأنها ستفسد في مخازنك فلا تسد بها رمقاً.»

«قليل من خبز يابس كل يوم مع قلب سعيد خير من ثروات كثيرة مع نوم قلق»

«مركب الطماع تغرقه العاصفة ويسيّر الهواء العليل مركب رجل البر»

«كن رحوماً مع الغرباء والفقراء»

«إن لم تمنع ابريق زيتك عن الغريب المسافر فإن محتواه يتضاعف عدة مرات»

«إن كنت تملك مأوى «خانا» اطلب الاجرة من المسافر الذي يستطيع أن يدفع ولا تأخذ شيئاً من المسافر المحتاج.»

«يفضّل الله الانسان الذي يكرّم المحتاجين على الانسان المقتدر الذي يذلّ رقاب الغير».

هذا غيض من فيض بعض التعاليم المصرية التوحيدية كتبها امينموب AMENEMOPE حوالي ١٣٨٠ ق.م. أخذت من كتاب التاريخ الكوني صفحة ١١٧ لمؤلفه س. غرنبرغ C. GRIMBERG Histoire universelle page ١١٧.

أية مثل أقرب إلى قلب الله: أهذه المثل أم مثل التوراة؟ هذه التعاليم أم تعاليم ذاك الاهيه؟ وأيهما أقرب إلى مثلنا السامية في المسيحية والاسلام، إلى الايمان الحقيقي برب العباد الواحد؟

يثرون كاهن مديان

«... وسمع يثرون كاهن مديان حمو موسى بكل ما صنـع الإلـه إلى موسى فأتى إليه مصطحباً له زوجته الـتي كـان قـد صرفهـا وابنيـه منهـا: جرشوم واليعازر. وبعد لقائهما وسماع الأخبار الطيّبة من فم موسـى قـال يثرون: الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة... وأخذ محرقـة وذبائح لله... وجاء هارون وشيوخ اسرائيل ليأكلوا مع حمي موسى أمـام الله...» خروج ١٨:(١١-١٢)

وفي الغد شاهد يثرون كيفية تعـاطى موسـى مـع الشـعب وتفـرّده في الحكم فأرشد موسى إلى تنظيم أموره العسكرية والمدنية والدينية: **«... الآن اسمع صوتي فأنصحك. فليكن الله معـك. كـن أنـت للشـعب أمـام الله. وقدّم أنت الدعاوى لله... وعلّمهم الفرائض والشرائع وعرّفهـم الطريـق الذي يسلكونه والعمل الذي يعملونه...»** خروج ١٨:(١٩-٢٠)

يثرون كاهن مديان تشير التوراة إلى أنه علّم موسى التشـريع وتنظيـم أمور الدولة فهل كان من أتباع المدرسة الحمورابية؟

وممن تعلّم تنظيم الأمور العسـكرية والمدنيـة والدينيـة؟ ألا يثبـت هـذا حضارة أسبق من حضارة العبرانيين؟

«الآن اسمع لصوتي فأنصحك»!...

بعد هذه الكلمات، بدأ يثرون يعلّم موسى أصول الحضارة الانسانية... وبهذا بدأ التنظيم العسكري والديني والمدني يأخذ طابعاً غير الطابع الذي بدأ به موسى!...

يثرون الكاهن المدياني، حمو موسى، ومرشد الدولة العبرية الجديدة! إلى متى؟ إذ سيكون لموسى شأن معه في المستقبل ومع أهل مدينته وجميع من كان في مديان!...

الرحلة عبر سيناء

وفي شهر تموز ارتحل موسى وشعبه عبر برية سيناء حيث بدأ موسى يمارس تطبيق العلوم والنظريات التي تعلّمها في مصر مظهراً قدرته على إعطائها صبغة إلهية فأعد جبل سيناء ليكون جبلاً مقدساً إذ أحاطه بالحرس من أقربائه المخلصين أولاد أخيه، ومنع الدخول إليه، كما أحاطه بالاسلاك الخفية المكهربة. «**كل من يمسّ الجبل يقتل قتلاً... بهيمة كان أم انساناً لا يعيش. أما عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل...**» خروج ١٩:(١٢-١٣)

وأوهم الناس أن يستعدوا لملاقاة الرب في اليوم الثالث لأنه سيزورهم أمام عيونهم. وفي اليوم المرتقب «**صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً... وكان جبل سيناء كلّه يدخّن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الاتون وارتجف كل الجبل جداً...**» خروج ١٩:(١٦-١٨)

«بارود يا شباب اهربوا!...»

ثم ينطلق البوق يعلن انتهاء الخطر!...

ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل ودعا إليه موسى فصعد موسى وأوصاه أن يحذر الشعب من الاقتراب من الجبل لئلا يبطش بهم فيموتوا... وطمأنه موسى وأخبره انه وضع حراسة مشددة على الجبل وأقام حدوداً لا يتجاوزها أحد!.

فاطمأن الرب وهدأ باله فطلب من موسى أن يصطحب معه أخاه هارون دون الكهنة وسائر الشعب!...

بهذه البساطة يحجّم الرب ويحدد!...

فهو ينزل ويجلس في مكان محدد: على رأس الجبل فقط،

و الله أثناء اجتماع القمة لا يحب الغوغاء والضوضاء!... فهو بطّاش، قتّال فتّاك ومُميت!...

وهذا الإله يكلم موسى ولكن من خلال نفيخ البوق عالياً جداً لئلا تُفهم نبرته فيميّزه الشعب ويعرف فحوى الحديث مع موسى!...

حديث القمة بين الإله التوراتي وموسى وشوشة لا تتم إلاّ من خلال الضجة!... موسى وحده فقط مُعدّ ومُهيأ للاستماع إليه وتفسير أوامره وإرشاداته ونقلها إلى العامة وشيوخهم!...

من على الجبل، ومن خلال ضجيج الأبواق وصوت الرعود ومن خلال الدخان بدأت تعاليم التوحيد الكنعانية والمصرية تأخذ طابعاً إلهياً مميزاً وخاصاً فأطلق موسى وصاياه العشر:

أنا هو الرب إلهك... لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً... لا تقتل... لا تزن... لا تسرق... لا تشته إمرأة قريبك... لا تشهد بالزور... لا...

ومن على الجبل بدأ التشريع القانوني للمجتمع يأخذ طابعاً إلهياً حصرياً، حمورابيّ الجوهر، وإلهي الحلّة وموسوي الصياغة.



ويختم الإله وصاياه بقوله لموسى: «فإن ملاكي يسير أمامك ويجيء بك إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليوسيين فأبيدهم... لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها... بل تبيدهم...» خروج ٢٣:(٢٣-٢٤)

«واجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر. فإنني أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك.» خروج ٢٣:٣١

لا تقتل... فرداً واحداً... بل أبدِ جميع الشعوب

لا تسرق... لوحدك... بل علّم شعبك كلّه سرقة الأمم

لا تشته إمرأة قريبك... فنساء الأرض كلها مباحة لك وشعوب الأرض وأملاكهم أيضاً... أنا أدفعهم إليك فتبيدهم وتستولي على نسائهم وأملاكهم ودولهم!...

أنا هو الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامي

أنا أبيد الأمم لأحلك وأطرد الشعوب فتشبّه بي وإلاّ فإنك تخطئ إليّ.

ثم بناء لنصيحة ذاك الإله استدعى موسى هارون وناداب وابيهو وسبعين من شيوخ اسرائيل: «فرأوا اله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف. ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني اسرائيل. فرأوا الله وأكلوا وشربوا» خروج ٢٤:(٩-١١)

اجتمع سبعون من أشراف اسرائيل إلى الههم فشاهدوه وأكلوا وشربوا بحضوره ولكنه لم يمد يده إلى أحد منهم!

لماذا لم يمد ذلك الإله يده فيسلّم على أشراف اسرائيل؟ أغاضب هو منهم أم قرف من شرفهم؟ أم لأنهم من أشراف اسرائيل فلم يشأ أن يعادلهم قبل أن يعادلوه قتلاً، وتدميراً وسرقة وزنى وخيانة وتعذيباً للشعوب وتهجيرها من أوطانها وقتل كل نسمة حياة فيها؟

لماذا لم يصفه أحد منهم وقد كان أمامهم على الوليمة؟ ألم يروه ويؤاكلوه؟ أم انهم تلهوا عنه بالأكل؟

وليمة أقامها موسى على شرفه أم على شرف شيوخ اسرائيل؟

أم أن الله هو صاحب الدعوة أقامها على شرفهم جميعاً استرضاء لهم وتكفيراً عن تأخره في تنفيذ وعده لهم؟

ثم إذا كان المقصود من أنه لم يمد يده إلى أشراف بني اسرائيل، بمعنى انه استحياهم على عكس ماضيه إذ انه كان يقتل كل من يراه، فهل مات هؤلاء الشيوخ بعدها أو انهم لا يزالون أحياء وما ايليا وغيره إلاّ منهم يعودون إلى الأرض ساعة يشاؤون، لأن من يرى وجه الإله فيستحييه فانه لن يموت أبداً؟

ثم لماذا العقيق الأزرق الشفاف تحت رجلي الله؟ هل هو لديكور الجلالة؟

هل الله بحاجة لرجلين للتنقل؟

أما، ولأنه على صورة موسى ومن صنع أحداد موسى، فنعم!.

الجبل المقدس

وبناء لدعوة الرب التوراتي اصطحب موسى خادمه يشوع وصعد الى الجبل لعقد قمة سرّية لاستكمال وحي الشرائع والوصايا التي أعدّها وكتبها الله في ديوانه

وكلّف موسى هارون بادارة أمور الشعب أثناء غيابه على الجبل الذي حلّ عليه مجد الرب فغطاه... وكان منظر مجد الرب كنارٍ آكلة في عيون بني اسرائيل.

واستغرق اللقاء على الجبل اربعين نهاراً واربعين ليلة. خروج ٢٤ ولا تخبرنا التوراة شيئاً خلالها عن المسكين يشوع وما دوره هناك وكيف وأين أمضى الوقت؟

موسى استدرك غيابه وكلّف حور وهارون بادارة شؤون الشعب خلال تغيبه في لقاء القمة مع الإله يهوه الذي لا تخبرنا التوراة من أدار شؤون ملكه الإلهي أثناء ذلك الغيابّ!...

لماذا مدة الاربعين يوماً والاربعين ليلة؟ ألأنها المدة الكافية لِقَدّ لوحَي الحجارة ونقش كتابة الوصايا عليهما؟

أم لأن الاربعين يوماً هي رمز صوفيّ توحيديّ قديم تتم خلالها سيطرة الروح على الجسد فيسهل عليها الارتقاء فوق الماديات وبالتالي الاندماج أو الاقتراب من الروح الازلي؟

يسوع فيما بعد، يصوم على الجبل في البرية ايضاً اربعين يوماً واربعين ليلة! وكذلك غيرهما من ابناء التوراة!..

نفس المدة عند يسوع وموسى!

وعلى الجبل ايضاً.

جبل حوريب وصخرة حوريب! لماذا حوريب دون غيره؟ ألم يعتد الإله التوراتي على غيره من الأماكن للقاء موسى؟ ام لأن موسى لم يُعدّ مكاناً غيره للقاء؟ فهو مكان حقل تجارب موسى في الفيزياء والكيمياء وعلوم السحر والتنجيم زيادة على أنه مكان المؤتمرات حيث تُهيأ، وتُعدّ المؤامرات على بقية الشعوب؟

جبل حوريب، جبل مقدس، يموت كل من يقترب منه بغير إشارة من موسى! ألا يعني ان موسى قد هيأ الجبل وأعدّه واستطاع بواسطة استخدامه الكهرباء الجامدة ELECTRICITE STATIQUE الموجودة في الكون كله والتي تحيط به، أن يجعله مقدساً ولو أمام عيون الشعب وبواسطة تلك الهالة من القوة المجهولة الخارقة المقدسة التي استطاع بعلمه حصرها ضمن بطارية وضعها داخل تابوت العهد المصنوع من خشب السنط والذي كان يتشدد في حراسته بواسطة أولاد أخيه هارون، دون غيرهم، فيمنعون الشعب من الدنو منه وملامسته وبالتالي استطلاع ما فيه؟

وتلك الاصوات وذاك الدخان المحدثان ليسا الإ اصوات الإنفجارات ونواتجها الدخانية التي كان يعدّها لتضفي على المكان جواً مخيفاً، مهيباً

ومسيطراً على العقول والحواس وذلك باستعماله بودرة FULMINATE المتفجرة الحارقة المعروفة منذ القديم عند اساتذة وعلماء الايزوتريك.

موسى ربيب الفراعنة وخريج معاهدهم المتفوق، مارس مهارته في مختلف العلوم أمام الفرعون وسحرته فبذّهم ثم على شعبه الساذج الذي لا يفقه شيئاً من أسرار العلم وهم رعاة متنقلون همهم الماء والكلاء ولقمة العيش ليس الإ... فأخذ بلبابهم ومارس عليهم دوره على انه كليم إله وامين سرّ ذلك الإله...

منذ ألفين قبل المسيح والى الفين بعده وهذه المقولة لم تزل وعساها لن تبقى الى زمن بعيد!...

الارتداد

وكلّم الرب موسى طالباً ان يمجدّه بنو اسرائيل في هيكل مقدس حدّد لهم مواصفاته وقياساته وطلب ان يصنعوا تابوتاً من خشب السنط لحفظ الشهادة.

وتروي التوراة في اثني عشر فصلاً من الخروج ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١. وصية الرب لصناعة الهيكل وطرق التقادم والذبائح والعطايا ولبس الكهنة واستعمال البخور وبقية المراسم حتى طريقة الوضوء وصفات المرحضة المعدة لذلك لم تغفلها و لم تنس شيئاً من وثنية الطقوس التي لم تزل تمارس حتى اليوم. خروج ٣٠: ١٨-١٩

وفي نهاية الفصل الواحد والثلاثين يسلّم الإله التوراتي موسى لوحي الشهادة: لوحي حجر مكتوبين باصبع ذلك الإله!...

ولا تذكر التوراة لغة اللوحين و لم تحدد نوعية الخط ولا شيء آخر. موسى وحده يعرف ويكفي!...

ولما طال غياب موسى على الجبل ظنّ شعبه انه قد مات!

يموت موسى فيموت إلهه معه، وهكذا قاموا وبإشراف هارون نفسه وبتنفيذه شخصياً، صنعوا لهم عجلاً من ذهب وعينوا اليوم الذي سيحتفلون بتنصيبه إلهاً بدل الإله الذي مات مع موسى!... فهيؤوا الذبائح والمحرقات وجلسوا يستعدون للإحتفال العتيد!...

ولدى اقتراب اليوم الموعود شعر الإله التوراتي بالخطر فأمر موسى بالنزول إلى شعبه لردعهم من الزيغان مهدداً بإفناء الشعب. وتدخل موسى ولطف خاطره واسترضاه بما عنده من معسول الكلام فندم الإله يهوه على ما صدر عنه من تفكير شرير حيال بني اسرائيل: «**فندم الرب على الشر الذي قال انه يفعله بشعبه**» خروج ٣٢: ١٤

عندها نزل موسى عن الجبل حاملاً لوحي الشريعة والوصايا ولدى اقترابه من المحلة شاهد شعبه يرقص محتفلاً بالعجل، إلهه الجديد، الذي صنعه من ذهب المصريين المسلوب، فحمي غضبه وطرح اللوحين اللذين صنعهما ونقش أحرفهما يهوه إلهه، فكسرهما!... ثم عمد الى عجل الذهب وحطّمه وطحنه وذرى رماده في الماء وسقى شعبه ليشفيه من لوثة الإشراك هذه!... ثم لام أخاه هارون على زيغانه وجلبه على شعبه هذه الخطيئة العظيمة: «**وقال موسى لهارون ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطيئة عظيمة**» خروج ٣٢: ٢١

وأمر موسى بعدها آل لاوي فقتلوا من الشعب ثلاثة الآف رجل: «**إملأوا ايديكم اليوم للرب، حتى كل واحد بابنه وبأخيه فيعطيكم اليوم بركة**» خروج ٣٢: ٢٩

بهذه السادية كان نداء موسى لآل لاوي كي يملأوا ايديهم دماً والأرض قتلى فيباركهم إلههم لأنه يحب الدم وروح الشر التي فيه تستصرخ رؤية الدم وتستريح لمنظر القتلى والدمار!

هارون الذي خصّه الله دون غيره مع موسى فاستدعاه اليه وعلّمه سحره وأظهر أمامه الأعاجيب التي تثبت ألوهيته، لم يكن مؤمناً حقيقياً متيقناً من كل ما رآه وسمعه! فهو يعرف ان هذا الإله هو احدى الأعيب شقيقه موسى وان هذه الاعاجيب التي كانت تمارس بإسمه وبفعله احياناً، ليست الاّ من تحضيرات شقيقه موسى!... والا فكيف يعود الى وثنيته لدى أول تجربة او لدى أية غفلة من ذلك الإله؟

أليس لأنه كان يعلم الحقيقة، والأخ ادرى بأخيه، وبأن كل ما كان يمارسه موسى بإسم الله انما هو من فعله وليس من الله؟

وان هذا الإله ليس الا لتخويف هؤلاء البسطاء وأمثالهم فقط؟

ولما ظن هارون ان موسى قد مات... فقد الأمل بذلك الرب المزعوم واستسهل صياغة إله جديد، كما فعل موسى من قبله، وعاد الى ايمانه القديم فأخذ ذهب مصاغ بني اسرائيل الذي سرقوه من المصريين طبعاً، وعمل منه عجلاً إلهاً يعبده ويقيمه للشعب رباً جديداً بديلاً للرب الوهمي الذي أقامه لهم موسى وأختفى بإختفائه!...

«المال الذي يأتي هيك بروح هيك» صدق المثل العامي إذ ان المصاغ الذي سرقه الاسرائيليون حيلة من المصريين وبوحي من إلههم، حوّله هارون إلى عجل معدّ للعبادة وها موسى يأتي وقد حمي غضبه فيحطّم العجل ويطحنه ويذيبه في ماء يسقيه لبني اسرائيل، فخسر الاسرائيليون الذهب الذي سرقوه وخسروا الإله، العجل، الذي أعدّوه للعبادة!... وخسروا ربّهم!

ويموت على يد حُماة موسى، من آل لاوي، ثلاثـة آلاف رجـل مـن الشعب بتهمة الاشراك. وأما هارون الذي شجعهم وصنع لهم العجـل، فـلا من يسأله ولا من يعاقبه. في الانقلابـات السياسـية والعسـكرية والعقائديـة، يحاكم قادتها، أما في الانقلابات التوراتية فيحـاكم الرعـاع وعامـة الشـعب ويُعفى القادة والمرشدون المدبرون!.

«وقال موسى للرب أنظر: أنت قائل لي أصعد هذا الشعب وأنت لم تعرّفني من ترسل معي... إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فعلّمني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمة في عينيك... إن لم يَسِر وجهك فلا تصعدنا من هنا... فانه بماذا يُعلم اني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك. أليس بمسيرك معنا فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.» خروج ٣٣:(١٢-١٦)

ثم بعد أن وافق الإله التوراتي على تمييز الشعب الاسرائيلي عن غيره قال له موسى: **«أرني مجدك... فقال له الرب: لا تقدر أن ترى وجهي لان الانسان لا يراني ويعيش. هوذا عندي مكان. فتقف على الصخرة. ويكون متى اجتاز مجدي اني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز. ثم أرفع يدي فتنظر ورائي، وأما وجهي فلا يرى...»** خروج ٣٣:(١٧-٢٣)

بهذه البساطة وكلعبة الغميضة التي يلعبها الاولاد، هكذا تصور لنا التوراة طريقة مشاهدة موسى لربه، إذ يجلس موسى في تجويف الصخرة ويضع الله يده على نقرة الصخرة لئلا يرى موسى وجهه! لأن رؤية وجه ذلك الإله ممنوعة وأما قفاه فنعم!...

رؤية وجه الإله قاتلة مميتة أما قفاه فملهمٌ وشاعري!...

ولا يحدثنا موسى، كما لا تذكر التوراة شيئاً عن اللغة الحوارية التي تجري بين الإثنين. كما لا يذكر موسى أية يد استعملها الله ليحجب نقرة الصخرة لعله لم يشأ ذلك خوف تحديد اتجاه ذلك الإله ومعرفة ان كان أعسر أم أيمن؟

ويده التي صنعت العجائب لم تترك بصماتها على الصخرة لئلا يأتي من يحلّلها ويدرسها، فيتعرف على صاحبها فيقدمه للعدالة!...

ثم كيف تقول التوراة ان وجه ذلك الإله لا يُرى في حين كان موسى يكلمه وجهاً لوجه: «**وكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه**» خروج ٣٣: ١١

كما ان شيوخ بني اسرائيل السبعين الذين اصعدهم موسى إلى الجبل قد راؤوه وأكلوا بحضرته.

ألم يحدد ذلك الإله بذاته طريقة الاتصال به: «**ان كان منكم نبيٌّ للرب فبالرؤيا استعلن له، في الحلم أكلمه. اما موسى فليس هكذا بل هو امين في كل بيت. فما الى فم وعيانا أتكلم معه**» عدد:١٢ /٦ -٨

بالرغم من هذه الرؤية العينية، لم يحاول موسى ابداً وصف ربه و لم يحدّث أحداً عن جمال او بشاعة ذلك الرب، كما لم يحدد شيئاً من صفاته ومقاساته. فما دامت شروط الرؤية لموسى مباحة، فلماذا لم يذكر شيئاً عن ذلك؟ وما الحاجة للصخرة ونقرتها، وكل هذه اللعبة الولادية؟

بعد ان تم اللقاء، صنع موسى لوحين من الحجر وهيأهما ليكتب الرب عليهما كلمات الوصايا. وعند الصباح بكّر موسى يلاقي الرب وهو ينادي: **«الرب إله رحيم... غافر الإثم والمعصية والخطية ولكنه لن يبرئ إبراء. مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع...»** خروج ٣٤: ٧/

وبعد اربعين نهاراً وليلة أمضاها موسى يستمع الى وصايا الرب ويحفظ قوانينه، تسلم لوحي الوصايا وعاد الى شعبه واشعاع نور إلهه يطفح من وجهه فاعلن لذلك الشعب وصايا ربه ورغائبه في صناعة الهيكل والتابوت وكيفية إقامة طقوس العبادة وطريقة ونوعية التقادم وأزمنتها.

«وفي الشهر الاول من السنة الثانية في اول الشهر أقيم المسكن ووضع فيه تابوت العهد الذي ضم الشهادة.» خروج ١٧/٤٠

فأكمل العمل **«ثم غطت سحابة خيمة الإجتماع وملأ بهاء الرب المسكن فلم يقدر موسى ان يدخل خيمة الإجتماع لأن السحابة حلت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن. وكانت فيها نار ليلاً أمام عيون كل بيت اسرائيل.»** خروج ٤٠/٣٤-٣٧

«واذا رجع موسى الى المحلة، بعد تكليمه للرب، كان خادمه يشوع بن نون الغلام لا يبرح من داخل الخيمة» خروج ١١/٣٣

لماذا يشوع مع موسى في لقاء القمة مع إلهه؟

لماذا يشوع وحده داخل الخيمة لا يبرحها ابداً؟

لماذا يشوع؟

هل كان يعد شيئاً بالإتفاق مع موسى؟

أم أن موسى كان يحضّره للمستقبل؟

ولكي يثبت موسى لشعبه قدسية أقواله: **«اخذ دماً ورش على الشعب وقال هذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الاقوال»** خروج ٢٤/٨

ما دام الرب التوراتي إلهاً دموياً، فأن شعبه الخاص سيكون مثله فقد رش الدم نفسه اثباتاً لقربى الدم وكرّس ذاته لارتكاب الجريمة، فأي سلام يرتجى واي معاهدة تحترم غير الشريعة التوراتية **«احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الارض التي انت آت اليها لئلا يصيروا فخاً في وسطك...»** خروج ٢٤/١٢

أيهما نصدق دعاة السلام ام التوراة؟

فأن صدقوا فما مصير التوراة وأين يكون اليهود من ربهم؟

واين يكون ذلك الرب منهم؟

وإن صدقت التوراة فلن يكون مصير العالم العربي احسن حالاً من مصير شكيم!.

التشريع

في كتاب اللاويين يذكر كاتب التوراة بالتفصيل طقوس الديانة المتبعة في عبادة الإله والتي لا يزال بعض كهنة الدين المسيحي يصرّون على ممارستها حتى ايامنا هذه متشددين بتطبيقها الى حد التزمّت والمغالاة. كما يحدد قوانين تلك الديانة وأسسها التنظيمية بدءاً برجال الهيكل وانتهاء بالتقادم والعطايا والذبائح المعدة للرب التوراتي!...

كما يحدد سفر اللاويين قانون الملكية وينظم العلائق الإجتماعية والسلوكية ذاكراً قصص الجان والتوابع وكل ما يعتبر جزءاً من حياة ذلك الزمان.!

ومن الحوادث المميزة في سفر اللاويين حادثة موت ابنيّ هارون: ناداب وابيهو في النار الغريبة التي قدّماها للرب دون أمره بها!... فيستنتج أنهما حاولا تقليد موسى في دوره، اذ كثيراً ما لاحظاه يهيء تلك النار، ولما حاولا، ولخطأ مادي ما، حصل الإنفجار فأكلتهما النار وماتا.

ألم يحاول هارون والدهما من قبل، تقليد موسى، حين سبك العجل على أمل ان يجعله إلهاً يعبده الشعب لكن عودة موسى من الجبل احبطت الخطة التي انتهت بإحراق العجل وتذويبه في الماء.؟!

ومن الاحداث التي أضافت شيئاً من المأسوية على سفر اللاويين قصة رجم ابن الإسرائيلية شلومية المتزوجة من مصري بسبب تجديفه على الله!...

إن المطلع على اخبار الشعب الكنعاني ومن سبقه أو عايشه من الشعوب المتحضرة يجد أن القوانين التي ذكرها موسى في اللاويين ليست استنباطاً إلهياً كما يتوخى موسى فرضه، وانما اقتباس عن جميع الشرائع ومنها الشريعة الحمورابية المعروفة او الشرائع الفرعونية التي كانت سائدة ذلك الحين. والجزء المميز هو ذلك الذي يختص بالتشريع الديني وبأصول الطقوس الايمانية وما يتبعها ويدور في فلكها من تصنيف الحيوانات المعدة للأضاحي وتصنيف التقادم وتحديد العشور العينية او المادية وتحديد نمط الفرائض الهيكلية والرسمية والتي نراها تطبق وتستمر في بعض طقوس الكنيسة التي يصر قادتها وموجهوها على ذلك...

التفرد بالإله

«فلما دخل موسى الى خيمة الإجتماع ليتكلم معه، كان يسمع الصوت يكلمه من على الغطاء الذي على تابوت الشهادة من بين الكروبين فكلمه...» عدد٧:٩

هل يعني هذا ان الله التوراتي لا يقيم إلا في الخيمة وأنه غير موجود خارجها؟

أو يعني أن موسى توصّل بعلمه إلى تسجيل الأصوات وإعادة سماعها كما هو معروف اليوم، إذ وضع الاسطوانة أو الشريط أو ما شابههما، داخل التابوت، وكان يعيد بثّها ساعة يشاء؟

أو انه خبّأ داخل التابوت شخصاً كيشوع بن نون مثلاً، يتلو عند الطلب وفق إشارة معينة متفق عليها، ما كان موسى قد لقّنه سابقاً لمثل هذه الحالات؟

«... وفي يوم إقامة المسكن غطّت السحابة المسكن وفي المساء كان على المسكن كمنظر نار إلى الصباح. هكذا كان دائماً. السحابة تغطّيه ومنظر النار ليلاً...» عدد ٩:(١٥-١٦)

ألا يعني هذا ان موسى توصّل إلى استعمال الكهرباء والتحكّم بذبذبات الهواء لتحريك الغيوم كما فعل ماركوني MARCONI فيما بعد في بداية القرن العشرين أي بعد حوالي أربعة آلاف سنة؟

«... وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول قم يا رب، فليبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك، وعند حلوله كان يقول أرجع يا رب إلى ربوات ألوف اسرائيل» عدد ١٠:(٣٥-٣٦)

هل تعني هذه الكلمات شيفرة سرية يقولها موسى لمن خبأه في التابوت ليتهيّأ لإطلاق الوحي، أو للتوقف عنه؟

ألا يعني أن الرب التوراتي هو مارد سجنه موسى في التابوت يطلقه منه ساعة يشأ لتحقيق مأربه وتسجيل انتصاراته المعنوية! وإلا كيف يتحقق لموسى أن يقيم للرب أعداء ومبغضين؟

ومع ذلك لم يستطع كتبة الأناجيل فيما بعد التخلص من هذا التفكير التوراتي. ففي رؤيا يوحنا وبعض الأقوال المنسوبة ليسوع وللتلاميذ نرى صورة الرب التوراتي لا تختلف عن صورة الرب الذي أقامه موسى ليخيف العالم به.

جهنم الرب نارها لا تطفأ ودودها لا يموت!...

والهاوية حيث البكاء وصرير الأسنان!.

للرب يسار ويمين فيجلس الأخيار الذين ينتقيهم عن يمينه والأشرار عن يساره فيقول للأشرار اذهبوا عني يا فاعلي الاثم إلى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت حيث النار لا تطفأ والدود لا يموت!...

يا فاعلي الاثم التوراتي الكبير: أيها الحاقدون على الله: أنتم أعداء الله، لأنكم جعلتم للرب أعداء!...

أيمين الله أفضل من يساره أيها الكفرة؟

هل يُجزئ النور؟ والمحبة والنعمة؟

هل يُقسم الحق؟ والخير؟

أيعقلُ أن يجزّأ الله فيفاضل بين أجزائه؟

أيعقلُ أن يحدد الله، فيحجّم وتنتهي ربوبيته؟

أيعقل أن يتلهّى الله بعذاب الناس في جهنم؟

أيعقل أن يكون لله أعداء كما تصوّره التوراة وما بعدها؟

فيكون الشيطان خليقة آلهية وفي نفس الوقت عدواً لله؟

أليس الانسان عدو نفسه؟

أليس الشيطان هو الانسان في شره؟

هذا الايمان التوراتي بالرب وتكليم موسى له ساعة يشاء كان موضوع تساؤل وشبهة عند مريم أخت موسى وعند أخيه هارون. فبصفته شقيقاً ومرافقاً لموسى، استطاع هارون الاطلاع على بعض فنون موسى وعلمه وحيله للإتصال بالإله، فأراد اقتباس الدور والتفرّد في القيادة وقد استسهل ذلك نظراً لتمرّسه في مراقبة أخيه، فكان لما تأخر موسى على الجبل أن تهيأ لاستلام الدور بعد أن سبك العجل الذهبي وأعدّ كل شيء لذلك!...

وبعد زواج موسى من المرأة الكوشية التي لم تُسَمّها التوراة ثارت ثائرة أخته مريم وأخيه هارون وحاولا الاستقلال عنه وتشكيل حزب جديد يتستر كموسى بالالوهية والقدسية.

«... وتكلّمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها فقالا هل كلّم الرب موسى وحده. ألم يكلّمنا نحن أيضاً. فسمع الرب.» عدد١٢:(٩-١٠)

«وحمي غضب الرب عليهما ومضى فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة، إذا مريم برصاء كالثلج...» عدد ١٢:(٩-١٠)

موسى كليم الله والمعلن لشريعته ينتهك تلك الشريعة التي أعلنها مقدسة للشعب فيتزوّج من امرأة كوشية وهذا ما أغاظ الأخوين عليه فانتقداه وأرادا توجيه السؤال مباشرة للإله الذي اتخذ موسى أميناً لسره، فإذا بهذا الاهيه الذي اهيه يعاقب مريم فيبرصها ولا يفعل شيئاً لهارون!...

ألم يشترك هارون واخته سوية في لوم موسى وانتقاده على زواجه من الكوشية، ويشتركا سوية في التوجه إلى ربهما؟

لماذا يعاقب أحدهما فيبرصه ويترك الآخر؟

ثم لماذا يمتنع هذا الاله عن تكليمهما وقد كلّمهما سابقاً كما يظهر من خلال النص؟

و لم يغضب موسى على محاولة أخويه ضده بل تدخّل يرجو ربه أن يشفي مريم، ولكن غضب ذلك الرب لا يجوز أن يهدأ لساعته:

«... فقال الرب لموسى: لو بصق أبوها بصقاً في وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام...» عدد ١٢:١٤

وبعد سبعة أيام أمضتها خجلة، وآسفة، هدأ خلالها غضب الرب واستكان، فشفيت مريم وتعهّدت أن لا تعود لمثلها لأن الرب التوراتي حدد لها ولأخيها هارون شروط الرؤيا والمكالمة «**إن كان منكم نبيّ للرب فبالرؤيا استعلن له. في الحلم أكلّمه. أما موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي. فما إلى فم وعيانا، أتكلم معه لا بالألغاز. وشبه الرب يعاين**» عدد ١٢:(٦-٨)

عجيب أمر هذا الرب: أحياناً يعاين موسى ويتكلّم معه فماً لفم وبوضوح وأحياناً يحجب رؤيته عنه إذ يضع يده على نقرة الصخرة فلا يعاين موسى إلا قفاه!... أو لا يعاين إلا شبهاً من أشباهه، وهم، على ما يبدو كُثرٌ في حياة الشعب اليهودي!...

الجاسوسية

«وكلّم الرب موسى قائلاً: أرسل رجالاً ليتجسسوا ارض كنعان»

عدد ١٣: ١

الله التوراتي صاحب مدرسة في الجاسوسية إلى جانب بقية كلياته المتخصصة في الشر، اذ علّم موسى ان الإنتصار في الحرب هو للجاسوسية أولاً. فيختار موسى بناء لتوجيه إلهي، جواسيسه من جميع الأسباط ويرسلهم إلى الأرض الكنعانية.

وبعد أربعين يوماً عادوا إلى موسى يخبرونه عن الارض التي تفيض لبناً وعسلاً وأروه عينة من ثمارها، اتوا بها من وادي اشكول:

«رماناً وتيناً وزرجونة بعنقود واحد من العنب حملها بالدقرانة اثنان من الرجال» عدد ١٣: ٢١-٢٣

وتهيأ موسى للغزو وأمر بالإستعداد للحرب.

وخاف شعبه من المغامرة، على الرغم من العجائب التي كان ربهم يأتيها أمامهم، وعلى الرغم من توجيهه لقائدهم موسى، حتى وعلى الرغم من تدخله مباشرة ومحاربته عنهم...

شعب يحارب الإله عنه ويخاف؟

شعب يقيم الإله له المعجزات ولا يثق به؟

شعب يختاره الإله شعبه الخاص ولا يأمن لربوبيته ويشكّ في كل لحظة بألوهيته ...

وتألب الشعب على موسى يقاومه بقيادة قورح وداثان وأبيرام فغضب موسى عليهم ولجأ إلى ربه يرجوه أن يبتدع لهم ميتة غير مألوفة ليثبت قدرته وللعهد الذي بينهما فكان ان انشقّت الارض وابتلعتهم أحياء: عدد ١٦

ومع ذلك لم يصدق الشعب لأنه على ثقة بأن هذا الرب ليس إلا بدعة من خيال موسى يحاول فرضه عليهم بفنون لم يسبقه إليها أحد. واستمرت ثورة الشعب وتأججت النقمة على موسى بعد مقتل قورح وداثان وأبيرام فكان ان الرب ضربهم بالوباء فمات منهم أربعة عشر ألفاً وسبع مئة نفس. عدد ١٦

ولولا بخور هارون لهلكت اسرائيل!...

آه من ذلك البخور ليت ناره لم تشتعل!...

الافعى

في أحد السبوت ضُبط احد الرحال يحتطب فاقتيد مخفوراً إلى موسى. وصدر الحكم برجمه. عدد ١٥:٣٢

رب موسى يأتي بالويلات وما من يحاسبه!.

رب موسى يقتل الناس بالآلاف ولا من يسأله!.

وحكيمه موسى يدمر ويقتل... وربه يباركه وعينه عليه!...

فلا إحراج عليهما بذلك، أما أن يحتطب فقير في سبت فهذه الجريمة الكبرى، وهذا هو الويل العظيم والخطيئة التي لا تغتفر!...

وفي قادش عاد الشعب للتذمر والتشكي والتأفف بسبب العطش والجوع وتمنى أن تبتلعه الأرض فيرتاح كما حصل لقادته قورح وداثان وأبيرام: ...«ليتنا فنينا فناء أخوتنا أمام الرب».

شعب غليظ الفهم لم يقتنع بعد بإلهه و لم يؤمن بأنه لعبة بيد قائده موسى يحرّكه، متى، وكيفما شاء!... وككل مرة تدخل هذا الإله أيضاً وأرشد موسى إلى عصاه ففجر الماء غزيراً من صخرة قادش. فشربت الجماعة ومواشيها. عدد ٢٠:(١-١١) وأكملت مسيرتها نحو أرض ملك أدوم الذي رفض أن يسمح لموسى وشعبه بالمرور فيها مما اضطره للدوران حول جبل حور عن طريق بحر سوف لتجنب المرور بأرض أدوم. وأثناء

هذا الدوران حول الجبل تضايق الشعب وارتفع صراخ الثـورة ضـد موسـى فأرسل الرب إليهم حيّات محرقة فلدغتهم ومات منهم قوم كثيرون.

وبناء لتلمس، موسى عطف اﻟﻪ عليـه وأرشـده إلى وسـيلة للخـلاص من الافاعي: «**أصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لُدِغ ونظر اليها يحيا. فصنع موسى حية من نحاس ووضعهـا علـى الرايـة فكـان متـى لدغت حية انساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا.**» عدد ٢١:(٨-٩)

الافعى الملتفة على عصا، شعار الاطباء اليوم، هي شعار وثني كنعـاني قبل أن يدّعيه موسى شعاراً للشفاء من الغضب الإلهي!...

فإله صيدا الوثني أشمون كان إلهاً للشفاء وشعاره حيتان ملتفتان حول عصا!.

انتحال عبادات وشعارات إيمانية

وسرقة آلهة وشرائع

وتعبد مزاجي لآلهة ترسل نوعين مـن الأفـاعي: إحداهمـا لعنـة قاتلـة وأخرى شافية منقذة!

رجم، وقتـل، ودمـار، وويـلات، وحـروب، وأفـاع قاتلـة، ونقمـة، وتشفٍ وسادية، كلها مغفورة وقابلة للســماح إلا الإحتطـاب يـوم السـبت فجريمة لا غفران لها، وخطيئة مميتة لا يغفرها إله ولا تسامح فيها شريعة ولا تنفع معها حية ملتفة على عصا!...

الحب ممنوع، القتل مشفوع والعتب على الله!

بعد موت مريم اخت موسى في برية قادش ودفنها، تابع الركب العبري مسيرته نحو أرض الميعاد ولدى وصوله إلى أرض الاموريين طلب موسى اذناً بالمرور من ملكها سيحون ولما رفض هاجمه واحتل أرض الاموريين. ثم تحول وصعد في طريق باشان على مشارف الأرض الموعودة فخرج عوج ملك باشان لمنعه فكانت معركة أزرع المشهورة اذ انتصر فيها موسى واحتل أزرع عاصمة باشان في جنوب حوران وقتل من شعبها خلقاً كثيراً وأحرق المدينة وسبى أهلها!...

ومن حوران التف موسى وشعبه ونزلوا في عربات موآب عبر أردن أريحا. وحاول شيوخ موآب ومديان تسخير النبوة والشعوذة والعرافة لإبعاد الشر الاسرائيلي فلجأوا إلى حلوان العرافة وإلى بلعام بن بعور.

ففي محاورة طريفة بين بلعام واتانه (عدد ٢٢) تحاول التوراة إيهام الناس انه حتى الاتان رفضت إكمال المسيرة لأن الأمر يتعلّق ببني اسرائيل، فعلى الرغم من محاولة بلعام صاحبها إجبارها بالقوة على السير للعن اسرائيل بناء لرغبة الملك المؤابي، حينها وعند إصرار الاتان ندم بلعام وعاد إليه رشده واعترف قائلاً: **«لأني عرفت أن الذي تباركه مبارك والذي تلعنه ملعون»** عدد ٢٢:٦ ثم يتابع بلعام تنبؤه في بني اسرائيل: **«هوذا شعب يسكن وحده وبين الشعوب لا يحسب»** عدد ٢٣:٩

«يأكل فريسة ويشرب دم قتلى». عدد ٢٣:٢٤ «يأكل أممًا مضايقيه ويقضم عظامهم» عدد ٢٤:٢٨

ويتابع بلعام بن بعور نبوءاته محدداً لشعب اسرائيل انتصاراته على أعدائه ليثبت لهم قدرة إلههم وليشدد عزيمتهم في الايمان به والوثوق بمواعيده.

ومع ذلك وعلى الرغم من تنبؤات بلعام وقدسية أتانه وعلى الرغم من العجائب التي صنعها يهوه لأجلهم، وعلى الرغم من الويلات التي حاول تأديبهم بها ليثبت لهم ربوبيته ويجبرهم على الإذعان لها والإيمان به، وعلى الرغم من موسى ووصاياه، فإن اسرائيل عادت في شطيم مؤاب إلى وثنيتها إذ تزوج الاسرائيليون من بناتها فزنوا وسجدوا لفغور آلهة مؤاب، فضلّوا وزاغوا عن إيمانهم: «... **وأقام اسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مؤآب فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن. فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلّق اسرائيل ببعل فاغور». عدد ٢٥:(١-٣)**

صبرك طويل أيها الرب التوراتي فما أعظم تعلّقك بشعبك المختار وما أطول أناتك!.

وأخيراً حمي غضب الرب فأرسل وباء يعاقب به بني اسرائيل على ارتدادهم وعقوقهم وجحودهم فمات منهم خلق كثير: أربعة وعشرين ألفاً: عدد ٢٥:٩

حينها اجتمع شيوخ اسرائيل يبكون أمام خيمة الاجتماع ويتشاورون في أمر الخلاص من الوباء الإلهي ويتدارسون سبل استرضاء إلههم. وكانت

الصدفة أن رجلاً من بني اسرائيل هو زمرى بن سالو قد جاء وقدم إلى اخوته زوجته المديانية كزبى بنت صور رئيس قبائل مديان. ووجد المجتمعون في هذا الزواجَ بين اسرائيلي ومديانية، غطاء لعهرهم ورأوا فيه سبباً لغضب آلهتهم عليهم، فكان إن اندفع فينخاس بن العازر بن هرون وقتل الاسرائيلي وزوجته المديانية، غسلاً للعار ودفعاً للبلية، وعودة إلى أحضان يهوه الذي أرضته الفدية فأعطى ميثاقه لاسرائيل وبارك عمل فينخاس بن العازر بن هرون.

فسلمت اسرائيل من الوباء باستشهاد الحبيبين: زمرى بن سالو الاسرائيلي وكزبى بنت صور المديانية!...

شهيدا الحب ماتا قتلاً!.

فأنقذ شرف إله اسرائيل وسلمت اسرائيل من غضبه!... وقد نسي كاتب التوراة أن: موسى، من قبل كان قد تزوج من صفورة ابنة يثرون كاهن مديان الوثني وكان له منها جرشوم والعازر!...

موسى، أخذ بتعاليم ونصائح كاهن مديان في تنظيم دولته وإعلاء شأنها!...

ومن ثم تزوج موسى من المرأة الكوشية التي لم تذكر التوراة لها اسماً!...

لماذا لم يجتمع شيوخ اسرائيل فيقتلوا موسى مرتين!...

ألم ينتهك شرائعهم المقدسة مرتين في زواجيه؟...

ألم يضربهم الله عدة مرات بالويلات؟ لماذا لم يجدوا في زواج موسى السبب لويلاتهم؟

أما أن يحب زمرى بن سالو الاسرائيلي كزبى بنت صور المدياني، فهذه الجريمة الكبرى التي لا تغتفر والذنب الذي لا يسامح فيه إله اسرائيل فيحمي غضبه ويرسل أحد أوبئته فيقتل أربعة وعشرين ألفاً!... و لم يهدأ غضبه إلا باستشهاد الحبيبين!...

بالطبع تذكرون خرافة الكاتب الفرنسي لافونتين LA FONTAINE «الحيوانات المرضى بالطاعون» «les animaux malades de la peste»

كيف هجمت وحوش الأرض على الحمار المسكين الذي اعترف بأكله قضمة من حشيش يابس من جوار أحد الأديرة، فاعتبرت فعلته هذه سبباً لمصيبة الطاعون التي حلّت بها وفتكت به، مكفّرة بذلك عن كل كبريات فتائكها.

فلو كان زمرى وكزبى هما سبب البلية الإسرائيلية فلماذا لم يقتلهما رب التوراة وحدهما دون غيرهما وقد فعلها قبلا، إذ فتح الأرض فابتلعت قورح وداثان وأبيرام؟

لماذا الإنتقام من الشعب بكامله لأجل خطيئة اثنين منه؟

موسى مشرّع إلهي معفي من القصاص وذنبه مغفور لأنه كالباباوات معصوم عن الخطأ!... وهل يعاقب المشتَرَع ذاته؟

وهل يستطيع الإله الذي أوجده موسى ان يعصى أمر سيده فيعاقبه؟ أيهما لخدمة الآخر؟

ألم يعاقب هذا الإله بالبرص أخت موسى، مريم، لأنها لامت أخاها على زواجه من المرأة الكوشية؟

أليس إله موسى مثل حفيده فينخاس بن العازر، مستعدين لتنفيذ رغبات موسى وطموحات موسى؟

أي نبي عظيم هو انت يا موسى!...

وأية شريعة عظيمة علّمتها للناس!

وأي أهيه الذي صنعته يداك وأقنعت العالم به، فضلّلته!..

وبعد أن يوصي الرب التوراتي موسى كيف يجب أن تقدّم له الذبائح وترفع إليه القرابين يذكره بكيفية إعداد الأشوية وأزمنتها محدداً الأنواع لكل يوم، فيرى القارئ نفسه بعد أن يقرأ الاصحاح الثامن والعشرين من سفر العدد، أمام مكان تعبق فيه رائحة الشواء ويرتفع دخان الأضاحي والبخور والإله الاسرائيلي كنظيريه مولوخ وفغور يأكل ويأكل بلا شبع!...

ولكثرة حب هذا الإله للدم وعشقه للقتل يوصي موسى قائلاً: «... **انتقم نقمة لبني اسرائيل من المديانيين»** عدد ٣١:٢

وجرّد موسى جيشاً من اثني عشر ألف رجل، ألف رجل من كل سبط... فتجندوا على مديان كما أمر ربهم وقتلوا كل ذكر فيهم. وملوك مديان الخمسة قتلوهم فوق قتلاهم... **«وسبى بنو اسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع مواشيهم وبهائمهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم بالنار... وأتوا إلى موسى والعازر الكاهن»** عدد ٣١:(١-١٢)

كما قتلوا بلعام بن بعور الذي سخّر ضميره لأجل قضيتهم وتنبأ ليثبت ألوهية ربهم وليكرّس بنوتهم له!...

ولدى استعراض موسى لجيشه ثار غضبه عندما رأى السبايا من نساء مديان وهاج كثور قائلاً: **«هل أبقيتم كل انثى حية. ان هؤلاء كن لبني**

اسرائيل حسب كلام بلعام بن بعور سبب خيانة للرب في أمر فغور... فالآن اقتلوا كل ذكر من الاطفال. وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها لكن الفتيات الصغيرات اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر ابقوهن لكم حيّات...» عدد ٣١:(١٥-١٨)

وتتم المجزرة ويسدل التاريخ ستاراً على مديان بكل حضارتها وبكل شعبها.

هذا الانتقام من أهل مديان لم يذكر التاريخ قبله ولا بعده انتقاماً يشابهه ومع ذلك يحاول الاسرائيليون تصوير أنفسهم للعالم انهم مظلومون، ويعيدون من وقت إلى آخر إلى ذاكرة الناس الفظائع التي ارتكبها هتلر بحقهم، دون أن يلتفتوا إلى صراخ أطفال كفرياسين ولبنان وغيرهما في العهد الحديث ولا إلى صراخ أطفال مديان في العهد القديم!...

عفت ذاكرة اسرائيل عن مديان وكذلك فعل التاريخ!...

هتلر مجرم حرب أقام المواقد والأفران لقتل بعض بني اسرائيل المتهمين بالخيانة فكان ان قلب من بقي منهم الأرض والسماء عليه. أما شعب موسى فلا يذكر التاريخ جريمته في أهل مديان لأنه لم يُبقِ على ذَكَرٍ منها يحدّث عن الجريمة الأبشع التي ارتكبت في التاريخ كله بحق شعبٍ أبيد عن بكرة أبيه!...

هتلر لم يقتل الأطفال!...

هتلر لم يسلب ويحرق الممتلكات بالنار!...

موسى أعظم من هتلر بكثير وليس هتلر على دمويته وإجرامه إلا تلميذاً ابتدائياً في مدرسة موسى الاجرامية!...

من قتل ذكور مديان من الاطفال؟

من قتل الاجنّة في مشيمات النساء؟

أي قاتل في التاريخ فعل فعلة موسى؟

أي مجرم عنصري يفكر بقتل الجنين في بطن أمه خوفاً من كونه ذَكَراً مستقبلياً؟

ونساء مديان كنّ سبباً لضلال بني اسرائيل حسب استشهاد موسى بقول بلعام، أنسي موسى انه تزوج من إحداهن: صفورة ابنة يثرون كاهن مديان؟

فهل كان على ضلال يوم تزوجها؟

وهل يضلُّ أنبياء الله؟

ما دمت يا موسى تستشهد ببلعام الذي باعك ضميره فقدّست تنبؤه الكاذب فلماذا قتلتموه؟

أطمساً للجريمة أم عقاباً له لأنه خان شعبه وباعكم ضميره فخشيتم أن يصبح حقيقة يتبعه الشعب، فيعود ويبيع ضميره لغيركم؟

أما الفتيات المديانيات البكور فلماذا أبقيت عليهنّ؟

ألم تكن امهاتهن وأخواتهن سبباً لضلال بني إسرائيل وأنت أحدهم؟

هل أجاز لكم ربكم الإبقاء عليهن للاستمتاع بهن فيما بعد؟

هل هنّ لليالي المحنون؟

ألا تخشى إن كبرن، أن يعود شعبك فيفسد معهن؟

هل نسيت يا موسى وصية تثنية الاشراع: ٢٤:١٦

«لا يقتل الآباء عن الاولاد ولا يقتل الاولاد عن الآباء. كل انسان بخطيئته يقتل.»

لماذا كل هذه المجزرة إن كان صدقاً ما شرعتموه؟

لماذا تموت مديان كلها: رجالاً وأطفالاً وأجنة وتحرق أملاكها وبيوتها؟

ألأجل أن زمري بن سالو الاسرائيلي تزوج من المديانية كزبى بنت صور؟

لماذا لم يكن رد الفعل هذا حين تزوج موسى الاسرائيلي من صفورة بنت يثرون كاهن مديان؟

يثرون كاهن مديان، حمو موسى ومرشده لم يعد يذكره التاريخ بعد مجزرة مديان! لماذا؟

وصفورة ابنة يثرون وزوجة موسى لم يعد يذكرها التاريخ بعد مجزرة مديان!

وجرشوم بكر موسى من صفورة بنت كاهن مديان لم يعد يذكره التاريخ بعد مجزرة مديان!

والعازر بن موسى من صفورة بنت كاهن مديان لم يعد يذكره التاريخ بعد مجزرة مديان!

لماذا؟ هل كـان هـؤلاء بـين قتلى مديـان فلـم يذكـر التـاريخ عنهـم شيئاً!...

وبكل بساطة وكأن شيئاً لم يكن يقـول موسـى لشـعبه بعـد المجـزرة:

«وأما أنتم فانزلوا خارج المحلة سبعة أيام وتطهّروا» عدد ١٩:٣١

شعب كامل أبيد

شعب حضاري بممالكه الخمسة أزيل مـن التـاريخ وجريمـة لم يسـبق و لم يلحق بفظاعتها أية جريمة أخرى...

ويكفي سبعة أيام للتطهير وعفا الله!...

وفي عربات موآب على أردن أريحا كلّم الرب موسى قائلاً: «**إنكم عابرون الأردن الى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض... ولا تستبقون أحداً لئلا يكونون اشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الارض...**» عدد ٣٣: ٥-٥٦

«**تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة، الجبل والسهل والجنوب وساحل البحر، أرض الكنعاني ولبنان الى الفرات... أدخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم ابراهيم واسحق ويعقوب ان يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم**» تثنية ١: ٦-٨

بهذه الكلمات الواعدة الصريحة تحدد القسم التوراتي لبناء دولة إسرائيل العتيدة، وعلى أساس هذا الوعد الإلهي كان تنظيم وتخطيط العمل لتحقيق إقامة الدولة العبرية على حساب غيرها من الدول المجاورة دون الاكتراث لمصير الشعوب التي هيأ الوعد الإلهي طردها وتشريدها.

فمنذ حوالي ثلاثة الاف سنة والشعب العبري يعمل بهدوء، غير مكترث بعدد القرون التي تتوالى، لتحقيق الوعد بالدولة الإلهية التصميم! وعلى الرغم من تعدد محن هذا الشعب التي أصابته خلال عمله الدؤوب في ذلك، فإنه لم يتخل لحظة من نسيان هذا الوعد لان التوراة ما فتئت تذكره به وتحثّه عليه في كل لحظة.

واليوم وقد حقق الشعب العبري جزءاً من دولته في حدودها الحالية مغتصباً حق الفلسطينيين في أرضهم وفي وطنهم، ومختلسا ارض الجولان السورية، وحالما على صدر الجنوب اللبناني، يتحدث العالم وكأن سلماً سيتم بين إسرائيل وجيرانها على أساس الإعتراف المتبادل بالوجود وبالحدود الحالية!..

فلو قبل العرب بذلك واعترفوا بحق الشعب اليهودي في الوجود ضمن الدولة الاسرائيلية الحالية بعد تخليها عن مغتصبات الجولان ولبنان، فهل تقبل إسرائيل ذلك؟

هل تقبل ان تحجّم دولتها التوراتية الى الحدود التي ستكون عليها بعد تنازلها عن الارض التي احتلتها بعد حرب ١٩٦٧ ؟

فأن فعلت ذلك فما الغاية من تلك الحرب وما تلاها من الحروب التي شنتها؟

وإن فعلت ذلك فما مصداقية الوعد التوراتي بإنشاء الوطن اليهودي الكبير على أرض الميعاد؟

وإن فعلت ذلك فما مصير التوراة نفسها، وما مصير قداسة ما جاء فيها؟

وأن فعلت ذلك، فهل يجزىء الشعب العبري الوعد الإلهي ويقسمّونه على مزاجهم فيرتضون بقليل ما يقدمّه مؤتمر السلام ويرفضون تحقيق الوعد الإلهي؟

وإن فعلت ذلك، فما مصير العلم الإسرائيلي نفسه وما الحاجة بعدها للخطين الأزرقين اللذين يمثلان الفرات والنيل؟ وهل ستكتفي اسرائيل بنجمة داوود، يتيمة، وحيدة، وسط رقعة بيضاء؟

فهل اصبحت القدس «اورشليم» مدينتها الأبدية المقدسة؟

هل أقامت الهيكل المقدس على انقاض المسجد الأقصى؟

هل ازالت قباب كنيسة القيامة التي تمثل تحدياً للايمان اليهودي العتيق أو أنها تحولت هي إلى الايمان المسيحي فآمنت بيسوع المسيح: ولادة وموتاً وقيامة؟

هل بدأ الشك عند الشعب العبري بإلهه حتى يرتضي بذلك؟

وقد شك كثيراً ولطالما ارتد عن ذلك الإله؟...

وإن فعلت ذلك وقبلت بمقررات المؤتمر الدولي كما يراها العرب فما مصير الشعوب التي اغتصبت أرضها وفرضت عليها جيرتها ووجودها؟

هل ستسمح إسرائيل ببقاء الاشواك هذه في أعينها؟

ألا تخشى مناخس الجوانب هذه؟

ألم تتحسب للعددية العربية المستقبلية؟ ألا يعرف الإسرائيليون علم الاعداد والحساب؟

أغبية اسرائيل الى هذه الدرجة؟

أم أن العالم، كله، هو الغبي لاستغبائه إسرائيل؟!

يشوع بن نون

«فعندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب الى تمامها...» تثنية ٣١: ٢٤

«مات موسى في الجواء بأرض موآب عن مئة وعشرين سنة ودفن مقابل بيت فغور ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم.» تثنية ٣٤: ٥-٨

مات موسى، فتسلم قيادة بني اسرائيل ربيبه وتلميذه يشوع بن نون. وكانت البداية مع راحاب عاهرة أريحا التي أخفت عندها على السطح، بين عيدان الكتّان المنضدة، جواسيس يشوع الذين أرسلهم لاستطلاع أخبار المدينة وأسرارها، والعواهر، على مدى القرون، لم تزلن على العراقة المهنية.

أريحا بلدة قديمة تحيط بها أسوار عالية منيعة، ويحميها نهر الأردن، بمياهه الغزيرة، وقبالتها وقف الجيش العبري بقيادة يشوع بن نون متهيئاً لاقتحامها ومتهيباً من النهر المقدس الذي لا يستطيع رفض الأوامر الإلهية، إذ أثناء عبور الإسرائيليين وبناء لإشارة من عصا يشوع، إنفلقت مياهه أمام أقدامهم وظهرت حجارة قعر النهر.

«...ووقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت نداً واحداً بعيداً جداً... وعبر الشعب مقابل اريحا فوقف الكهنة حاملو تابوت العهد على

اليابسة في وسط الاردن راسخين وجميع اسرائيل عابرون على اليابسة حتى انتهى جميع الشعب من عبور الاردن» يشوع ٣: ١٦-٧

وتخليداً لهذه الحادثة لا يزال بنو إسرائيل في أعيادهم، يحملون على أكتافهم اثني عشر حجراً ترمز إلى حجارة قاع الاردن الذي توقفت مياهه عن الجريان أثناء عبور اسرائيل لمحاصرة أريحا.

وبدأ الحصار، وهبّ الرب التوراتي فأرسل قائد جنده، أحد الملائكة، لمساعدة الاسرائيليين. **«وحدث لما كان يشوع عند أريحا انه رفع عينيه ونظر وإذا رجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده. فسار يشوع اليه وقال له أنت لنا او لأعدائنا. فقال بل انا رئيس جند الرب. الان أتيت.»** يشوع ٥: ١٣-١٤

ا لله يرسل قائد جنده لنصرة الاسرائيليين!...

لله جيش يقاتل به!...

لله اعداء يقاومونه فيحاربهم!

ملاك الله وقائد جنده يحمل بيده سيفاً مسلولاً وقد نسي كلام الله على فم يسوع الذي قاله لبطرس عندما شهر سيفه ليضرب عبد رئيس الكهنة:

«أغمد سيفك يا بطرس لأن الذي يأخذ بالسيف، بالسيف يؤخذ»

أيعقل ان يتحقق كلام المسيح فيؤخذ ذلك الملاك بسيف آخر؟ سيف من؟

لله أعداء يقاومونه فيحاربهم!...

بقدرِ قوتك تكون قوة عدوك!

قوة أعداء الله هي بقدر قوة الله أو أقل بقليل!

هكذا تريده التوراة أن يكون!.

ا لله يا كفرة التوراة. هو محبة مطلقة ولا يمكن أن يكون له أعداء.

ا لله يا كفرة التوراة، ليس بحاجة لجيش ولقائد جند، لأنه الخير المطلق للجميع على السواء. وليس بحاجة لسيوف ولمصانع اسلحة الدمار الشـامل التي تتقنون وتقتنون!...

ا لله هـو انتفـاء للشـر وللعـداوة وللكراهيـة وللعنصريـة!... فقـط في توراتكم جعلتمِ لله أعـداء يكرههـم ويعذبهـم ويقتلهـم ويبيدهـم ويصيبهـم بالويلات حماية لكم ودفاعاً عنكم وإبقاء لدولتكم!.

من التراث

ولما طال حصار أريحا لجأ يشوع الى اسرار علوم الفيزياء التي استقاها من محفوظات تابوت العهد وسقطت أريحا بفعل خرق جدار الصوت الـذي أحدثته الأبواق والهتافات، إذ ان يشوع كان قد درّب شعبه وجيشه وكهنته سبعة أيام على الصراخ ونفخ الأبواق دفعة واحدة اثناء الدوران حول اسوار المدينـة، حتـى استطاع استجماع اهـتزازات الاصـوات المحدثـة في اهـتزازة واحدة مما تسبب في احداث دوي هائل اسـقط الاسـوار وهـذا أمـر علمـي معروف، ولا تزال الجيوش البرية، حين عبورها احدى الجسور أو الانفـاق، او حين مرورها بجوار الجبال الشاهقة، الشديدة الانحدار، تمنع جنودهـا مـن السير في المشية العسكرية المعروفة لئلا يؤدي ايقاع الخطى إلى وحدة صوتيـة كاملة، تحدث فراغاً في الجو مما يسقط الجسور ويدمر الانفاق وتنهار عليهم الكتل الصخرية.

وسقطت أريحا وكانت مجزرة جديدة لم يسلم منها أحـد الا راحـاب العاهرة وأهلها!...

ورضي يهوه عن نتيجة سقوط أريحا وسرّ خاطره ما فعله يشوع بها، فبدأ يعلمه الحرب ونصب الكمـائن وفنـون الإغـارة وقتـل الأنفـس والسبي وإحراق المدن: «...**لتفعل بعاي وملكها كما فعلت بأريحـا وملكهـا. غير**

ان غنيمتها وبهائمها تنهبونها لأنفسكم. إجعل كميناً للمدينة من ورائها.» يشوع٨: ١-٢

«...ويكون عند أخذكم المدينة انكم تضرمون النار فيها.» يشوع٨: ٨

ونفذ يشوع أوامر وارشادات إلهه فسقطت عاي... فأحرقها يشوع وجعلها تلاً ابدياً خراباً الى اليوم. يشوع ٨: ٢٨

وسجل التاريخ في عاي مجزرة جديدة وأتحف التراث الاسرائيلي اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء والاطفال الذين إنضموا في عاي إلى لائحة الشهداء المنسيين!...

وكانت نكبة عاي المصيبة التي جمعت ملوك الحثيين والاموريين والكنعانيين الفرزيين والحويين واليبوسيين، وتنادت شعوب المنطقة للحرب وقد هزّتها نكبة عاي واحس كل شعب أن دوره آتٍ وأن مصير عاي هو صورة لمصيره!.

ومن الطبيعي في مثل هذه الحالات أن تتخاذل بعض المدن التي تحب الحياة ولا معنى للكرامة عندها، إذ أن سكان مدينة جبعون العظيمة، وهي أعظم من عاي وكل رجالها جبابرة، وعلى الرغم من شهرة جبروتهم فقد إرتضوا ذلّ العبودية، فأرتهنوا لبني إسرائيل، حفاظاً على حياتهم وأملاكهم وكتبوا على أنفسهم عهد الإستعباد والإستخدام. «يشوع الإصحاح التاسع.»

أثار استرهان جبعون للإسرائيليين وخيانتها لجيرانها، حفيظة الأموريين بجميع ملوكهم، خاصة أدوني صادق ملك اورشليم، فاجتمعوا لمهاجمة جبعون وتأديبها.

وتوسل المُسْتَعْبَدون أسيادهم فأغاثوهم وكانت معركة تدخل فيها الرب التوراتي، كما في كل مرة لصالح الإسرائيليين، ورمى الاموريين بحجارة عظيمة من السماء: «**والذين ماتوا بحجارة البرد هم اكثر من الذين قتلهم بنو اسرائيل بالسيف.**» يشوع ١٠: ١١

ولما أحس يشوع بالإنتصار تمنى دوام النهار ليستمتع بقتل من تبقى من الجيش الأموري فطلَب من ربه أمام عيون اسرائيل «**...يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي أيلون...**»

«**فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوباً في سفر يا شر...**»

«**...ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت انسان. لأن الرب حارب عن إسرائيل...**» يشوع ١٠: ١٢-٨٤

لا تهمنا الحقيقة العلمية إن كانت الشمس متحركة حول الأرض أم ثابتة تدور حولها بقية الأفلاك، ما يهمنا ان يشوع بن نون أرادها متحركة يوقفها ساعة يشاء للتلذذ بقتل الناس فيتلذذ ربه معه بذلك وتطيب نفسه، فيوم جبعون كان يوم عيد عند رب يشوع إذ أن ساديته قد تمتعت كما لم تتمتع من قبل ومن بعد برؤية القتلى والدمار والدماء، وأختبر الرب التوراتي

نفسه في ذلك اليوم وأرادها مناورة حقيقيــة وبالذخـيرة الحيـة، فسـرّه نجـاح خططه وسرته نتيجة المعركة.

الرب يحارب أعداءه، أعداء اسرائيل!...

وهل للرب ان كان ربـاً حقيقيـاً، خالقـاً كونيـاً واحـداً، احـداً، مـن يكرهه وأعداء يقاتلونه يا يشوع؟

مسكين لقد وقعت في شراك وثنية من سبقك، كمـا وقـع بعـدك غـيرك ولا يزال، فحمّلت ربك أوزارك، وحقـدك وسـاديتك وكراهيتـك وعنصريتـك فجعلته صورة بشعة عن الانسان العنصري.فبدلاً من أن يكون الإنسـان صـورة خير منعكسة عن صورة الله الحقيقي، لقد جعلت يا يشوع وكمـا فعـل غـيرك ولا يزال، صورة إلهك صورة منعكسة للشر، تعكس الجزء الشرير من الانسان، فكان إله التوراة يهوه، نموذجاً للشر وأبشع صورة يعكسها الأنسان الشرير.

عندما يحارب الرب فمن الطبيعي أن يهـزم أخصامـه!... وهكـذا فـرّ ملوك الأموريين الخمسة وأختبأوا في مغارة. وأتى مـن أعلـم يشـوع بـالأمر فداهم المغارة وقبض على الملوك الخمســة: ملـك أورشـليم، ملـك حـبرون، ملك يرموت، ملك لحيش وملك عجلون.

وطلب يشوع من قواد جيشه أن يتقدموا فيـدوس كـل منهـم أعنـاق هؤلاء الملوك الاسرى وبعدها وكما فعل يهوذا من قبل بأدوني بـازق ملـك الكنعانيين إذ قطع إبهاما يديه ورجليه وأذّله مع سبعين ملكاً قطـع أبـاهمهم وتركهم يقتاتون فتات موائده: قضاة ١: ٥-٧

هكذا فعل يشوع بأسراه الملوك الخمسة، وبعدما انتهى من تعذيبهم تم صلبهم!...

هكذا يعامل اسرى الحرب، وبهذه المناقبية الأخلاقية العالية كان يشوع بن نون يقتل سكان المدن ويسبيهم ويحرقها!...

فهولاكو وجنكيز خان ليسا في تاريخ الهمجية الحربية إلاّ اغراراً مبتدئين في مدرسة يشوع ومديرها ومؤسسها الرب التوراتي، الذي لا يكتفي بالإشراف والإرشاد والتوجيه وإدارة أعمال اللوحستيا بل يحارب عن إسرائيل كما تقول التوراة.

ومن يطالع سفر يشوع في الاصحاحات ١٠و١١و١٢، لا يعجبن من رائحة الدخان ولا تأنفن نفسه من عبق الجثث، ولا تنبهرن عينه من الدمار الذي تحدثه جيوش يشوع بمدن جيرانها...فكل هذا من تدبير وقرار وتنفيذ ومشاركة رب موسى ويشوع. الرب التوراتي حتماً...«فمن شبّ على شيء شاب عليه» **ومن تأسست دولته على القتل والدمار والحرق وغير ذلك من الفنون السادية لن تأخذه آخذة لا أخلاقية ولن يستعيب من فعل الشر. فالسلام وحده يخيفه، والمحبة وحدها تقض مضجعه، لانهما ليسا ابداً من تعاليم توراته!...**

بين الخلف والسلف

بعد موت يشوع إختلت العلاقة بين الرب التوراتي وبين بني إسرائيل، إذ نسي هؤلاء ربهم، ونسوا أفعاله معهم، ومحاربته عنهم، والخيرات التي كان يدفقها عليهم زمن المحن، وكعاتهم، عادوا للتنكر له ففعلوا الشر في عينيه وعبدوا البعليم. قضاة ٢: ١١

فحمي غضب الرب عليهم وأباحهم للنهب والذّل ثم ما لبث وكعادته ايضاً ان ندم وأتعبه ضميره على تركه شعبه المختار، فأقام لهم قضاة يحفظونهم من ناهبيهم وينقذوهم من مذليهم. لكن هؤلاء القضاء الذين أختارهم ذلك الإله، وقد أخطأ في إختيارهم لم يكونوا عند حسن ظنه، فلم يسمعوا له بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها. قضاة ٢: ١٦

مسكين هذا الإله التوراتي كم هو متسرع وأهوج، فهو يثور فجأة فيعاقب، ثم لا يلبث ان يندم.

ومسكين هذا الإله التوراتي الأحمق: يختار قضاة ليردعوا الشعب عن عبادة الأصنام، وليهدوه الى السبل الإيمانية المثلى فإذا بهم يرتدون الى الأوثان يتعبدونها!

هكذا تقول التوراة في سفر القضاة دون التنبه الى ان ذلك الإله ليس الى هذا الحد من الغشم الذي ترميه فيه غير قاصدة، وإنما تصور الشعب الاسرائيلي على انه لا يثق بذلك الإله وان ألوهيته هي دائماً عرضة

للأمتحان والمفاضلة مع ألوهيات أخرى، وهذا ما يثبته ارتداد بني إسرائيل الدائم عن عبادة ذلك الإله والعودة الى آلهة آبائهم الأولى أو إلى عبادة آلهة المحيط الذي يعيشون فيه.

فالثقة بين الرب التوراتي وبين اسرائيل كانت دائمة الإرتجاج، فما إن يرفع يد العطاء عنهم أو يد الحماية، حتى يتنكرون له ويعودون إلى عبادة غيره من الآلهة الوثنية، إذ يتصرفون معه كوثن من أوثانهم او كإله من آلهة ذلك الزمان يختلف عنهم بأنه إله محجوب لا تمثال يمثله ولا صورة ترمز اليه.فكأنه رب ساذج، جاهل، يحتاجهم، ويتودد إليهم، ويستلطفهم ويستعطف خاطرهم ويستميلهم ويعمل المستحيل لإرضائهم طمعاً في اكتسابهم إليه لأثبات ألوهيته، وتعزيزها على أساس أنهم شعبه المختار يؤمنون به ويفرضونه على غيرهم.

فهذا الشعب المختار على الرغم مما قدّمه لهم، ومحاربته عنهم، وتعليمهم وتثقيفهم وتشجيعهم، على الرغم من كل التقديمات التي خصّهم بها والإثباتات التي عرضها لهم ليقنعهم بربوبيته دون غيرهم من الشعوب التي كان يرميها بالويلات والأوبئة والمصائب إضعافاً لها وتقوية للشعب الذي خصّ نفسه به وحاول أن يفرض ذاته عليه. على الرغم من لوحي الوصايا والشريعة اللذين كتبهما بأصبعه، فإنه لدى أول فرصة تسنح كانوا يتركونه وحده منسياً، فريسة الوحدة والندم والأسى على كل ما فعله لهم... ثم لا يلبث ان ينسى صنائعهم وعقوقهم فيعود إليهم بمعطيات جديدة وخيرات أدفق ونعم أشمل...

فها أهود بن حيرا البنياميني الرجل الأعسر، أثنـاء محنـة بـني إسـرائيل، أرسله شعبه بهدية إلى ملك عجلون المؤابي، علّه يخفف عنهم.واثناء الطريـق ظهر له من ربه ما هداه إلى حيلة يقتل بها الملك ويريح شعبه منه إلى الابـد. فبعد ان قدّم هديتـه الى الملـك، فاسـتكان لـه، طلبـه للحديـث علـى انفـراد وعندها قتله وفرّ الى شعبه قبل أن يُكتشف امره، واستنهض الشعب العبراني لقتال الموآبيين قبل ان تجتمع كلمتهم، فأباد منهم عشـرة آلاف واسـتراحت الارض كما يقول سفر القضاة ثمانين سنة. قضاة ٣.

وعلى زمـن القاضيـة دبـورة الـتي ادعـت النبـوة، سـخرّت الـرب في الإحتيال خدمة لإسرائيل. وعلى أساس أنها نبية مرسلة من ربهـا اشـتركت في قيادة القتال إلى جانب بارق النفتالي ضد الكنعانيين بقيادة سيسرا،وذلـك تنشيطاً لنخوة الإسرائيليين وحثاً لهم على الحرب ورفعاً لمعنوياتهم فيها.

فالقاضيـة النبيـة الـتي اختارهـا الـرب هـي معهـم، إذاً فـالرب معهـم وسيحارب عنهم كعادته. وتشاء الصدف أن يندحر الكنعانيون وفرّ قائدهم سيسراً الذي قاده حظه النكد أثناء فراره إلى خيمة ياعيل إمرأة جـابر القيـني فيستنجدها ويستجيرها. فطمأنته وهدأت روعه وخبأته تحت اللحـاف بعـد أن سقته اللبن. وأثناء نومه وقد أتعبه الفرار وأنهكه الجوع، شـجّت صدغـه بوتد خيمتها. ولدى وصول بارق النفتالي قدمّت له رأس غريمه.

ياعيل يا لبؤة اسرائيل المختبئة في خيمة!...

ياعيل ايتها المنسية في الصحراء!...

هكذا فلتكن النخوة!...

هكذا فلتكن الإجارة!...

هكذا فلتكن الأمانة!...

بالله عليك يا سموأل من أين تعلمت الحميّة والنخوة والأمانة وتعاليم كتبك تمجّد ياعيل ويباركها إلهك؟

«...تبارك على النساء ياعيل إمرأة جابر القيني. على النساء في الخيام تبارك. طلب ماء فاعطته لبناً. في قصعة العظماء قدمت زبدة. مدّت يدها الى الوتد ويمينها الى مضراب العَمَلة وضربت سيسرا وسحقت رأسه. شدخت وخرقت صدغه.» قضاة:٥/٢٤-٢٧

ألم تقرأ كتبك يا سموأل؟ أم أنك قرأتها فعافتها نفسك لما فيها،فآثرت الإبتعاد عن شعبك وعن أخلاقهم، وذهبت الى عمق البادية تفتش عن الأصالة وتعيش حقيقة المفاهيم المثالية؟ يا رحباً بك وبأمثالك ويا وسع صفحات التاريخ تملؤنها ضياءً ومثلاً ومفاهيم محبة وخير وقيم.

ومع وجود القاضية دبورة بينهم، وعلى الرغم من العلاقة الحميمة التي كانت تدعيها بينها وبين رب التوراة وتسخيرها له لنصرة شعبها فإن الإسرائيليين عادوا إلى نكرانه واتباع غيره من الآلهة فكأنهم اكتشفوا زيف العلاقة القائمة بينه وبين نبيّته دبورة فتقول في ذلك وكأنها يئست من شعبها: **«...قمت أمّاً في إسرائيل. أختار آلهة حديثة.» قضاة ٥: ٧-٨**

إله اسرائيل إله قديم بطلت موضته وشعبها يحب التحديد في كل شيء حتى في آلهته فهل في ذلك من مأخذ؟

و لم يفهم الإله الإسرائيلي ذلك و لم يقبله وعزم على تأديب شعبه فشدّد قلب المديانيين عليه وأوغر صدورهم وأعانهم على إذلال اسرائيل التي لم تتأخر في رفع صوتها إليه مستجيرة، طالبة العون ونادمة على فعلتها معه.

أيترك إله اسرائيل شعبه؟

أيمكن أن تترك الأم ابنها يسقط في الهاوية على الرغم من غضبها عليه وتمنيها له الموت ساعة غضبها؟

وكعادته، وعلى الرغم من تعمّده نصرة المديانيين، وبينهم ثارات قديمة معروفة، هبّ لنجدة شعبه وأرسل ملاكه يمتحن جدعون بن يؤاش الأبيعزري الوثني ويعدّه لقيادة بني اسرائيل وكانت حينها في فراغ القيادة وضياعها.فأتاه الملاك وأثبت له أنه مرسل من إله غير البعل الذي يعبده وقبيلته وطلب منه أن يمد عكّازه ولما مسّ اللحم والفطير بها صعدت نار من الصخرة فالتهمت اللحم والفطير. حينئذ أمام هذه الخارقة، آمن جدعون بقدرة هذا الإله الجديد، واثناء الليل قام الى مذبح البعل في المدينة فهدمه.

على الرغم من دخول روح ذلك الإله فيه خاف من انتقام القبيلة منه ففر هائماً على وجهه. واثناء فراره اهتز يقينه بهذا الإله الجديد فأراد امتحانه مرة اخرى للتأكد من سلامة إيمانه في مقدرة ذلك الإله. فكان ان امتحنه بجزّة الصوف وقصتها مروية في سفر القضاة.٧

ولما استوثق من ربه وضع نفسه بتصرفه واذعن له. فهاجم المديانيين بوحي من نفس الإله، الذي هيّج المديانيين، ونصرهم على إذلال شعبه، وهداه إلهه الى حيلة المصابيح والجرار والأبواق يضلل بها الجيش المدياني ويخرجه من مكامنه وانتصر عليهم وحصل على مياه الاردن والأرض المحيطة. قضاة ٧و٨

وتتباهى التوراة بجدعون قاضي اسرائيل وتقيمه بطلاً، ويروي الكهنة قصص بطولاته وسيرة حياته المقدسة، والحقيقة، ان جدعون بن يوآش، الذي أُعِدَّ لقيادة اسرائيل بوحي من ربها، فتراىء له مرتين وامتحنه بواسطة ملاكه مرتين واستوثق من ذلك الإله عدة مرات اذ اظهر له قوته حتى يقوّي إيمانه ويثبته فيه، وعلّمه حيل الحرب ونصره فيها، قد عاد الى إيمانه القديم متنكراً لذلك الإله المؤقت اذ أخذ ذهب الإسماعيليين وسكبه وأقام أفوداً في مدينته عفرة يتعبد له وكل بني اسرائيل معه!...

«ومع ذلك يرضى الرب على جدعون فيموت بشيبة صالحة بعد ان انجب سبعين ولداً لأن له نساء كثيرات ومن بينهن سرّية من شكيم أنجبت له أبيمالك» قضاة ٨: ٢٢-٣٠

اي ايمان، هو ايمانك يا جدعون؟

اي رب، هو رب اسرائيل؟

كم انت طويل البال يا الله!...

وبعد موت جدعون ، وكعادتها، نكثت اسرائيل عهدها مع الرب، مستغلة حاجته اليها وتودده لها. فلولاها لم يوجد، فعليه إذاً مهما فعلت، ان يسترضيها ليبقى وإلا... فهناك آلهة أخرى غيره...

مسكين ذلك الإله يخشى الوحدة والضياع، ويحتاج عبدة لإثبات وجوده وإلا مات منسياً!...

وهكذا وككل مرة ارتدت اسرائيل الى ايمانها القديم **«فزنت وراء البعليم وجعلت لها بعلاً تعبده: بريث. ولم يذكر بنو اسرائيل الرب إلههم الذي أنقذهم من يد جميع أعدائهم. ولم يعملوا معروفاً مع بيت جدعون نظير الخير الذي عمل مع اسرائيل.»** قضاة ٨: ٣٣-٣٥

الردّة الكبرى

تسلّم ابيمالك بن جدعون من سريته الشكيمية مكان أبيه، إذ أنه لدى اشتداد ساعده ذهب إلى أخواله في شكيم وطلب مؤازرتهم له في تسلم السلطة **«فاعطوه سبعين شاقل فضة من بيت بعل بريث فاستأجر بها رجالاً بطالين طائشين فسعوا وراءه. ثم جاء إلى بيت ابيه في عفرة وقتل أخوته بني جدعون سبعين رجلاً على حجر واحد. ثم اجتمع سكان شكيم واهل القلعة ونصّبوه ملكاً عليهم عند بلوطة النصب الذي في شكيم.»** قضاة: ٩/٤-٦

وأمضى ابيمالك ثلاث سنوات متمرساً في القتل والتدمير ونشرالأذى والخوف حوله مما ساء أهل شكيم فانقلبوا عليه وثاروا بقيادة جَعل بن عابد، فأوغروا بتصرفهم قلب أبيمالك الذي حاصر المدينة ودخلها وهدمها وزرع أرضها ملحاً، لتموت الأرض فيها، فلا تنبت عشباً ولا شجراً. قضاة ٩: ٤٥. ولم يكتف بذلك بل جمع حوالي الألف من سكان المدينة وأحرقهم أحياء في هيكل بريث.

ولدى محاولة أبيمالك إحراق مدينة تاباص، التي كان يحاصرها، شجت امرأة رأسه بحجر رحى ألقته عليه من سور المدينة، ولما أحسّ بالموت طلب من عبده ان يقتله بالسيف لئلا يقال ان امرأة قتلت ابيمالك، فطعنه غلامه فمات. قضاة ٩: ٤٥

أبيمالك قاضي اسرائيل ووريث جدعون وابنه يفتك بأخوته السبعين بأيدي رجال استأجرهم بمال البعل بريث، ثم يحرق مدينة أمه ويزرع أرضها ملحاً كي يميت الحياة حتى في الأرض. أبيمالك نموذج من قضاة اسرائيل الذين يتقنون فنون الدمار والإفناء بمباركة إله اسرائيل الذي على الرغم من تسخيره كل قواه لخدمة هذا الشعب قصد استمالتهم اليه، وعلى الرغم من فنون الألوهة التي يعرفها والتي مارسها عليهم ليقنعهم به، فقد كانوا عند أول مفترق يتركونه وحيداً يلتمس طريقه. فهو لا يختلف عندهم عن البعل بريث، الذي يعبدونه ويأخذون ماله لخدمة شهوة القتل عندهم، كما لا يختلف عندهم عن مولوخ أو غيره، لذلك سَهُلَ الإنتقال الإيماني عندهم من إله الى إله دون شعور بالغربة أو ببعد الإنتماء!...

مسكين هذا الإله! لم يتعلم من ماضي تجربته مع شعب اسرائيل شيئاً، وها هو المرة تلو المرة، يندم وينسى غضبه عليهم فيعود الى شعبه اسرائيل يغيثه عند أول لهاث نجدة يطلقها!...

الدم يحن الى الدم... والدم لا يتحول الى ماء!...

أليس هو صنيعتهم!..

أليسوا شعبه المختار؟

لمن سيلجأ إن تركوه؟

من سيعرفه غيرهم ؟ وقد مات من عرفّوه عليهم؟...

مسكين هذا الإله!... سيموت وحيداً، معزولاً، ومجهولاً، إن هم تركوه...

لذلك فهو معذور بندمه على غضبه عليهم

ومعذور إن عاد الى حضانتهم

ومعذور إن نسي أو تناسى عقوقهم وخيانتهم!...

أما هم فلم يتغيروا، لقد عرفوا سر ضعف إلههم وسر قوتهم فتسلطوا عليه واستعلوا. فمن زمن موسى، مروراً بجميع القضاة الى زمن يائير، فهم ما فتئوا يعودون للجحود به والإرتداد عنه «**فعادوا يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاريت وآلهة آرام، وآلهة صيدون، وآلهة موآب، وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوه ولم يعبدوه.**» قضاة ١٠ ٦

هكذا في نهاية كل عمل يقدمه لهم كان الإسرائيليون يتركون إلههم وحيداً، منسياً، يتلهى بحسد غيره من الآلهة التي كان يلجأ اليها شعبه المختار بعد تركه...

بنت يفتاح

وحمي غضب الرب على شعب اسرائيل فباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون، فتضايق الشعب وأحس بزيغانه فأزال الآلهة الغريبة وصرخ طالباً العون من الرب، الذي سمع الصراخ الاسرائيلي، حتى ضاقت نفسه فأرسل لهم يفتاح الجلعادي، إبن زانية، وقاطع طرق، إختاره ليترأس شعبه ويخلصّهم من بني عمون.

في المصفاة حيث كان الشعب الإسرائيلي مجتمعاً تكلم يفتاح مع الرب معلناً شروطه الرئاسية. قضاة ١١: ١١ ولما قبل الشعب أقسم للرب إن عاد منتصراً من حرب بني عمون أن يقتل أول من يستقبله، إرضاء لإلهه...

وعاد يفتاح من الحرب منتصراً وعينه على الطريق تفتش عن كبش الفداء، فكانت ابنته الوحيدة أولى الخارجات المستقبلات بدفوف ورقص... ولما رآها مزّق ثيابه لأن القسم قد أقيم والقرار لن يتغير...

ولم تشأ الفتاة العذراء أن تجبر أباها على حنث قسمه بل رجته أن يمهلها شهرين تبكي خلالهما عذريتها في الجبال... وهكذا كان، فبعد شهرين، نُفّذ الحكم وهي لم تعرف رجلاً!...

فصارت عادة في إسرائيل ولا تزال بناتها يتذكرون بنت يفتاح العذراء التي قتلها ابوها تنفيذاً لقسمه امام إلهه، فينحن أربعة أيام في السنة

إحياء لذكرى استشهاد العذرية ولعظيم التضحيــة في وفـاء النـذر التوراتـي. قضاة ١٠

وبعد حكم دام سبع سنوات مات يفتاح، ابن الزانية، وقد اتم واجبـه الديني بقتله ابنته الوحيدة العذراء وكذلك واجبه المدني إذ قتـل مـن سـكان أفرايم فقط إثنين وأربعين ألفاً. قضاة:٦

لقد بوركت يا يفتاح إذ كان روح الرب عليك. أشبعت ربـك دمـاً حتى الثمالة، ودم إبنتك لم تبخل به عليه، فربك التوراتي سادي وعاشق دم وحليف أبناء الزنى وحامي القتلة. أتصدقون؟.

الشمشونية

تراءى الملاك لإمرأة منوح وكانت عاقراً ووعدها بولـد يكـون نذيـراً لله من البطن فلا تمس رأسه موسـى وحذّرهـا مـن شـرب الخمـر والمسـكر وأكل النجس لأن وليدها سيخلص اسرائيل من الفلسطينيين. قضاة ١٣

هكذا ولد شمشون الذي تعهده روح الرب وبدأ يحركـه في محلـة دان بين صرعة وأشتأول. قضاة ١٣:/٢٤-٢٥

ولما كبر نزل شمشون إلى تمنـة فأعجبتـه فتـاة فلسـطينية، بنـاء لتوجيـه الرب، حتى يكون له علّـة علـى الفلسـطينيين، وألح علـى أهلـه في الذهـاب لطلبها عروساً له. وأثناء الطريق، وفي غفلة من أهله، هاجمه شبل أسد فقتله وشقه كجدي.

بعد أيام، أثناء عودة شمشون لإسترداد عروسه تفقد جثة الشبل فوجد فيها قفيراً من النحل البري. فاشتار من عسله على كفيه فأكل وأطعـم أهلـه دون أن يعلمهم بقصة الشبل.

وفي أثناء وليمة الزفاف عرض شمشـون علـى شـباب تمنـة أحجيـة إن عرفوها أعطاهم ثلاثين حلة ثياب وإن لم يعرفوها يعطوه ثلاثين حلة. واتفق الجميع فقال لهم شمشون: «**من الآكـل خـرج أكـل ومـن الجـافي خرجـت حلاوة**». وأعطى شمشون الحاضرين سبعة أيام لحلّ الأحجية.

ولما عجز الفتيان عن حلّها أتوا إلى عروس شمشون وهددوها بالإحراق مع أهلها إن لم تخبرهم بالحل، واستطاعت العروس بتدللها وغنجها على شمشون من الحصول على لغز الأحجية فنقلته لفتيان بلدتها.
ولما حضر اليوم الموعود قالوا له: «أي شيء أحلى من العسل وما أجفى من الأسد.» فأسقط في يد شمشون ووفاء لوعده ذهب إلى أشقلون وقد حلّ عليه روح الرب، فقتل ثلاثين فلسطينياً وسلبهم وأعطى حللهم لمظهري الأحجية. وحمي غضبه وعاد إلى بيته وهجر امرأته التي صارت لصاحبه.

وبعد مدة، حنّ شمشون إلى زوجته فعاد إلى افتقادها في تمنة لكن والدها رفض اعطاءه لأنه زوّجها من غيره وعرض عليه أختها الصغرى.
وكانت الذريعة التي يريدها الرب التوراتي، فأوغر صدر شمشون وعمد إلى إحراق زرع وكروم زيتون الفلسطينيين بواسطة المشاعل التي ربطها بين أذناب ثلاثة مئة ثعلب اصطادها لهذه الغاية وفرّ بعدها واختبأ عند سبط يهوذا في شق صخرة عيطم.

وخشية المواجهة مع الفلسطينيين عمد رجال يهوذا إلى تسليم شمشون إلى أخصامه مقيّداً بحبلين حديدين. وحلّ روح الرب على شمشون واستطاع حلّ الحبلين وأخذ لحى حمار وقتل ألفاً من الفلسطينيين. ثم عطش عطشاً شديداً كاد يميته فصرخ إلى الرب الذي شقّ له الكفة التي من لحى الحمار فخرج ماء، فشرب، ورجعت روحه إليه. وقضى لاسرائيل عشرين سنة قضاة ١٥.

عاش شمشون في غـزة حيـاة عهـر وتهتـك مـع عواهرهـا وتعـرّف في وادي سورق الى زانية اسمها دليلة، عاش عندها. فتـآمرت عليـه مـع شـعبها للتعرّف على سرّ قوته فكانت إن حلقت شعر رأسه الذي لم يصله موسـى، فتركه روح الرب، وأصبح رجلاً عادياً، ثـم سـلمته لشـعبها بعـد أن أذلّتـه، فقلعوا عينيه واقتادوه ذبيحة إلى هيكل داجون إلههم.

وهناك صرخ لربه طالبـاً مسـاعدته للانتقـام مـن الفلسـطينيين للمـرة الاخيرة فكانت المعجزة أن هدم الهيكل على من فيه فكان الذيـن أمـاتهـم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته. قضاة ١٦

في القرن العشرين وبعد ثلاثـة الآف سـنة أسـطورية قـال اليـاس ابـو شبكة في قصة شمشون:

«ملّقيه بحسنك المأجور وادفعيه للإنتقام الكبير

انت يا دليلة في الفراش أفعى كم سمعنا فحيحها في سرير.»

هذا هو شمشـون البطـل الاسـطوري الـذي مـا فتـئ رجـال الكنيسـة يسردون قصته على أطفـال العـالم ليمجـدوه وليظهـروا تدخـل الله في كـل شاردة لخدمة إسرائيل.

أية فضيلة فعلها شمشون حتى تكون روح الرب عليه؟

أي ذنـب ارتكبـه الفلسـطينيون حـين رفـض والـد زوجتـه السـابقة اعطاءها له؟ ألم يكن روح الرب هو الذي هيأ تعرّف شمشون عليها في تمنة

ليكون له علّة على الفلسطينيين؟ وهل يعقل أن يعطيه ابنته وقد تزوجت غيره؟ هل في ذلك من مأخذ عليه؟

هذا المتهتك، الزاني، والقاتل في آن واحد يعضده روح الرب في تهتكه وزّناه ويدفعه للقتل. ألا تثبت سيرة حياة شمشون أن أبناء البشر دمية بيد القدر المجرم الذي يبتليهم ويتلذذ بعذابهم كأي إله وثني؟!...

هذا الفاجر، يفتش الرب التوراتي عن أمثاله منذ فجر التاريخ فتحل روحه عليه ويعطيه قوة خارقة ويقيمه قاضياً على إسرائيل لمدة عشرين سنة!...

لن نسأل كيف استطاع شمشون الحصول على هذا العدد الوفير من الثعالب وكيف أتته صاغرة، هادئة، فاستطاع ربط المشاعل بأذنابها ولكننا نسأل عن المثالية التي عاشها شمشون إذ كان نذيراً للرب من البطن لخلاص اسرائيل؟ قضاة ١٣: ٧

هل وفاء النذر هو في الفجور أو في التهتك أو في الزنى أو في التعدي على حرمات الناس؟ أو في القتل؟

أي خير كان في حياته حتى تكون روح الرب عليه؟

أليست مناقبية شمشون في سيرة حياته تصدق القول في أن الرب التوراتي يحمي القتلة ويبارك الزناة وتحل روحه على الفاجرين الأشرار؟

أي رب هو هذا الذي تحاول التوراة فرضه على عقول الناس!

عذراً ربي إن أنكرت مثل هذا الرب!

ميخا والوثنية

لا ابراهيم، ولا يعقوب واسحق، ولا وصايا موسى، وحتى تثنية الاشتراع لم يستطيعوا تغيير العقل اليهودي في الايمان. فسفر القضاة في الإصحاحين السابع عشر والثامن عشر يثبتا تأصل الوثنية في اليهودية. فعلى الرغم من مرور الزمن وتعاقب أجيال عدة فإن الايمان الوثني لم يزل في تألّقه عند جميع الاسباط.

ففي جبل إفرايم نرى أن ميخا أقام تمثالاً منحوتاً وتمثالاً مسبوكاً صنعهما بثمرة عرق جبينه الاولى، واستأجر فتى لاوياً يكهن له أثناء تعبده لهما. وتتباهى التوراة بسرد قصة إغارة الدانيين على إفرايم وسرقتهم لتماثيل ميخا وشرائهم كاهنه اللاوي حتى يكون لهم.

«... أهو خير لك أن تكون كاهن لبيت رجل واحد أم أن تكون كاهناً لسبط ولعشيرة في إسرائيل. فطاب قلب الكاهن وأخذ الأفود والترافيم والتماثيل المنحوتة ودخل في وسط الشعب.» قضاة ١٨: ١٩-٢٠

وبعدها انطلق رجال بني دان يتحسسون الأرض واستطلاع أخبار الشعوب المسالمة، فوصلوا الى لايش قرب صيدون ...**«ورأوا الشعب الذين فيها ساكنين بطمأنينة كعادة الصيدونيين مستريحين مطمئنين وليس في الارض مؤذٍ...»** قضاة ١٨: ٧

وكان جواب الرب واضحاً: «...**لا تتكاسلوا عن الذهاب لتدخلوا وتملكوا الأرض... إن الله قد دفع أرضهم الخيرة الواسعة الطرفين لأيديكم.**» قضاة ١٨: ٩-١٠

وكانت النتيجة أن ضُرِبَ شعب لايش المسالم المطمئن بسيف شعب الله المختار وأُحرقت مدينتهم المسالمة بالنار ولم يبق من سكانها من ينفذ واغتصب سبط دان الأرض المطمئنة.

أما ميخا الذي أتى يطالب بإسترداد كاهنه مع تماثيل اوثانه فقد هدده الدانيون بالموت فقفل خائباً، حزيناً الى بيته لفقدْ آلهته وتماثيلها التي سرقها الدانيون وأقاموها في بيت الله في شيلوه. قضاة ١٨: ٢٧-٣١

ما هو المغزى من ذكر التوراة لقصة ميخا؟ وما هي الفضيلة التي كان يمارسها في حياته؟ ألم يكن وثنياً؟ ألم يقم تمثالاً منحوتاً وآخر مسبوكاً لآلهة وثنية؟ ألم يستأجر كاهناً لاوياً يقيم له الصلاة؟ هل أطاع الشريعة فلم يتعبد لغير الله؟

وسبط دان ألم يكن وثنياً؟ اين الإيمان بالله الواحد الحقيقي عندهم؟ ألم يَغيروا على ميخا بقصد سرقة آلهته وتماثيلها؟ ألم ينصبوها في بلدتهم شيلوه في الهيكل ليتعبدوا لها؟

الأجل هذا كان الرب التوراتي معهم فدفع أرض لايش الخيرة والواسعة الطرفين لأيديهم؟

ما ذنب سكان لايش المطمئنين وليس فيهم مؤذٍ ليبيح الرب التوراتي أرضهم؟

أليس داجون وملكارت وأي بعليم آخر خيراً من الرب التوراتي الذي تؤذيه رؤية الشعوب المسالمة المطمئنة فيبيحها للنار والسبي ويبارك شعب القتلة والمعتدين؟

في بيت لحم تزوج لاوّي من سرّية فخانته مع غيره وذهبت الى بيت أبيها. وكان أن ذلك اللاوي يحبها فلم يستطع فراقها فذهب يسترضيها ويطيب خاطرها عند أهلها.

وبعد أن استضافه حموه عاد بسريّته ومعه غلامه. وأثناء عودته داهمه الليل قرب بلدة يبوس فلم يشأ أن يعرج للمبيت فيها كونها مدينة غريبة وليس فيها أحد من بني إسرائيل. قضاة ١٩:١٢

وأكمل طريقه إلى جبعة، وهي بلدة البنيامينيين، وأمضى قسماً من ليلته في ساحة البلدة، علّه يجد من يضمّه إلى داره. وأشفق عليه أحد الشيوخ العائدين من الحقل ودعاه للمبيت عنده. ولّما حلّ الليل. طوّق رجال بني بليّعال المنزل واقتادوا اللاوي وسريته خارجاً، على الرغم من توسلات الشيخ صاحب المنزل الذي عرض على البغاة ابنته العذراء وسرية ضيفه للتعلل بهما لقاء عدم الاعتداء على ضيفه.

وكانت النتيجة أن أخذوا سرية اللاوي وتعللوا الليل كله بها متناوبين عليها. وعند الصباح جاءت وماتت على باب سيدها فأخذها وقطعها في منزله اثني عشرة قطعة ثم حملها ووزعها على جميع اسباط إسرائيل الذين دبّت النخوة في رؤوسهم وقاموا كرجل واحد وهاجموا جبعة فسقط منهم في اليوم الأول اثنان وعشرون ألف رجل.

وبناء لنصيحة الرب التوراتي قاموا في اليوم الثاني فسقط منهم ثمانية عشر ألف رجل، وعندها اجتمع بنو إسرائيل في بيت إيل، يبكون، وقدّموا للرب محرقات وذبائح السلامة متوسلين نجدته ومشورته. فكان إن استجاب الرب، فدفع بنيامين في أيديهم فقتلوا منهم خمسة وعشرين ألف رجل وأحرقوا المدينة وطاردوا الفلول البنيامينية وقتلوا منهم ثمانية عشر ألف رجل وأكملوا في بيت رامون على بقية الفلول الهاربة وأحرقوا المدينة وضربوا بحد السيف كل من وجد حياً حتى البهائم أحرقوها بالنار. قضاة ٢٠

وبعد المعركة أحس الإسرائيليون بأسباطهم الأحد عشر بهول المجزرة وبشاعة ما عملوه وندموا على القسم الذي أقاموه بتحريمهم الزواج من السبط البنياميني أو التزويج له لأن السبط البنياميني مفجوع حتى العظم فقد فنيت نساؤه وهلكت أناثه في المعركة أو بعدها!...

سبط من الاسباط سينقرض! وقد أقسموا على ذلك، فيا لهول الكارثة ويا لفظاعة القسم!... فكان القرار بمهاجمة الكنعانيين في شيلوه، فقتلوا وأحرقوا حتى ارتضت شهوتهم وسبوا أربع مئة فتاة عذراء وجاءوا بهنّ وأعطوهن لسبط بنيامين استجابة للوعد: «...**ميراث نجاة لبنيامين ولا يمحى سبط من إسرائيل**...» قضاة ٢١:١٧

وكما كُرّس احتلال الأرض بوعد إلهي كذلك كُرّس خطف الكنعانيات بوعد مماثل وبنفس البساطة حفاظاً على النسل واستبقاء لديمومة أحد الاسباط المقدسة!...

رُجم زمري بن سالو الإسرائيلي لأنه تزوج من كزبى المديانية فرجمت معه!

أما أن تخطف أربع مئة فتاة عذراء كنعانية وتغتصب استبقاء للنسل البنياميني المقدس فهذا تشريع إلهي وفعل تباركه التوراة بوعد مكتوب.

تشريع الزنى،

اغتصاب حتى الموت

قتل

سلب

إحراق المدن والبهائم

عبادة الأوثان وسرقة تماثيلها والتعبد لها

استغلال الضيف وخيانته

الكذب على الإله

كلها عناوين مضيئة في تاريخ الشعب الاسرائيلي الذي تفاخر به كلمات سفر القضاة، ومع ذلك، فالرب ربهم وهم شعبه المختار، وبعناية، كان الاختيار لهم وحدهم.

أي رب هو الرب التوراتي!

ولأي شعب هو!...

راعوث

وتمجد التوراة راعوث!

راعوث أرملة محلّون بن نعمى فقيرة معوزة آثـرت البقـاء مـع حماتهـا نعمى، تعينها في شيخوختها على الحياة بدل الذهاب إلى أهلها بعـد ترملهـا كما فعلت سلفتها عُرفة.

راعوث أرملة صبية جميلـة، هكـذا عرفتهـا حماتهـا نعمـى فاسـتغلت جمال كنتها للحصـول علـى لقمـة العيـش بأسـهل السـبل. فأثنـاء التقاطهـا لسنابل الحقل في أرض بوعز لاحظت نظراته وعطفـه علـى الارملـة الشـابة! فشجعت كنتها وأشـارت عليهـا أن تغتسـل وتتعطـر وتلبـس ثيـاب فرحهـا وتذهب للإندساس في كومة القش عند رجلي بوعز أثناء نومـه، علّـه حـين احساسه بها تدبّ فيه غريزة الرجل.

«... فاضطجعت عند رجليه إلى الصباح ثـم قـامت قبـل أن يقـدر الواحد على معرفة الاخر. وقال لا يُعلم أن المـرأة جـاءت إلى البيـدر...»

راعوث ٣:١٤. ثم أن بوعز، كي يستر فعلته مع راعوث أرملـة محلـون بـن نعمى، لجأ إلى عادة الفكاك والمبادلة المعروفة عند الإسرائيليين، فإشترى اسم محلون بن نعمى. وبعد ان تم له ذلك بحضـرة الشـيوخ وافـق جميـع الشـعب على ذلك قائلين له:

«فلِيجعل الرب المرأة الداخلة الى بيتك كراحيل وليئة اللـتين بنتـا

بيت اسرائيل... وليكن بيتك كبيت فارص الذي ولدته ثامار ليهوذا...»
راعوث ٤:(١١-١٢)

هكذا وسترا للفضيحة تزوج بوعز من راعوث وكان لـه منهـا عوبيـد والـد يسّى الذي ولد داودا...

أية فضيلة أتت راعوث في حياتها حتى تذكرها التوراة كإمرأة فاضلة يُحتذى بها؟

أيـة عفـة نـادت بهـا ومارسـتها هـذه الأرملـة اللعـوب الشـابة غـير الاندساس في كومة القش وإغراء بوعز على الفحشاء؟

أليست سيرة راعوث هي حض للأرامـل علـى الإقتـداء بهـا والحـذو حذوهـا؟ إن كـان لأجـل هـذا تُمجّـد راعـوث فبشـراكن يـا أرامـل العـالم الشابات، لقد أبيح لكن الزنى وشرّع لكن البغاء!...

وعادة الفكاك والمبادلة أليست بدعة لتغطية الزنى وتشريع العهر تحت ستار مقدس ونص مكتوب؟

وتلك الحيزبون، نعمى، هل يليق بشيبتها أن تدفـع كنّتهـا الشـابة إلى أحضان بوعز، وتباركها؟

هل في تصرف الحماة نعمى، والكنّة راعوث، ما تفـاخر بـه أيـة مـن شعوب الأرض؟

ما دامت التوراة تفاخر بفعلة راعوث وتباركها على أساس أن يكون بيت بوعز كبيت فارص الذي ولدته ثامار لحميها يهـوذا، فـالفعل جـائز... ومشروع... ومقدس... ومبارك هو النسل الآتي.

المدارس النبوية الملكية

استحاب الرب الذي كان قد اغلق رحم حنة زوجة القانـة الإفرايمـي الذي من الرامة، إلى صلواتها فكان لها صموئيل الذي نذرته لـلرب قبـل أن يولد كل أيام حياته فلا تعلو رأسه موسـى. ولـدى فطامـه اصعدتـه امـه إلى الهيكل، تقدمه نذراً، يخدم الرب إلى الأبد في هيكل شـيلوه وعهـدت بـه إلى الكاهن عالي بن بليعال يدربه أصول الخدمة والكهانة.

«وكان أولاد الكـاهن لا يعرفـون الـرب». صموئيـل الاول ٢:١٢

...«اذ انهم كانوا يسخرون من الذبائح المقدمة للرب فيأخذون من نيئها ما يشاؤون ويستنخبون منها ما يحلو ويطيب لهم.. كما كانوا يضـاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع» صموئيل ١٢.

وتراءى الرب لصموئيل في شيلوه. وهو صبي وائتمنه نبيـاً لـه على اسرائيل. في هذه الأثناء هاجم الفلسطينيون الشعب العبري في افيق وأخـذوا تابوت العهد ومات ابنا عالي: حفني وفينحاس. ولما علم عالي بالخبر وكـان ابن ثماني وتسعين سنة سقط عن كرسـيه ودق عنقـه فمـات بعـد ان قضـى لإسرائيل أربعين سنة.

وأخذ الفلسطينيون تابوت العهد الى اشـدود وأدخلـوه هيكـل إلههـم داجون الذي سقط وتحطم على القبة و لم يبق منه الا بدن السمكة. وانتقامـاً

من الفلسطينيين الذين أخذوا تابوت العهد، ضربهم الإله التوراتي بالبواسير والفيران حتى ضجّوا. وبعد سبعة أشهر من الويلات أشار كهنتهم بإرجاع التابوت مع قربان إثم. خمسة تماثيل بواسير ذهبية مع مثلها تماثيل فيران. ولدى تسلم الاسرائيليين التابوت كلمهم صموئيل قائلاً:

«إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من وسطكم وأعدوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده فينقذكم من يد الفلسطينيين.

فنزع بنو اسرائيل البعليم والعشتاروت وعبدوا الرب وحده»

صموئيل ٧: ٣-٤

حينها رضى الرب عنهم فأذلّ الفلسطينيين. ولما شاخ صموئيل عادت اسرائيل الى سابق عهدها فتمردت عليه كما تمرد عليه أولاده فلم يسلكوا في طريقه. وصرخ الشعب يطلب ملكاً. وتراءى الرب التوراتي لصموئيل وأرشده إلى شاوول بن قيس الذي ذهب يفتش عن اتان اضاعها، فأختاره ملكاً على اسرائيل لينتقم الرب منها على جحودها وعلى عدم إيمانها.

وهيأ صموئيل المليك المختار شاول، وبرمجه وأوضح له خطوط مستقبله بدءاً من لقياه لواحد اتنه الضائعة مروراً بالرجال الثلاثة الذين هيأهم ليزودوه بالخبر وإنتهاء بزمرة الانبياء الذين تنبأوا بدفوف امام الرب يحضرون الشعب للمستقبل تحت ستار مقدس...

«وهنا على المرتفعة يحل عليك الـروح القـدس وتتحـول إلى رجـل آخر فتتنبأ معهم» صموئيل الاول ١٠:٦

الكاهن عالي بن بليعال الذي قضى لاسرائيل مده اربعـين سـنة كـان يكهن خلالها على المرتفعة ويعدّ الانبياء لماذا لم يعلم ولديه حفـني وفينحـاس أصول الايمان؟

ألأنه لم يكن يؤمن بها فلم يردع أولاده عن فعلتهم؟

ألعـلّ أولاده اكتشـفوا زيـف ايمانـه، والاولاد أعلـم بـأهليهم، فلـم يصدقوا أكاذيبه و لم تنطو عليهم حيل الكهانة التي كان يمارسها على شـعبه، فاستخفوا بالهه بعد أن اكتشفوا جمود فعاليتـه وعرفـوا أنـه وثـن كغـيره مـن الأوثان فاستهتروا به وبقواعد أيمانه وبأسس ديانته فعمدوا الى مسابقته علـى لحوم الذبائح وعلى مضاجعة النساء المجتمعات بحضرته؟

بغاء مقدس لا تحتسب له خطيئة!.

من يقرأ صموئيـل الأول الإصحـاح العاشـر يعجـب مـن هـذا الإلـه الجالس على المرتفعة في هيكل البعل وكأنه واحد من أوثانه، من الجـائز أنـه احدهم، لكنه أعظمهم!. كما يعجب من كثرة الانبياء الذين يـترددون اليـه ويتساءل من هم هؤلاء الانبياء؟

فهل هنا على المرتفعة مدرسـة للتنبـؤ والعجـائب؟ هـل هـي مدرسـة الكرمل التنبؤية؟

هل صموئيل هو أحد أركان هذه المدرسة؟ أو هو مدرّس فيها؟

وسهولة التكلّم مع الله وترائيه، هل كانا من اختصاصه، كما كانا لموسى ويشوع من قبله؟

هل توصل علماء أمثال هذه المدارس الى استعمال الإهتزازات الصوتية والموجات الكهرومغناطيسية الموجودة في الجو لتحريك العوامل الطبيعية كما كان يحدث مع موسى ويشوع وكما حدث مع صموئيل في حادثة إنزاله الرعد والمطر؟

موسى، هارون، يشوع، اليشع، صموئيل، ايليا وغيرهم من أنبياء التوراة هل هم من أعداد مثل هذه المدارس؟

هذا التعلّم لأصول الاستنباء أثار تساؤل الحاضرين في جبعة أثناء وجود شاول فيها بين طلاب الاستنباء فقالوا قولتهم التي صارت مأثورة فيما بعد: **«أشاول أيضاً بين الأنبياء؟»** صموئيل الاول ١٠:١١

أيا تكن هذه التساؤلات وأيا تكن أجوبتها فإن صموئيل اختار شاول بوحي الهي ليكون ملكاً على اسرائيل واطلعه على برنامج عمله الملكي والقيادي **«...اياي ارسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه اسرائيل... فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة وطفلاً رضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً...»** صموئيل الاول ١٥:(١-٤)

على مفاهيم القتل البربري بلا رحمة وبدون تمييز

وعلى مفاهيم التدمير الشامل للحياة البشرية

كانت أسس القيادة الملكية الموحى بها من الرب التوراتي بواسطة صموئيل نبيّ العنصرية البربرية والساديّة المدمرة القاتلة!.

ألم يعمد هذا الملك النبي على قتل أسيره أحاج ملك عماليق وتقطيعه بسيفه أمام الرب في الجلجال؟ صموئيل الاول ١٥:(٣٢-٣٣)

هل رضي ذلك الرب على فعلة نبيّه صموئيل؟

وهل أشبع صموئيل ربّه دماً ودماراً؟

ثم يندم صموئيل على اختياره لشاول ويندم الرب معه.

«... وذهب صموئيل إلى الرامة. واما شاول فصعد إلى بيته في جبعة شاول

ولم يعد صموئيل لرؤية شاول إلى يوم موته لأن صموئيل ناح على شاول والرب ندم لأنه ملّك شاول على اسرائيل.» صموئيل الاول ١٥:(٣٤-٣٥)

كيف يندم صموئيل على اختياره؟

ألم يكن نبياً يترأى له الرب؟

أم أنه تنبأ كذباً فندم؟

وكيف يندم الرب نصيح اسرائيل؟

«... نصيح اسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس انساناً ليندم» صموئيل الاول ١٥:٢٩

كيف نفسّر هذا التناقض بندم الرب؟

وكيف يُفسر خلاف صموئيل وشاول على الإيمان بالرب؟

«... ارجع معي فأسجد للرب الهك. فرجع صموئيل وراء شاول. وسجد شاول للرب...» صموئيل ١٥: ٣٠-٣١

فهل كان لشاول رب يعبده غير رب صموئيل؟

فإن كان كذلك فأي من الربين هو الذي وعد شاول بالملك؟

«... فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وانا قد رفضته عن أن يملك على اسرائيل... تعالى ارسلك الى يسّى البيتلحمي لأني قد رأيت لي في بنيه ملكاً...» صموئيل الاول ١٦: ١

وبناء لنصيحة الرب التوراتي ذهب صموئيل الى بيت لحم واستعرض أولاد يسّى فأعجبه منظر كبيرهم الياب فقال فيه: ان أمام الرب مسيحه، فلم يرق هذا الكلام للرب. وبعد تقديسهم اختار صغيرهم داود ومسحه، فحلّ عليه الروح القدس من حينه وعاد صموئيل بعدها الى الرامة.

ومنذ لحظة مسح داود ذهب روح الرب من عند شاول وحلّ مكانه روح رديء من قبل الرب، وتشاور رجال شاول الملك في أمر هذا الروح الرديء، وكان القرار أن يفتشوا عن رجل يحسن الضرب على العود ليطيّب خاطر الملك ويزيل كربه. **«ووقع الاختيار على داود بن يسّى لأنه يحسن الضرب وهو رجل حرب وجبار بأس ورجل جميل والرب معه...»** صموئيل الاول ١٦:١٨

هكذا أصبح داود موسيقار الملك يفرج كربته بحسن إيقاعه ويطيب خاطره بجميل حديثه فبدأ نجمه يلمع خاصة بعد قتله لجوليات الجبار الفلسطيني بواسطة المقلاع.

ولدى عودة داود من المعركة مع جوليات تجاهله شاول تماماً و لم يشأ إشهاره فقال له ابن من أنت يا غلام؟ هذا التجاهل يدفعنا للتساؤل لماذا أنكر شاول معرفته بداود؟

ألم يكن مطربه ومفرّج كربه إلى حين؟

ألم يكن داود هذا صديقاً حميماً لولده يوناثان؟

ألم يذهب داود لحرب جوليات بمعرفة شاول وبمباركة منه؟

«... ولما رأى شاول داود خارجاً للقاء الفلسطيني قال لابنير رئيس جيشه ابن من هذا الغلام يا ابنير. فقال ابنير وحياتك أيها الملك لست أعلم. فقال الملك إسأل إبن من هذا الغلام... ولما رجع داود من قتل الفلسطيني أخذه أبنير وأحضره أمام شاول ورأس الفلسطيني بيده، فقال له شاول ابن من أنت يا غلام. فقال داود ابن عبدك يسّى البيتلحمي.» صموئيل الاول: ٥٥-٥٨

لماذا هذا التجاهل؟ ألم يُلبس شاول ثيابه وخوذته ودرعه لداود قبل بدء المعركة؟

ألم يباركه بقوله: **«إذهب وليكن الرب معك»**

أي رب يناديه شاول: أربه الذي يعبده أم رب صموئيل الذي أغضبه فإن كان ربه فعبادة رب صموئيل زائفة وزائغة وبالتالي فإن مسحه لشاول ملكاً باسمه يكون باطلاً من الاساس. وإن كان هذا الرب هو رب صموئيل، فهذا الرب نادم على مسحه لشاول ملكاً وغاضب عليه فكيف يستجيب لندائه؟

وفي كلتا الحالتين يثبت زيف المقولة التوراتية بقدسية الملك وبمصداقية المسح الإلهي له.

في استعراض الاحتفال بالنصر، حيّت البطل داود فتيات اسرائيل المازحات بدفوف قائلات: «ضرب شاول ألوفه وداود ربواته» فدبّت الغيرة في قلب شاول لدى سماعه هذا المزيج لأن البطل الذي يضرب الربوات هو أهم بكثير من بطل الألوف! «ومن حينها بدأ شاول يعاين داود من ذلك اليوم فصاعداً» صموئيل الاول ١٨:(٦-٩)

وتوطّدت الصداقة بين يونثان ابن الملك شاول وبين البطل الصاعد داود. كذلك أحب الشعب بطله فجنّ جنون شاول وحاول طعنه بالرمح للتخلص منه، لكن داود نجا لخفته وحسن تدريبه مما زاد في حقد الملك عليه. وعندها دبّر له مكيدة للتخلّص منه، إذ وعده بالزواج من ابنته ميكال مقابل مئة غلفة من الفلسطينيين. صموئيل الاول ١٨:٢٥ على أمل أن يقتله الفلسطينيون خلال المعركة. صموئيل ١٨:٢٥

وذهب الشاب إلى المعركة غير المتكافئة، لكن حبه لميكال كان أقوى من الجيش الفلسطيني فعاد منتصراً يحمل إلى مليكه المهر مئة غلفة فلسطينية فاضطر شاول للإذعان للأمر بتزويجه من ابنته ميكال!... لكنه لم يلبث أن كلّم يوناثان ابنه وجميع عبيده أن يقتلوا داود. صموئيل الاول ١٩:١

لكن يوناثان نظراً لصداقته لداود وتعلّقه به، أتى وأعلم صهره بنيّة الملك بقتله وطلب منه أن يختفي عن الأنظار ريثما يلطّف خاطره فيثوب إلى رشده فيفتقد داود ويعود عن قراره. ونجحت الخطة فاستفقد شاول صهره داود. ولما قيل له انه متوار عن الأنظار خوفاً من غضب الملك حلف شاول قائلاً «حيّ هو الرب لا يقتل داود» حينئذ ذهب يوناثان فاصطحب داود إلى شاول فعفا خاطره عليه الى حين.

لكن شاول الذي سيطر عليه الروح الرديء لم يلبث أن عاد فحاول طعن داود بالرمح للمرة الثانية لكنه نجا كالمرة الاولى وأخذ يتحسّب للشر الذي يدبره له الملك وقد حاك مؤامرة لقتله، فاعلمته زوجته ميكال بنية والدها الملك، ودبرت له الهروب، ففر الى نايوت في الرامة عند صموئيل وأخبره قصته مع شاول وحقد هذا الاخير عليه بسبب الانتصارات التي أتى بها.

وطارد شاول داود الى نايوت حيث صموئيل وحيث يكون الرب أكثر قرباً وفي متناول الجميع. وأرسل شاول رسله ثلاث مرات الى نايوت يستطلعون أخبار داود فعادوا يتنبأون وحينها جن جنون شاول وظنها

مؤامرة عليه فخلع ثيابه وأتى نايوت متنكراً فإذا به ينطرح عرياناً يتنبأ لذلك يقولون «أشاول أيضاً بين الأنبياء» صموئيل الاول ١٩: ٢٤

وعلى الرغم من هذه الحماية الإلهية وظاهرة الإستنباء هذه، لم يستكن خاطر شاوول على داود الذي هرب من نايوت وأتى بيت لحم يستجير صديقه يوناثان الذي عبثاً حاول استعطاف خاطر والده الملك على صهره داود، فكان لدى كل محاولة يزيد عنفاً وحقداً عليه لذلك أتى يوناثان وأعلم داود بغضب الملك وطلب منه الهرب وإتقاء الشر بالتي هي أحسن.

وفر داود الى نوب وأتى يستجير أخيمالك بن أخيطوب الكاهن وقد انهكه الجوع فأكل الخبز المقدس المعدّ قرباناً للرب وتسلح بسيف جوليات الفلسطيني الذي كان بعهدة الكاهن، ثم انطلق من نوب الى أخيش ملك جت علّه يجد عنده الحماية والأمان، ولما أحسّ الغدر في عيني ملك جت إدّعى الجنون فأطلق سراحه ونجا بعدها إلى مغارة عدلام ثم إلى مصفاة موآب وإلى وعر حارث.

ولما علم شاول بأن الكاهنِ اخيمالك قد أعطى سيف جولييت لداود وزوّده بالطعام المقدّس، أمر حارسه دوّاغ فقتل اخيمالك ومعه خمسة وثمانين كاهناً ونجا أبياتار بن اخيمالك فأتى وأخبر داود بالواقعة.

وأثناء مطاردة شاول لداود اضطر للمبيت في مغارة عين جدي، فاستغل داود تعب الحراس وغافلهم ودخل المغارة واقتطع جزءاً من جبّة

شاول رافضاً قتله بناء لرغبة رجاله قائلاً: «**حاشا لي من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدي، بمسيح الرب، فأمدّ يدي إليه لأنه مسيح الرب هو**» صموئيل الأول ٢٤:٦

ولما خرج من المغارة وبيده الجزء من جبة شاول الملك ناداه وأعلمه انه لو كان يريد قتله لفعل، حينها ندم شاول على شكّه وبكى وأقسم له داود، ليطمئنه، بأنه لا يقطع نسله من بعده ولا يبيد اسمه.

أيعقل أن ملكاً شريراً عنصرياً مثل شاول يمسح بإسم الرب فيحمل إسم رسول المحبة والخير؟

أي مسيح حاقد هذا الذي أورثتنا التوراة؟

أي مأثرة خير أتاها شاول في حياته حتى تحفظ التوراة إسمه؟

يسوع المسيح الذي نعرفه ونؤمن به هو مسيح محبة وعدالة!

مسيح عفة وتقوى وطاهرة!

مسيح تسامح لا ينتهي!

مسيح خير مطلق!

مسيح ثورة على العنصرية وعلى وثنية الارتداد!

مسيح وحدة كونية انسانية شاملة لا تفرّق بين انسان وانسان وليس لها أعداء، وليس لها خاصة.

في جو الصلح الجديد الذي بدأ، تزوّج داود من ابيجايل الكرملية أرملة نابال، ثم عاد فتزوج من اخينوعم اليزرعيلية وأعطى شاول ابنته

ميغال التي كانت لداود، لفلطي بـن لايـش فـإحتدمت العـداوة مـن جديـد بينهما وفرّ داود واحتمى مع إمرأتيه ابيحال الكرمليـة واخينوعـم اليزرعيليـة عند اخيش ملك جت الفلسطيني لمدة سـنة واربعـة اشـهر، صموئيـل الأول ٢٧:٧، كان خلالها يمضي وقته في الإغارة على مـن حولـه مـن جشـوريين وعمالقة من شور إلى أرض مصر، وكان يضرب الأرض و لم يستبق رجـلاً ولا إمرأة...» صموئيل الاول ٢٧:٩

علـى الجبهـة الثانيـة، الشـاوولية – الفلسـطينية، دارت الدائـرة علـى الإسرائيليين فقتل الفلسطينيون يوناثان وابينادب وملكيشـوع ابنـاء شـاول. كذلك في أثناء احتدام المعركة أصيب شاول إصابة بالغة فأخذ سيفه وسقط عليه مفضلاً الانتحار على الموت بيد أعدائه.

«... فقال شاول لحامل سلاحه: استل سيفك واطعني به لئلا يـأتي هؤلاء الغلف ويطعنونني ويقبّحوني. فلم يشأ حـامل سـلاحه لأنـه خـاف جداً فأخذ شاول السيف وسقط عليـه. ولما رأى حـامل سـلاحه انـه قـد مات سقط هو أيضاً على سيفه ومات معه. فمات شاول وحامل سـلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معاً...» صموئيل الاول ٣١:(٤-٦)

ويظهر التناقض جلياً في حادثة مـوت شـاول إذ ان التـوراة تـروي في صموئيل الاول الإصحاح الاول فتذكر أنه مـات مقتـولاً بيـد أحـد غلمانـه الطامعين بنوال رضى داود إذ جاء بأنه أثناء إقامة داود في صقلـع أتـاه أحـد الرجال يخبره بموت شاول في جبل جلبوع.

«... فقال الغلام الذي أخبره: اتفق اني كنت لي جلبوع وإذ شاول يتوكأ على رمحه، والفرسان والمركبات يشدون وراءه فالتفت ورائه ودعاني فقلت هانذا. فقال لي من أنت فقلت له عماليقي أنا. فقال لي قف عليّ فاقتلني فوقفت عليه وقتلته... وأخذت الاكليل الذي على رأسه والسوار الذي على ذراعه وأتيت بهما إلى سيدي ههنا...»

صموئيل الثاني ١:(٧-١٠)

وما إن فرغ المخبر من سرد قصة قتله لشاول حتى أمر داود غلامه بقتله قائلاً له: **«دمك على رأسك لأن فمك شهد عليك قائلاً أنا قتلت مسيح الرب...»** صموئيل الثاني ١٦:١

كما يظهر التناقض في قصة اختباء داود مع زوجتيه عند اخيش ملك جت الفلسطيني لمدة سنة وأربعة أشهر، إذ أن داود قد لجأ اليه قبلها وانطلق هارباً منه مدعياً الجنون، لأن عينه كانت شريرة عليه.

أي من القصتين نصدّق؟

فهل تغيرت المعادلات السياسية والمحالفات فأصبح عدو الأمس صديق اليوم، وهذا ما يحدث دائماً في عالم السياسة، فأصبح أخيش الملك الفلسطيني حامياً وحليفاً والى متى يدوم ذلك؟

بعد موت شاول وأولاده تفجّع داود عليهم كثيراً. وبناء لوحي إلهي إنتقل داود إلى حبرون حيث مسحه رجال يهوذا ملكاً عليهم وبذلك تبدأ صفحة جديدة في التاريخ التوراتي.

داود الملك

في حبرون ولد لداود الملك بكره آمنون من اخينوعم اليزرعيلية ثم ولد له كيلاب من أبيجال أرملة نابال الكرملي كذلك ولد له أبشالوم من ملكة بنت تلماي ملك جشور.

وأدونيا من حجيث

وشفطيا من أبيطال

ويثرعام من عجلة

وحنّ داود الى احضان زوجته التي هجرها، ميكال، فزوجها والدها شاول بعده الى فلطي بن لايش، فأرسل داود الى أيشبوشت بن شاول ليسترد ميكال زوجته القديمة فأعيدت اليه رغماً عن زوجها:

«... **وكان رجلها يسير معها ويبكي وراءها الى بحوريم. فقال له إبنير، قائد الجيش، اذهب، ارجع، فرجع**» صموئيل الثاني ٣:(١٥-٢١)

على هذه السيرة بدأ داود حياته في حبرون ثم انتقل بعدها فأقام في أورشليم حيث أرسل له حيرام ملك صور مهندسيه وبنائيه فبنوا له بيتاً من خشب الارز، وتعاظم شأنه فتزوج العديد من النساء وولد له: شموع، شوباب، ناثان، سليمان، يبحار، اليشوع، نافج، يافيع، اليشمع، اليداع واليفط.

اثناء الاحتفال بنقل تابوت الرب من بعلة يهوذا الى أورشليم مدّ عـزة الكاهن، أخو يناداب بن شاول، يده الى التابوت فحمـي غضـب الله عليـه واماته. فتأثر داود من ذلك وإغتاظ من الله على فعلته هذه فلم يشاء ادخال التابوت الى أورشليم فعرّج به الى بيت أدوم الحثي وأبقاه هناك ثلاثـة اشـهر عند بيت عوبيد الذي باركه الله لإستضافته تابوته واعلانـاً علـى فعلتـه مـع أبيناداب.حينها رضي داود ونقل التابوت الى أورشليم في احتفال كبير كان يرقص ويطفر فيه أمام التابوت ممـا اثـار استهجان ميكـال زوجتـه المسـتردة فإحتقرته وشبّهته بأحد السفهاء وماتت المسكينة دون أن يكون لها ولد.

بعد أن أقام داود للرب بيتاً من خشب الارز كان لا بـد لـه مـن نـبي خاص فظهر الرب لناثان بن داود فنقل الى والده الوحي الإلهي:

«...ومتـى كملـت ايـامك واضطجعـت مـع آبـائك. أقيـم بعـدك نسلك الذي يخرج من أحشائك واثبت مملكته. هو يبـني بيتـاً لإسمـي وأنـا اثبت كرسي مملكته الى الابد. انا اكـون لـه أبـاً وهـو يكـون لي إبنـاً...»

صموئيل الثاني ٧:(١٢-١٤)

على هذا الوعد بنى داود إيمانـه بإلهـه، وعلـى هـذا الكـلام ارتكـزت اسرائيل في إثبـات ديمومـة ملكيتهـا، وعلـى هـذا الكـلام الناثـاني ارتكـزت المسيحية على التبشير بأنه من صلب داود سيكون المسيح الآتي!...

يسوع المسيح، يا سادة التوراة، الذي نعرفـه، ليـس مـن صلـب داود ولن يكون من صلب أي انسان لأنه نعمة الحق الـذي أتـى لهـدم فجوركـم

وعهركم وحقدكم وعنصريتكم وساديتكم وكل مخازيكم التي سجلت التوراة بعضاً منها وأخفت الكثير منها استيحاء وخجلاً لما فيه من حقارة ودناءة تخجل الكلمات من التعبير عنها والصفحات من حملها.

المسيح الذي نعرفه ونريده هو مبتغى الإنسانية جمعاء وليس حصرياً في مملكة أو شعب!...

المسيح مثالية جميع العظماء والأنبياء والصالحين الذين سبقوه وأتوا بعده وليس على الإطلاق كما تريدونه ملكاً يثبت مملكته ويكون بحجم شهواتكم وصورة منعكسة عنكم!...

المسيح الكوني هو لجميع البشر على السواء لأن مملكته ليست من هذا العالم، عالمكم.

عالمه، عالم المحبة والخير والتسامح والعطاء والسلام، وهذه كلها ليست في توراتكم وليست في تعاليمكم فكيف يكون لكم؟

مثالية

في إحدى الأمسيات وأثناء تمشي داود الملك على سطح بيته شاهد إمرأة تستحم فأغراه منظرها العاري الجميل فأرسل يسأل عنها ويطلبها، فكانت بتشبع بنت اليعام امرأة اوريا الحثي أحد جنوده. واضطجع داود معها فحبلت وأعلمت داود بالأمر فكان أن أرسل زوجها أوريا الحثي بأمر منه، الى خطوط القتال الأمامية ليبعده وليموت.

وأعلم يوآب قائد الجيش، الملك، بتنفيذ الامر وبنفاذه. وبعد إنتهاء المناحة وفك الحداد، أرسل الملك فضمّ الأرملة الجميلة بتشبع بنت اليعام الى حريمه فولدت له أبناً ما لبث أن مات، ثم عادت فأنجبت له سليمان.

وثار ناثان النبي على فعلة والده وعنّفه وذكره بوصية اللاويين ١٨-٢٠ «**لا تجعل مع إمرأة صاحبك مضجعك لزرع فتتنجس بها**»، لكن داود ضرب بالوصايا عرض الحائط. وتروي التوراة بكل بساطة، في صموئيل الثاني الإصحاح الثاني عشر قصة اشتهاء داود لبتشبع زوجة اوريا الحثي وإعتدائه عليها وأمره بإبعاد زوجها لقتله على الجبهة فتكون له محظية في بيت الحريم يأتيها ساعة يشاء دون عناء الصعود الى السطح: فبتشبع أهم بكثير: زانية، ساقطة، غاوية، ويأتي سليمان الحكيم منها!...

فالغاية تبرر الوسيلة دائماً في التوراة! وها هي ترانيم المزامير تتحـاوب في احواء كل كنيسة، يرتّلها الشيوخ بصدق أيمان عفـوي وكـأن كلماتهـا مفاتيح يلجون بها السموات بلا استئذان!.

امنون وثامار

أمنون بكر داود من أخينعوم اليزرعيلية لن يكون أقل شبقاً من ابيه اذ تعلق قلبه بأخته لأبيه: ثامار، ابنة معكة بنت تلماي، فأحبّها وسقم للوصول الى عذريتها، وكل مشتهى المختون العذروية!... وبناء لنصيحة عمه يوناداب اخي داود، تمارض ورفض الطعام والشراب الا من يد ثامار أخته وأخت أبشالوم من أبيه في الوقت ذاته.

وحرصاً على سلامة بكره، طلب داود الملك من ابنته ثامار ان تأتي بالطعام الى مخدع أخيها المريض، فاستفردها امنون واغتصبها على رغم توسلاتها وعلى رغم وصية اللاويين ٢٠-١٧ : «**واذا اخذ رجل أخته بنت ابيه او بنت امه ورأى عورتها ورأت عورته فذلك عار يقطعان امام أعين شعبهما...**» ثم بعد أن قضى منها وطره، أبغضها واذلّها وطردها، فخرجت المسكينة ذليلة، مهانة ومزقت ثوب طهارتها الملوّن وذرّت رماداً على رأسها وانطلقت صارخة تبكي...

وشاهدها اخوها ابشالوم فطيّب خاطرها وقد اضمر الشر لامنون في قلبه وهوّن الامر عليها قائلاً: «**...فالآن يا اختي اسكتي اخوك هو.لا تضعي قلبك على هذا الامر...**» صموئيل الثاني:١٣ ٢٠

الانتقام

ثم ان ابشالوم تربّص لاخيه امنون شراً أثناء جزاز الغنم منتقماً لعرضه وشرفه وكرامته. ثم هرب الى جده تلماي ملك جشور وبقي هناك ثلاث سنين حتى اشتد ساعده، فعاد بعدها يعلن ثورة انقلابية على والده وعلى المفاهيم التي يعيشها، فهرب الملك داود تاركاً نساءه العشر لحفظ البيت!...

«واحتل ابشالوم المدينة ونصب خيمة على سطح والده ودخل على سراري ابيه العشرة امام جميع اسرائيل» صموئيل الثاني ١٥ ١٦

و لم يكتف ابشالوم بذلك، بل حاول بناءً لنصيحة مستشاريه أخيتوفل وهوشاي، قتل والده.

هكذا فلتكن الابوة والبنوّة والنبّوة،

ملك شبق، ونبي عاهر حتى يوم الممات

وأولاد ملوك يتناكحون

وبنون فجَار عقوقون!...

ليتك يا ابشالوم نفذّت وصية مستشاريك، فأرحت البشرية مما عانت بعدها!...

رد الجميل

وينسى داود فضل الفلسطينيين عليه يوم لجأ اليهم يستجيرهم وتنكر لعلاقة حسن الجوار معهم، فشن الحروب عليهم وأذاقهم الموت والقتل والإحراق والدمار؛ ورنّم للرب انشودة النصر والفخر بما صنعت يداه بالشعب الفلسطيني، فسمته التوراة في صموئيل الثاني ٢٣-٢ «مرنّم اسرائيل الحلو الذي تكلم به روح الرب» واستغل داود صفة الاتصال بإلهه يهوه، لشراء الارض من سكانها ولطردهم من ثم منها بحجة انه يريدها مذبحاً للرب. فبعد أن ضرب الرب التوراتي الشعب الاسرائيلي بالوباء ومات منه بين بئر سبع ودان سبعون ألف رجل. وحين حاول ملاك الرب بسط يده على اورشليم ليهلكها، سقط داود على وجهه نادماً ومستغيثاً به لرفع البلاء. فأتى نبيّه جاد وأشار عليه اثباتاً لندمه شراء ارض ارونة اليبوسي لإقامة مذبح للرب عليها يسترضيه فيُسقِط من الشعب الاسرائيلي غضبه وتهديده له بتحمل مصائب الأوبئة لمدة ثلاثة ايام.

فالرب الداودي وعد وأشار ووجّه وما على داود مختاره إلا التنفيذ وإلا فالموت جوعاً او التشرد او الوباء!.

هذا الإله لا يمزح بمثل هذه الامور وخاصة المتعلق منها بتحقيق الوعد الذي قطعه للأجداد: أبراهيم ويعقوب واسحق! فإن أي تلكؤ في تنفيذ

رغائبه المتعلقة بامتلاك الارض والامتداد عليها سيكون معناه احداث التغيير ولو على حساب الكثير من الجثث الاسرائيلية والكثير من دمائهم وها هو قد اثبت عزمه على ذلك فقتل بالوباء سبعين الفاً منهم!...

كما حصل سابقاً في سرقة حضارات المحيط وانتحالها وادعاء تجذرها وتأصلها، فإن داود مارس السرقة الحضارية من خلال الترانيم الدينية التي ادعى نظمها: فالمخطوطات المكتشفة في رأس شمرا واوغاريت، تثبت ان جميع الشعوب القديمة، خاصة الارامية الكنعانية كانت على ايمان بوحدانية الله وبانسانية التعاليم الاخلاقية وبالمثل الكونية العليا وكانت تتوجه إلى الله من خلال اناشيد وترانيم تعبدية وممارسات خلقية ظهرت بعض صورها فيما بعد من خلال تبشير وتعاليم يسوع المسيح. فالرب الكنعاني هو إله خير، إله حق ومحبة وجمال، لا يميز بين انسان وانسان ولا يمايز بين الامم، فما يقربهم منه فعل المحبة والخير والبر ليس فيما بينهم فقط، بل مع الغرباء والاعداء في حين ان الرب التوراتي شرير الى درجة سادية لا يقبل فيها المساومة: فالارض عنده وتحقيق الوعد خير من ألوف ألوف الأحياء فيميت منهم ما يشاء ويهدد بموت غيرهم دون ان يرف لهم جفن او يرتعش له وريد!...

أيعقل أن الله الحقيقي الذي أمدّ الكون بنعمة الحياة، يختار لنفسه أنبياء كذبة كداود وجاد وغيرهما؟

وأي تنبوء خيّر كان منهم جميعاً؟

وأي ملتمس نجاة وسلام كان للإنسانية في وجود أمثالهم؟

هل الإستنباء التوراتي كان قائماً على غير القتل والسـرقة والإحتيـال والزنى والتعدى وطرد الشعوب؟

والتقرب من الإله هل كان بغير هذه الشروط؟.

سليمان الحكيم

يشيخ داود ويصاب بالبرد فكانت أيشج الشونمية جميلة الجميلات التي أختارها شيوخ إسرائيل، خير مدفئة له. لكنها للاسف على الرغم من أنوثتها وعلى الرغم من اضطجاعها معه وبذل المستحيل لإحياء مكامن الحرارة فيه، بقيت على عذريتها.

ودبّ الخلاف بين الأبناء على تولّي زعامة البيت. وحاول أدونيا بن داود من حجيث الاستيلاء على السلطة إذ جهّز جيشاً وفرساناً لكن بتشبع أم سليمان، دخلت على الملك فأسمعته صوتها، فحن داود اليها إذ أعادت إلى مخيلته صورتها عارية تستحم في الخيمة، وبعد قليل نُفخ البوق يعلن تولي ابنها سليمان الحكم، فمسحه ناثان النبي ملكاً على اسرائيل!.

في هذا الوقت وبعد أربعين سنة من الملك مات داود وفي قلبه حسرة على ابيشج الجميلة العذراء!.

وفر ادونيّا مستجيراً في الهيكل بقرون المذبح حسب عادات ذلك الزمان الوثنية، فأطلقه سليمان حراً.

سليمان نال بركة والده بهمسٍ من والدته بتشبع فكان له الملك والسلطة،وحاول ادونيّا بن داود ان يكون له شيء مما تركه والده، فأتى الى بتشبع ام سليمان يرجوها ان تساعده على أن تكون ابيشج زوجة له!... فما لم يستطعه والده علّه يستطيعه هو. فثار سليمان للامر وغلت الحمية في رأسه!.

أيعقل ان ادونيّا بن داود يتزوج من حلوة ابيه وآخر الجميلات عنده؟ فكان ان قتل اخاه! ومات ادونيّا وحسرة ابيشج في قلبه كما كانت في قلب ابيه من قبل! وفتح سليمان الحكيم عهده بصفحة جديدة من الجرائم دونّ على رأس أولى صفحاتها اسم أدونيّا. ثم اتبعه باسم يؤآب بن صروية تنفيذاً لوصية والده قبل موته: «**لا تدع نفس يؤآب تنحدر بسلام الى الهاوية**» ملوك الاول ٢-٦

ثم كان اسم شمعي بن معكة ملك جت الذي فرض عليه الاقامة الجبرية في أورشليم ثم ما لبث أن قتله لأنه ذهب خارج المدينة يفتش عن عبدين فرا من خدمته!

بهذه البداية الدموية استحق سليمان ترائي الإله له في الحلم في جبعون فاعطاه قلباً حكيماً مميزاً.

ولكي يسجل رقماً قياسياً في تعدد الزوجات لم يكتف سليمان بزواجه من ابنة الفرعون بل أحب نساء غريبات كثيرات: موآبيات، عمونيات، أدوميات، صيدونيات، وحثيّات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لانهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم... فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري، وكان في زمان شيخوخة سليمان، أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة اخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب ...«**فذهب سليمان وراء عشتروت إلآهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين**»

...«حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل الذي تجاه اورشليم ولمولوك رجس بني عمون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن» ملوك الاول ٨:١-١

سليمان الحكيم منظم نشيد الانشاد، وكاتب سفر الأمثال الذي ميّزه إلهه بالحكمة وتراءى له مرتين فبنى هيكلاً للرب، تراه ضعيف الايمان بإلهه، فينكره كما فعل أسلافه من قبله، ويتعبد لآلهة نسائه وكأنه غير واثق من ربوبيته، والوهيته هي قيد التجربة!.

هذا الرب الذي طالما فعل لبني إسرائيل شعباً وقادة، ما لم يفعله لغيرهم، هو موضوع تجربة وامتحان دائمين عندهم. فحتى سليمان يتنكر له، فيعود في آخر ايامه ويتعبد لعشتروت وملكوم وكموش وملكارت، إرضاء لنسائه وانسياقاً وراء شهواته وحيوانيته الشبقية!... ومن المعتاد ان الإنسان يتنكر لخالقه في شبابه ويعود إليه في شيخوخته. أما سليمان الحكيم فاهتدى إلى العكس، إذ اثبتت له حكمته في آخر أيامه عقم إيمانه با لله الواحد فارتد إلى الايمان بالآلهة الوثنية!

أهذه هي الحكمة عند سليمان؟! أهي المعرفة بعد التجربة؟!...

أعلى هذا سُمي حكيماً أم على المناقبية الاخلاقية التي كان عليها كأسلافه؟ ام لأنه كان له من النساء الف، سبعماية امرأة سيدة وثلاث مئة سرية؟

فكيف برب العباد، ملك كهذا يحكم؟ ومن أين تأتيه الحكمة؟ فلو كان للمرأة الواحدة حظوة بمجامعة سليمان مرة واحدة في السنة، وهذا أقل

حقوقها، لكان لسليمان ثلاث نساء في اليوم الواحد! يعني ذلك أنه كان يمضي أيامه عارياً متهيئاً للمضاجعة ومتغزلاً بنسوته!... فمن أين يأتيه الوقت للحكم والتشريع والعدل والتعبد لله؟

يا رجال الكنيسة، بالله عليكم ان تقولوا بعد ان تطلعوا بعقل على سيرة سليمان في التوراة، أين الحكمة في تصرفات هذا الملك؟

أين الفضيلة في حياته حتى جعلتموه رمزاً تبشّرون بأقواله؟

بالله عليكم ايها الافاضل ان تقولوا الحقيقة بلا خوف من الذين وراءكم يوجهونكم إلى غاياتهم فتنفذوها بعمى الحرف وطاعة الكلمة؟

هل الحكمة هي في التعددية الشبقية الديكية التي كانت لسليمان؟ او لتعددية الآلهة التي عبدها؟

وهل الحكمة هي في مجون كلمات سفر نشيد الأنشاد وفي فيض التهتك الذي تفخر التوراة بذكره في هذا النشيد؟

روى لي أحد رؤساء الاديار الفاضلين أنه يوم كان راهباً فتياً، كان يُحرّم على جميع الرهبان قرأة نشيد الأنشاد،نظراً لما يحتويه من تهتك وإباحية في وصف المرأة فكان الرهبان الشبان يتصفحونه بالسر تفحيراً لكبتهم الجنسي ولتصوراتهم الغرائزية.

وسألت مرة أحد القساوسة ما هو المغزى من وجود نشيد الأنشاد في التوراة؟

فأجابني مجتهداً: «ان سليمان بتغزله بحبيبته انما يرمز الى تغـزل المؤمـن بكنيسة المسيح!»

بالطبع، لم يقنعني الإجتهاد الضعيف لتبرير العهـر السـليماني:فالإبقـاء عليه انما يهدف الى فرض الواقع التوراتي على نورانية المثل المسيحية فيشـكل من خلالها ظلالاً للشك والاستفهام.

هل حكمة سـليمان هـي في الديكتاتوريـة والظلـم اللذيـن مارسـهما على شعبه فأذلّه حتى الموت؟

ألم يغضب الله عليه فأقام له هدد الأدومي خصماً له كما أقام لـه في دمشق روزن بن اليداع؟ وفي مصر يربعام بن نباط؟

يا رجال الكنيسة العقلاء اعلنوها ثورة عقلية ايمانية وارفضوا ما فُرض عليكم لأضعاف جوهر ايمانكم وانتم لا تدرون واعلنـوا للمؤمنـين البسـطاء الحقيقة وبرئوا الحكمة من سليمان، أو برّئوه منهـا، سيان. أمـا مـا جـاء في سفر الجامعة وفي كتاب الامثال من حكم نسبتها التوراة اليه فليس الإ سرقة وانتحالاً عن الذيـن سبقوه والذيـن دمّـر مدنهـم وأحرقهـا وادّعـى امتـلاك الحضارة. فمن له الحضارة لا يعتدي ولا يشـنّ حـروب الغزو علـى الغـير. ومن ملاحظة تواريخ الحـروب نـرى ان الشـعوب الفقـيرة ماديـاً وحضاريـاً كانت تسعى الى شنّ حروب الإعتـداء والإمتـداد علـى غيرهـا بغيـة الشـبع المادي والحضاري، فكيف اذا اجتمع السـببان عنـد شـعب دمـوي عنصـري مثل الشعب اليهودي؟

الثورة على الثورة

ولما استخلف رحبعام والده سليمان كانت الثورة الشعبية على أشدّها ضد جور حكمة سليمان فاستدعت إسرائيل يربعام بن بناط من مصر لتملكه عليها. وفي مقابلة رحبعام للشعب كانت الصرخة مدوية حريئة: «...**إن أباك قسّى نيرنا وأما انت فخفف من عبودية أبيك علينا القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك**...» ملوك الاول:١٢-٤

وكان جواب الملك المستخلف للشعب أقسى من حكم الملك المُستخلَف «...**أبي حمّلكم نيراً ثقيلاً وأنا أزيد من نيركم. أبي أدّبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب**...» ملوك الاول ١٢-١١

واندلعت الثورة على الظلم ورجم الشعب أدورام، رئيس شرطة التسخير،فمات. فأقام الرب كلامه ليربعام بن بناط على يد أحد الأنبياء: أخيّا الشيلوني، فملك على اسرائيل وبنى مدينة شكيم في جبل أفرايم وسكن فيها تاركاً اورشليم وقدسيتها وما تمثله من قيم إيمانية حاول طمسها ونكرانها وتجاهلها وذلك بالعودة وشعبه إلى ايمانه العتيق!. وخوفاً من تذكر الاسرائيليين آلهتهم في أورشليم أقام لهم عجلي ذهب وقال لهم: «...**كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم. هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين اصعدوك**

من أرض مصر. ووضع واحداً في بيت أيل وجعل الآخر في دان.» ملوك الاول ١٢-٢٨

يربعام، الذي ملّكه الرب التوراتي فأنطق أخيّا الشيلوني لأجله متنبئاً به، يستدعيه لانقاذ إسرائيل من ظلم حكمة سليمان، يتنكر لهذا الرب ويستعيض عنه بعجلين من الذهب يتعبد لهما ويفرض تكريمهما على شعبه بدلاً عنه. مما أثار غضب الرب عليه، ففي إحدى الاحتفالات أيبس الرب يد يربعام علّه يرتدع عن ضلاله ثم ما لبث أن أعاد حركتها بواسطة أحد أنبيائه علّ يربعام يتعظ ويتهيب قوة ذلك الرب وقدرته! لكن يربعام لم يرعو فعاد إلى نكران ذلك الإله والعودة إلى عبادة غيره من الآلهة!...

الا تعني قصة يربعام إن الاله التوراتي هو صناعة توراتية بحتة لا شيء من الألوهية الحقيقية فيها؟

والا فكيف نفسّر اختيار هذا الإله ليربعام ليحكم على إسرائيل؟ فهل أخطأ بذلك الإختيار؟ واي إله هو هذا الإله الذي يخطىء؟ أو أن الأنبياء الذين كلفهم بالتبليغ، كانو يحرّفون رسالته ويوجهونها لمن يشاؤون وكيفما يشاؤون؟.

أي ملك من ملوك إسرائيل لم يختره الرب ثم لا يلبث أن يندم على ذلك الاختيار؟

أي ملك من ملوكهم لم يرتكب الشر و لم يخن الرب؟

أداود؟ أم سليمان؟ أم ابنه رحبعام؟

أم ابنه أبيام بن معكة بنت إبشالوم «الذي سار في جميع خطايا ابيه التي عملها قبله ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب الهه» ملوك الاول ١٥-٣

أم يربعام الذي أختاره الرب بعد ندمه على اختياره لرحبعام؟

أم ناداب ابنه؟

أم بعشا بن أخيّا؟

أم أخاب الذي تراءى له ايليا؟

أم...أم إلى آخر المطاف من الملوك الذين كان يختارهم هذا الرب بواسطة الانبياء الذين كانوا يمارسون مهمات الاستنباء فيؤثرون على الشعب ويفرضون عليه مشاعرهم وآراءهم وتصوراتهم وأوهامهم على انها إلهية، مقدسة، فإذا بالتوراة تبدو كسجل يحفل بالمخازي والمقاتل، والمجازر، والمحارق فتفوح من كل صفحة فيها رائحة القتلى والجثث المهترئة مختلطة بروائح البخور والاشوية المقدمة للأوثان وأصنامها!... كما تحفل بأخبار الخيانات لله، فتظهره كوثن لكنه أشد غباء من بقية الاوثان!...

وتتوالى مخازي مختاري الرب فتمتلىء صفحات التوراة لتكون سجلاً يفرضون علينا قداسته في الكنائس ويجبرون بسطاء الشعب على تسميته بالكتاب المقدس، ويحيطونه بهالة من شكليات القدسية كي يكون في مأمن من جرأة من يشك ومن ينكر ومن يتمردا...

وأن سألت الحقيقة يفسرون لك كل شيء ويؤولون كل شيء:

فنيّة الله لا يعلنها لأحد غيرهم!

وإرادة الله مستورة لا يعرفها غيرهم!

فالله يشاء كما يشاؤون!

والله يريد

وهذه إرادة الله ألاّ يعرف كل الناس الحقيقة!.

أن تبقى التوراة مقدسة! وأن يبقى الوشم التوراتي في الدين المسيحي وفي قلوب المؤمنين: هذه هي المسألة العظمى، هذا هو كل الايمان، وغير هذا الكفر بعينه!...

مسكين أنت ايها العقل!

مسكين أنت ايها المارد الذي يخافون انطلاقته من قمقمه! مسكين! لقد مسخك الكهنة قزماً وجعلوك معاقاً لا تفقه شيئاً، ارضاء لحاخامات التوراة والانجيل على السواء!...

تعيس من لا عقل له!

وتعيس من لم يستوعب عقله فكرة الله الاوحد!

فمن لا عقل له لا إله له،

ومن لا إله له، لا عقل له،

مقولتان للايمان، وخيره من اثبته العقل!

«في بيت إيل خرج بنو الانبياء إلى اليشع وقالوا له أتعلم أنه اليوم يأخذ الرب سيدك من على رأسك»

وفي اريحا كان نفس الكلام.

وعلى الاردن خرج خمسون من ابنائهم فقالوا نفس الشيء.

وهناك ضرب ايليا الأردن بردائه فانفلقت ماؤه فعبر هو وتلميذه اليشع. وهناك وفيما هما يسيران ويتكلمان أذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد ايليا في العاصفة الى السماء. وكان اليشع يرى وهو يصرخ يا ابي، يا ابي، مركبة اسرائيل وفرسانها!... ومزق ثيابه واخذ رداء ايليا الذي سقط عنه وفلق به الماء مرتين وعاد اليشع الى اريحا» ملوك الثاني:٢

وهكذا مسح ايليا اليشع بن يوشافاط نبياً بديلاً عنه، فعلّمه ما لم يتعلمه الآخرون فكانت أولى عجائبه تجريبية إذ لدى أخذ اليشع رداء سيده ايليا ضرب به الاردن مرتين قائلاً **«اين هو الرب اله ايليا»** ملوك الثاني ٢–١٤

فانفلق الاردن، وعبر اليشع الى ضفة اريحا وقد اطمأن قلبه!

وفي اريحا، وبناء لتلمس ابناء الانبياء، طرح اليشع الملح في نبع ماء رديء فحوله الى نبع صالح للشرب!

وفيما هو صاعد الى بيت ايل عيّره اولاد صغار بقولهم له:«اصعد يا اقرع» فلعنهم اليشع باسم الرب فإفترست منهم الوحوش اثنين واربعين ولداً.

وفي برية ادوم، يتدخل اليشع لنصرة يهو شافاط ملك اسرائيل ويهوذا في حربه على المؤابيين، فيحول وادي ادوم الى خزان ماء ليشربوا منه وبهائمهم وماشيتهم فدفع الرب موآب الى ايديهم وكان كلام الرب على لسان اليشع: «**فتضربون كل مدينة محصنة وكل مدينة مختارة وتقطعون كل شجرة طيبة وتطمون جميع عيون الماء وتفسدون كل حقلة جيدة بالحجارة.**» ملوك الثاني ٣-١٩

ونزولاً عند رغبة أرملة احد الأنبياء وانقاذاً لها من المرابين ملأ خزانات منزلها وجميع اوعيتها بالزيت فباعت ووفت ديون زوجها وعاشت حياتها بما تبقى عندها من الزيت المبارك. ملوك الثاني الاصحاح الرابع (١-٧)

ورداً لجميل امرأة شونمية عاقر كانت تأويه وتطعمه مع غلامه حجيزي، بشّرها بولادة ابن لها. فحبلت وكان لها غلام ما لبث ان مات بعد حين. فجاءت الى جبل الكرمل عند اليشع وأعلمته بالأمر فجاء اليشع الى شونم وأعاد الحياة للولد الميت. ملوك الثاني ٤:(٨-٣٧)

وفي شليشة اشبع مئة رجل من عشرين رغيفاً من الشعير والسويق وفضل عنهم!...

وأتاه نعمان رئيس جيش الملك الارامي في دمشق وكان مصاباً بالبرص فشفاه بعد ان غطسه سبع مرات في مياه الاردن!... فعرض عليه

نعمان هَدية عظيمة رفض اخذها لأنه فعل ذلك لأجل الرب فقط... واستغل عبده حجيزي الامر، ولحق بالنعمان على الطريق وأخذ لنفسه جزءاً من الهدية دون علم سيده. ولدى عودته اكتشف اليشع الامر فغضب عليه ونقل اليه برص النعمان. ملوك الثاني:٥

وعلى ضفة الاردن في اثناء احتطاب الانبياء للخشب فقد احدهم فأسه في النهر فغرقت و لم تظهر فحرك اليشع الماء بعود فعامت الفأس وأخذها صاحبها بيده. ملوك الثاني ٦:(١-٦)

وفي مدينة دوثان احاط جيش الملك بالمدينة يطلب اليشع. فتدخل الرب وأعمى الجيش وقادهم الى السامرة ليهديهم الى الرجل الذي يطلبون وهناك فتح الرب اعينهم فإذ هم بين أعدائهم. فأمر ملك اسرائيل بإطعامهم وسقايتهم وباطلاقهم فعادوا الى ديارهم و لم يعودوا ليدخلوا ارض اسرائيل ثانيةً. ملو الثاني ٦:(١٤-٢٣)

وفي السامرة حين محاصرة جيش بنهدد الأرامي لها، أرسل الملك الاسرائيلي يطلب قتل اليشع محملاً اياه مسؤولية الحصار والجوع اللذين اصابا المدينة حتى اكلت النساء اولادها دفعاً للموت جوعاً، فأوحى الرب الى اربعة برص كانوا على مدخل السامرة ان يذهبوا الى محلة الاراميين هرباً من الموت والجوع، فكان لدى وصولهم ان توهّم الجيش الارامي وصول اعدائهم اليهم ففروا تاركين كل خيامهم بكل محتوياتها. فتلهى البرص الاربعة بالاكل وأخذوا ذهباً وفضةً وطمروها. ثم بعد يومين أُلهموا فأتوا

واخبروا ملك اسرائيل بالأمر فظنها خدعة فأرسل من استطلع الامر ولما صدق الخبر خرج الشعب الى المعسكر الارامي وانتهت المجاعة وصدقت نبوءة اليشع التي كان يطمئن بها الشعب اثناء الحصار: «**كيلة الدقيق بشاقل وكيلتا الشعير بشاقل.**» الملوك الثاني الاصحاح السابع

واتاه حزائيل رسول بنهدد الارامي يسأله شفاء سيده، فتنبأ له اليشع بقوله أن سيده سيموت وانه اي رسوله سيملك مكانه وسيحارب اسرائيل ويضطهدها.

وهكذا تم، اذ مات بنهدد وتولى الحكم مكانه رسوله حزائيل، وحارب الاسرائيليين كما لم يحاربهم احد من قبل!...

وتنبأ اليشع بوصول ياهو بن يهوشافاط الى السلطة ومسحه اليشع بعدها ملكاً على اسرائيل وتحققت نبوءته!...

كما ماتت ايزابيل وأكلت جثتها الكلاب تصديقاً لتنبوء اليشع بذلك.

واثناء مرضه الأخير تنبأ ليوآش بانتصاره على الاراميين ومات بعدها اليشع ودفن. واثناء احد الجنازات هاجم الموآبيون المدينة فألقى المشيعون بجثة الميت في قبر اليشع استعجالاً للامر ولما نزل الميت ومسّ عظام اليشع عادت اليه الحياة وقام على رجليه. الملوك الثاني ١٣(٢٠-٢١)

وقبل اليشع ألم يختر الرب التوراتي ايليا التشبي فقتل انبيأ البعل الأربعمئة والخمسين وصبغ بدمائهم نهر قيشون ليقنع بمعجزته فيهم أخاب الملك على مقدرة إلهه في القتل والفتك والبطش بعد ان خدعهم بناره المقدسة؟

كي يثبت ايليا، حدارة إلهه الـذي يجيـب بالنـار: «**لأن الـذي يجيـب بالنـار، فهـو الله**» ملـوك الاول ١٨:٢٣، لجـاء إلى حيلـة النـار اليونانيـــة، المعروفة منذ القدم، خداعاً للحشود المتجمهرة لرؤية أعجوبة النار الإلهيـة في المذبح المبلل بالماء، الذي كان قد أعدّه لهذه الغاية بعـد ان ذرّ عليـه، خفيـةً، مسحوق الفوسفور الممزوج بحامض الفولميك acide fulmique اللذان ما إن يشبعان بالرطوبة حتى يشتعلان بوهج ولهيب أخّـاذين، فيبـدو الأمـر وكـأن الإله الايليوي استجاب لنداء نبيّه فاشعل النار في المذبح على الرغم من المـاء المسكوب عليه بغزارة ولثلاث مرات متتالية.

«**وقال املأوا أربع جرّات ماء وصبّوا على المحرقة وعلـى الحطـب. ثم قال ثنّوا، فثنوا، وقال ثلّثوا فثلثوا**» ملوك الاول ١٨:٣٣

وما ان اشبعت المادتان الحارقتان بالرطوبة حتى: «**سقطت نار الـرب واكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التي في القنـاة**» ملوك الاول ١٨:٣٨

وسقط بعدها سيف ايليا المتعطش للدم على رقاب الانبياء الاربعمايـة والخمسين فصبغ بدمائهم نهر قيشون، وعلا صراخ تعجب ودهشة وتمجيـد المؤمنين البسطاء، وما أكثرهـم، حتى في نهاية القرن العشرين.

بأمر من ذلك الرب مسح ايليا ياهو بن نمشـــي ملكـاً علـى اسـرائيل، وحزائيل ملكاً على آرام، واليشع بن شافاط نبياً بديلاً عنه واعطاه سر النبوة

الاسرائيلية وحدد له مفاهيمها «...**فالذي ينجو من سيف حزائيل يقتله ياهو والذي ينجو من سيف ياهو يقتله اليشع.**» ملوك الاول ١٩: ١٧

هذا هو شعار النبوة الحقيقي عند الشعب الاسرائيلي ولتسقط بقية الشعارات المخالفة والتي تحاول ستر الحقيقة وطمسها بمظهر توحيدي كاذب.

أية نبوة تدعو للقتل غير نبوتك يا اسرائيل وأي إله قاتل يجيب بالنار غير إلهك هذا؟

أليست تعاليم يسوع التي تدعو للمحبة والتسامح والعفو هي النقيض لممارسات «النبي» ايليا ولتعاليم إلهه؟

ألم يدعُ يسوع الى مباركة لاعنينا والى الصلاة لأجل المسيئين الينا وللإحسان الى مبغضينا؟

ألم يقل من ضربك على خدك الأيمن حوّل له الأيسر ايضاً؟

ألم يقل لا تقاوم الشر بالشر بل قاوم الشر بالخير؟

ألم يقل إرحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم؟

ألم يقل لا تدينوا لئلا تدانوا وبالكيل الذي تكيلون به يكال لكم وازود؟

ألم يقل لبطرس حين شهر سيفه ليضرب عبد رئيس الكهنة أغمد سيفك يا بطرس، لأن الذي بالسيف يأخذ بالسيف يؤخذ؟

فهل اخذ ايليا بالسيف بعد المجزرة؟ وهل ادين بعدها؟

وبأي كيل سيكال له؟

ألم يقل دعوا الاولاد يأتون اليّ لإن لمثل هؤلاء ملكوت السماوات؟ فكيف يلعنهم اليشع فتفترسهم وحوش الارض؟ وكيف تقبل الكنيسة ان تمجد امثال اليشع؟

ان الإله التوراتي على نقيض تعاليم يسوع المسيح، فهو يحب القتلة ويحميهم ويقربهم اليه لذلك رفع اليه ايليا حياً.

ما دامت تعاليم يسوع المسيح المثالية والكونية في صميم تبشير المسيحية فلماذا يشجع رجال الكنيسة إقامة المزارات باسم ايليا الذي تعرفه الناس بإسم مار الياس؟

كيف تقبل الكنيسة ان تمجد القتلة فترفع داخلها صورة مار الياس شاهراً سيفه وجثث كهنة البعل تحت قدميه؟

هل القتل والعنف وسفك الدماء هم من جوهر التعاليم المسيحية أو من عمق التراث الوثني اليهودي؟

كيف يقبل من يؤمن بمثالية التعاليم المسيحية أن يقيم كنائس على اسم رمز من رموز العنف والقتل، على اسم بطل من أبطال التوراة الدمويين؟

كيف يقبل من يدعي التبشير بالمحبة أن يقيم الاعياد ويرفع الصلوات تخليداً لاسم نبي يمثل صورة الاله الوثن، القاتل السادي؟

كم من الاشخاص في المسيحية من يحمل اسم الياس أو ايلي او ايليا تيمناً باسم «النبي» ايليا التوراتي؟

وكم من الاشخاص في اليهودية اليوم من يحمل نفس الإسم؟

هذا التفوق في حمل الإسم عند المسيحيين ألا يعني أننا أصبحنا نغالي بيهوديتنا وبوثنيتنا أكثر من اليهود انفسهم؟

ألا يعني ذلك تمجيد أبطال التوراة والمفاخرة بالأخلاق الوثنية اليهودية في قلب الدين المسيحي السامي؟

وندرة اسم ايليا عند اليهود اليوم هل يعني أن إيلياتهم (جمع ايليا) الكثيرة في العصر الحديث قد تفوّقت على ايليا التوراتي في الإجرام فانستهم اياه فأصبح في زمن كان؟ وأن المجازر الحديثة التي ارتكبوها في كفرياسين ولبنان وفلسطين وفي حروبهم مع العرب، تفوق بإجرامها وساديتها اجرام ايليا في مجزرة كهنة البعل، فلم يعد لهم الحاجة لتذكر قصة ايليا لان لهم كل يوم ألف قصة في كل مجزرة يرتكبونها بحق الإنسانية كلها!...

فجميع انبياء التوراة إبتداء من موسى مروراً بإيليا وانتهاء باليشع قتلة مارسوا نبوتهم وارتكبوا الفظائع باسم إله مزّيف وتحت حمايته. فلا هم أنبياء حق وما إلههم إلا صورة وهمية لحقدهم وساديتهم وبغضهم لغيرهم من الشعوب.

فالله الحقيقي لا يبغض شعباً ولا يعرف الكراهية فجميع مخلوقات الارض بحكمة ومحبة أوجدها، تتساوى عنده في نعمة الخلق وتتوازن في محبته لها جميعاً دون تفرقة أو تمييز: فلا عرقية عند الله الحق، ولا الوان، ولا مذاهب، ولا شعوب، فالانسان عنده واحد نفخ فيه نعمة الحياة لفيض المحبة

والخير، وأراده صورة منعكسة عنـه، في حـين أراده انبيـاء اسـرائيل وقادتهـا صورة تعكس الحقد والشر والقتل والتفرقة والكراهية ولا يتكلم إلا بالنار.

ان جميع الاحداث المدوّنة في التوراة تعكـس حقيقـة الشـعب العـبري وتظهر بوضوح مشاعر الكراهية لجميع الشعوب ومشاعر البغض والاحتقار لكل من ليس يهودياً! في حين نرى ان جميع الشعوب التي عايشت الشـعب العبري في تغربه وفي استيطانه لم تكن عدائية معه، بل على العكس مضيافـة، رحبة الصدر، وكان ايمانها بالمثل التي تعيشـها اكـثر تسـامحاً ومحبـة واخلاقـاً وممارسة من الشعب العبري.

فما اكثر انبياءك يا اسرائيل

وما اقل ايمانك.

«وكان ذات يوم انه جاء بنو الله ليمثلوا امام الرب وجاء الشيطان ايضاً في وسطهم. فقال الرب للشيطان من أين جئت. فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان في الارض ومن التمشي فيها. فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب. لأنه ليس مثله في الارض. رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر. فأجاب الشيطان الرب وقال هل مجاناً يتقي ايوب الله. أليس انك سيّجت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية. باركت اعمال يديه فأنتشرت مواشيه في الارض... ولكن ابسط يدك ومس كل ما حوله فإنه في وجهك يجدف عليك. فقال الرب للشيطان هوذا كل ما له في يدك وانما اليه لا تمد يدك. ثم خرج الشيطان من امام وجه الرب» ايوب ١: ٦-١٢

مقابلة ولا اجمل، تتم في مكان حصري غير معروف ولكنه بالتأكيد في مكان إقامة الرب!.

مقابلة بين رب لا محدود في مكان يحدّه ويصغّره ويحجّمه لكي يُرى ويُنظر ويُسمع ويُلمس ايضاً إن كان في النيّة لمسه.

مقابلة بين الله والشيطان وبحضور ابناء الله الذين اتوا متهمين فأصبحوا شهوداً مستمعين.

الخير المطلق في ندوة مع الشر المطلق، إن كان هذا الاخير، فَرَضَاً مطلقاً.

لم لم يُعرَّف ولم يُسمَّ كاتب سفر أيوب من هم أبناء الله هؤلاء الذين أتوا للمثول أمام الله؟

الشيطان كان في وسطهم، إذاً هو احدهم، فهل جاء مثلهم للمثول أمام الله؟ والا فكيف يقف بين أولاد الله إن لم يكن أحدهم أو مثلهم.

هل اندس خفية بينهم ولم يعرفه الله فظنّه أحدهم؟

لماذا لم يعترض ذلك الرب على وجود الشيطان بين أبنائه إن لم يكن راغباً في وجوده وسامحاً فيه؟

أشاخ ذلك الرب فلم يعد يعرف المهمات التي كلّف ابناءه بها أم كلّت عيناه فلم يعد يميّز بينهم؟

أم أنه أصبح كإسحق في شيخوخته فلم يعد يميز بين يعقوب وعيسو؟

لماذا خصّ الله الشيطان بالمحاورة دون غيره وباداه فيها؟ بأية لغة كان الحوار؟ ومن الذي سجّله؟

غير مهمّ، لكن المبادأة بالحديث كما جاءت تبين جهل ذلك الرب لأفعال مخلوقاته، فهو يسأل الشيطان من أين جئت كما سأل من قبل آدم: اين انت؟

السؤال دليل الجهل، ودليل عدم المعرفة.

ثم يقول الرب للشيطان «هل جعلت قلبك على عبدي أيوب؟» هل يا ترى كان الشيطان بمهمة تفقد خيرية إنسانية أوكله الله بها على الارض فأوصاه بالإهتمام بأحد أتباعه المخلصين؟

وهل الشيطان يستطيع إداء المهمة بإخلاص حتى يختـاره الله لذلـك؟

وهل يستطيع الشيطان فعل الخير أو الإهداء إليه؟

لماذا لم يجعل هو قلبه على عبده أيوب؟

الا تكفي إرادته في ذلك؟

ثم لماذا يسأل الشيطان هذا السؤال؟ الا يعرف هو ان قلب الشـيطان على أيوب وان أيوب هو بحاجة بـالفعل لتلـك الرعايـة الشـيطانية؟ ثـم هـل للشيطان قلب يرحـم بـه ويـرأف؟ أو أن قلـب الشـيطان هـو خـارج دائـرة معلوماته فلم يستطع معرفة ما فيه وما يضمره؟

ثم لماذا ارتضى الله إطلاق يد الشيطان في كل مال أيوب؟ هل ليثبت ذاته وقدرته للشيطان؟

لماذا قبل الله أن يعرّض قدرته للإمتحان؟

هل عظمته بحاجة لإثبات؟

لماذا لم يقبل يسوع أن يجرب الرب إلهه وقد عرّض الـرب ذاتـه نفسـه للتجربة؟

وفي المقابلة الثانية بين الشيطان والرب التي أوردتهـا التـوراة في بدايـة الأصحاح الثاني من سفر أيـوب، ظهـر الـرب كمسـخ جـاهل أو كوحـش سادي يفترس خلائقه بلا رحمة.عنده، من وسائل الدمار والعذاب ما يفيـض عنه فيهب منه للشيطان ما شاء ويعيره ما يريد. وبدت فكـرة التعبـد المـادي لذلك الرب واضحة من خلال إطلاق يد الشيطان في أمـر أيـوب فتفنـن في

إيذاء العبد الصالح أيوب، وسبي مواشيه، وقتل غلمانه. واستعمل الشيطان قدرة الله فأحرقت ناره الغنم والغلمان و لم ينج إلا المُخبر الذي أعلم أيوب بالمصيبة. وبتوجيه إلهي سبى الكلدانيون جِمال أيوب وضربوا بالسيف غلمانه و لم ينج ألا الذي أتى وأخبر ايوب!...

ومات اولاد أيوب وبناته تحت الأنقاض و لم ينج الا من أتى وأخبر أيوب!...

هل يستطيع الشيطان بنفسه أن يحرك السبئيين فيأخذوا ويضربوا بالسيف غلمان أيوب؟

وهل يستطيع الشيطان بنفسه أن يحرك نار الله فتحرق مواشي وغلمان أيوب؟

ومصيبة الكلدان في آل أيوب؟

ومصيبة موت أولاد أيوب؟

من المسؤول عن كل هذا؟

إن كان الله، فخير العبادة هي لإله خيّر لا لإله شر، وإن كان غير الله، فما دور هذا الله أمام وجود قوة هدامة تجابهه وتحاوره وتستطيع ما لا يستطيعه؟

و لم ييأس أيوب برغم مصائبه فقال كلمته المشهورة: «عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك»

فيقول الشيطان كلمته: «كل ما للإنسان يعطيه لأجل نفسه»

ويهتاج الرب ويضرب أيوب بقرح رديء من باطن قدمه الى هامته... ويصبر أيوب فيقول: «الخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل» ويتهم الله بالإزدواجية الزرادشتية: فهوإله خير وإله شر في الآن ذاته!... فهل يقبل جزء الله الخيّر أن يشاهد جزأه الاخر يفعل الشر؟ وما دوره في هذه الحالة؟

هل يستطيع هذا الجزء أن يردع الجزء الأخر عن القيام بمهماته؟ وما دور أحد الجزئين عند قيام الجزء الاخر بفعله؟

أليس الخير هو انتفاء الشر؟

أليس الشر هو انتفاء الخير؟

فكيف يلتقي الشر والخير في ذات واحدة؟

وما دور الإنسان في ذلك وأي رجاء له في ذلك؟

وهل خلق ليكون حقل تجارب والعوبة يتلهى بها هؤلاء الألهة فيتسلون بإمتحانه وعذابه والآمه؟

ويشكو أيوب أمره ويلعن ساعة مولده أمام أصدقائه الذين جاؤوا متواعدين لمؤاساته ولتعزيته فيما أصابه ولتطييب قلبه بإظهار أن ما أصابه إنما هو واقع حياتي أراده الله لكل إنسان ولإقناعه بأن الذي يسير على طريق البر خير من السائر في طريق الشر!

فالشر والخير هما من معطيات عقل الانسان ولا شأن لله في ذلك، فإن فعل الإنسان الخير فلاجل نفسه يفعله، لا إرضاء لله، وإن فعل الإنسان الشر فعلى نفسه يفعله، ولا يصاب الله منه بشيء.

وحاول الحكماء الثلاثة: اليفاز التيماني، وبلدد الشوحي، وصوفر النعماني تعزية أيوب بمختلف المقولات الفلسفية التي يؤمنون بها لكن أيوب احتقرهم: «**أما أنتم فملفقوا كذب، اطباء بطالون كلكم. ليتكم تصمتون صمتاً يكون لكم حكمة.**» ايوب ١٣: ٤-٥

فهل ما جاء على السنة اليفاز وبلدد وصوفر من كلمات المؤاساة وتطييب الخاطر والحكمة هي اكاذيب ملفقة؟

في هذه الحالة لماذا الطوبى للإنسان الذي يؤدّبه الله؟

إن كانت أقوال هؤلاء الحكماء كاذبة فلماذا التباهي بها وما يتبقى من قيم الخير إن حذفت وأبطلت؟

ومع ذلك يبارك الرب آخرة أيوب فيكثر نسل مواشيه ويعطيه سبعة بنين وثلاث بنات لم يكن أجمل منهن. ومات شيخا وشعبان من الأيام وعاش بعد عذابه مئة وأربعين سنة

هكذا تشاء التوراة أن يكون الرب: إلهاً محدوداً، ضعيفاً، جاهلاً، عاجزاً، سادياً، يتلذذ بعذاب مخلوقاته ويتفنن في ذلك، وتحصر ألوهيته الخيّرة لأجل فئة واحدة من البشر، يسخر كل قواه لأجلهم ويسخرون كل طاقاتهم لتحجيمه وتصغيره ليكون على حجمهم وعلى قدر شهواتهم.

أما العقل فيريد الله إلهاً كاملاً، خالقاً واحداً، أحداً، ابدياً، ولجميع بني البشر، يستوعب امانيهم كلها بمحبة وتلتقي عنده بمساواة النعمة جميع البشرية!. فهو لا زمان له ولا مكان يحده هو خالق الكون يملؤه ويفيض عنه.

أين القداسة في كل ما جاء في التوراة؟

أين مثالية التعليم التي اوردتها؟

أين المثل؟ أين المفاهيم؟

ايوجد في التوراة المتداولة بجميع طبعاتها غير قصص العهر والزنى والفجور والبغض والحقد والكراهية؟ كراهية الإنسان للإنسان وكراهية الإله التوراتي للإنسان.

ايوجد فيها غير السرقة والغزو والاحتيال والقتل وقهر الشعوب وطردها وتشريدها؟

ايوجد فيها غير تحدي الشعب المختار لأله؟

هل ذكر في التوراة شيء عن بقية الشعوب؟ ألإنها لا تستحق الذكر؟ أو لأن لها إلهاً آخر غير الإله التوراتي؟ أيوجد في التوراة غير ذلك الإله الغضوب، الندوم، المتردد، السادي، العنصري؟ أيوجد فيها غير تلك الوثنية؟

أعَجَبُ لطريقة الآباء والأجداد، لمعلمي الحكمة، والمرشدين الروحيين في قراءتهم للتوراة وفهمهم اياها!... فمن أين أتوا بفيض العبر الإنسانية والأخلاقية التي ما يزالون يعمّمون مفاهيمها ويروّجون لها في مختلف المناسبات على أنها إلهية المصدر ومن كتاب مقدس اسمه التوراة؟...

ما هي معايير الألوهة التي اعتمدوها في تقييم الرب التوراتي وهم المؤمنون بإله واحد ضابط الكل؟

وفي سياق اندفاعهم الايماني تطل الثقافة البابلية الانسانية فلا يشعرون بها، وينسون صفات الرب العبري فيخلطون بينه وبين رب المفاهيم البابلية فإذا بهذا الرب يصبح رحوماً. شفوقاً وها هو يقول ليونان يوم رآه حزيناً حتى الموت على خروعة يبست ليومها: «**لقد اشفقت انت لأجل الخروعة التي لم تتعب فيها ولم تربّها، التي نشأت بنت ليلة ثم هلكت بنت ليلة، أفلا اشفق انا على نينوى العظيمة التي فيها اكثر من اثني عشرة ربوة من اناس لا يعرفون، يمينهم عن شمالهم، ما عدا بهائم كثيرة**» يونان ٤: ١٠

فكيف تحوّل هذا الرب فجأة إلى رب رحيم ومسؤول؟

فهل هو نفسه رب سفر التكوين الذي لم يرحم آدم وحواء اللذين لم يكونا، يوم طردهما من جنته، ليميزا يمناهما عن يسراهما فغضب عليهما ولعن الارض بسببهما؟

وهل هو نفسه رب نوح التوراتي الذي اغرق الكون بطوفانه و لم يشفق على حيوانات الارض ومخلوقاتها فأُخذت جميعها بالطوفان على جريرة غيرها؟

أو هو رب لوطٍ الذي احرق سدوم وعمورة بالنار والكبريت وبلا شفقة أو رحمة وأُخذ فيها الصغير بذنب الكبير؟

أو هو رب يعقوب الذي طرد شعوب المنطقة وأباح ارضها ولا يزال؟

أو ليس هو رب موسى: الساحر المخادع والمحارب؟

أو ليس هو رب الأنبياء، ايليا، يشوع، عـزرا، نحميـا، اشـعيا، ارميـا، باروك، حزقيال، دانيال، يوئيل، عاموس، عوبديـا، ميخـا، حبـوق، صفنيـا، حجّازي، زكريا وملاخي مع جميع ابطالهم؟

أو ليس هو نفسه رب قضاة التوراة وملوكها؟

وهل رب يوحنا اللاهوتي في سفر رؤياه يختلف كثيراً عن رب هؤلاء الانبياء والقضاة والملوك وبقية ابطال التوراة؟

هذا الرب التوراتي الـذي يقـول فيـه نبيّـه نحـوم: **«الـرب إلـه غيـور ومنتقم. الرب منتقم وذو غضب. الرب منتقم من مقاوميه وحـاقد على اعدائه»** نحوم ١: ٢

والذي يقول لنبيّه هوشع: **«انطلق فاتخذ لك امرأة زنى واولاد زنى، فان الارض تزنى زنىً عن الرب»** هوشع ١: ٢

هل تغيّر هذا الرب منذ كتابة التوراة وحتى اليوم؟

هذا الرب، هل يفهمه آباء الكنيسة المحترمون، على حقيقته؟

هذا الرب، هل هو رب جميع ابطال التوراة ورب جميع انبيائها؟

أو هم اربابه؟

من هو صنيعة الآخر؟

ومن هو صورة الآخر؟

واي صورة للخير يعكسها الواحد عن الآخر؟

وما علاقة هذا الرب التوراتي بالرب الكوني: الواحد الضابط الكل، خالق السموات والارض، الإله الكامل العادل، الواحد الأحد، الواحد الصمد؟

وما علاقة المفاهيم التوراتية بالمفاهيم المسيحية؟

واي رابط مشترك يجمع بينهما خلا تلك الومضات الموجودة في اسفار: الامثال، الجامعة، الحكمة، يشوع بن سيراخ ويونان المنحولة عن الحضارات السومرية والكلدانية والبابلية والمصرية؟

ولماذا الاستمرار بالتبشير بها الى جانب المسيحية؟

ولماذا الاستمرار بدسّها ككتاب مقدس إلى جانب الكتب المقدسة؟

وكيف نوفق بين كونية تعاليم يسوع المسيح التي تدعو إلى وحدانية الله ووحدة الانسان ووحدة الكون وبين عنصرية التعاليم التوراتية التي تقول بالإله الخاص وبالأرض المقدسة المخصصة للشعب المختار؟

اقرأوا التوراة، أيا تكن طبعتها ولغتها، تمعّنوا فيها وادرسوا مرامي افكارها وحللوا رموزها وأسألوا انفسكم بعدها: أين أوجه القداسة بكل ما ورد فيها؟

وهل الإله التوراتي الذي يأمر بالزنى، وتزني الارض كلها لمرضاته هو نفسه الذي تؤمنون به وهل يمكن ان يكون هو نفسه رب العالمين اجمعين، الواحد العادل الكامل؟

فإذا لم يكن كذلك فأين موقعكم منه ولستم من شعبه المختار؟

بل ما هو موقعه منكم وانتم من الأمم؟

فما دام لهذا الإله شعبه الخاص فما حاجته لخلقه بقية الشعوب؟

كان عليه ألا يخلقها فتصبح الارض كلها حيئذ مقدسة وللشعب المختار وحده يتنعم بها دون وجود منافس له عليها...

وبذلك يكون قد أراح شعبه من الحروب، واستراح هو بدوره من المحاربة عنهم أو تقديم النصائح الحربية لهم!...

فكرة شعب الله المختار، وفكرة المسيح الذي لم يأت إلا لأجل خراف اسرائيل الضالة، ألا تضعفان من مشيئة الله؟ ألا تحجمانه وتصغرانه؟ ألا تنقصان من شمولية ملكوته؟

فإلى متى نستمر في تمثيل دور النعامة؟

وإلى متى تستمر غفلتنا العقلية فنقبل أن يكرز علينا بتوراتيات لا تعني إلا من يؤمن بها!

ما دامت هذه التوراة تخلو من مكارم الاخلاق ومن مفاهيم المثل السامية التي تبشر بها المسيحية ويدعو اليها الإسلام وتتسامى اليها أفكار هرمس وارسطو وافلاطون وكريشنا ولاوتسي وطاغور وبوذا ورامبا وتيار دو شاردان واخوان الصفا والحلاج وابن عربي وغيرهم وغيرهم من معلمي الفضيلة ودعاة الخير والمحبة عند كافة الشعوب في مختلف الازمان والحقبات، فلماذا الاستمرار بالتبشير بتعاليمها العنصرية والكون قد اصبح على قاب قوسين من وحدته الكونية؟

فهل يعني تكريس قداستها والاستمرار بالتبشير بها غير التعمية عن الإيمان بالإله الحقيقي رب العالمين أجمعين، لإثبات ربوبية الإله التوراتي وتقديس خططه والخضوع لمشيئة افكاره في تثبيت القدم اليهودية على الارض وعلى رقاب بقية الشعوب وبحماية النظام العالمي الجديد الذي هيأته التوراة وأعدته منذ وضعها وقد أتى زمانه واقترب؟

أما آن للعقل ان يستيقظ!؟...

أما آن للوعي أن يسأل؟!...

يقول قائل ان هذه التوراة مدسوسة ومزيفة فأين هي التوراة المقدسة التي نتوخاها والتي تتحدث عن الله الأحد العادل الكامل رب الكون كله بلا تفرقة؟

فإن كانت موجودة فليقل لنا أي هي؟

ومن يخبئها؟

ولماذا يخبئها؟

أضناً على ما فيها من اسرار أم خجلاً لما فيها؟

وهل تخبأ الحقيقة؟

وهل يوضع السراج تحت المشكاة أو فوقها؟

فما دامت هذه التوراة المتداولة، وبجميع طبعاتها، قد اصبحت موضعاً للطعن وللشك وللنقد، فلماذا لا يزاح الستار عن التوراة الحقيقية، ان كانت بالفعل موجودة، فَتُعلَن ونُعلِن، وامثالنا، توبتنا وندمنا وايماننا بها وبقداسة ما جاء بها؟

فما دامت هذه التوراة غير موجودة الا في الفكر المثالي او في فكر من يتوخى القداسة في الكتب، فإن التوراة المتداولة في جميع الكنائس نعتبرها هي الكتاب الذي تدعي الكنيسة قداسته وترتكز عليه في جميع تعاليمها وكرازتها وتبشيرها نشراً وامتداداً لليهودية في جوهر الدين المسيحي حتى لقد أصبح هذا الدين يهودية متجددة، أخذت من جوهر المثل المسيحية الرداء الذي يكفل ديمومتها ويسمح لها بالتالي من التغلغل الى عمق الايمان المسيحي ومن ثم تفتيته وتقسيمه الى مئات الشيع والمذاهب، فتضعف هذه المسيحية وتأكل نفسها بنفسها وتبقى اليهودية!...

في ٨ نيسان ١٥٤٦، في اثناء انعقاد مجمع ترانت TRENTE الذي دام من ١٥٤٥-١٥٦٣، أعلِنَ ضم التوراة إلى الانجيل واعتُرِف بها ككتاب مقدس. فهل القرون الستة عشر التي سبقت هذا المجمع كانت على خطأ، وهي الأقرب للينبوع، أو أن قرارات هذا المجمع وامثاله هي الخاطئة؟.

المسيحية اليوم، هي بحاجة لحبرٍ، بطلٍ، عظيم، يقوم بالدعوة إلى عقد مجمع يعيد للمسيحية صفاء التعليم وطهارة الممارسة، فيحررها من الالتزامات اليهودية الهادفة إلى توثينها والغائها كدين مثالي، طوباوي تعيشه الانسانية كلها، لانه يمثل لها قيم الخير والاخلاق والمحبة والسلام.

اليهودية الجديدة

إبتداء من اليوم الذي بدأ فيـه النـاس يؤمنـون بتعـاليم يسـوع المسيح كثرت حلقات الأتباع وكبر الإيمان بالمثل السامية الجديدة، خافت اليهوديـة على ذاتها فحاولت التصدي لتلك التعاليم بمختلف الوسـائل. ولما احسّت بالعجز أمام صمود الإيمان بالمذهب الجديد كان القـرار بـالدخول إلى عمـق المسيحية وتفجيرها من الداخل إن كان ذلـك مستطاعاً والا فغـرس الفكـر اليهودي في المثل والتعاليم الجديدة النامية.

وهكذا فإن التلاميذ وكتّاب الاناجيل والرسل وجميعهم من اليهود تقريباً وعوا هذه المهمة فكان همهـم مـن كتابـة الانـاجيل والسِيَر تجذير اليهوديـة في الدين المسيحي انطلاقاً من تهويد يسـوع المسيح ولادة ونشـأة وتعليمـاً، انتهـاء بنشر التعاليم وتحويلها من أممية شاملة إلى يهودية عنصرية متحددة.

فمتى، في إنجيله، يحـاول، أثنـاء سـرده لقصـة ولادة يسـوع المسيح، إثبات إنتمائه إلى بيـت داود وحصـر غايـة بحيثـه لأحـل الشـعب اليهـودي:

«كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن ابراهيم بن اسـحق بـن يعقـوب الذي ولـد... يوسـف رجـل مريـم الـتي ولـد منهـا يسـوع الـذي يدعـى المسيح.» متى الاصحاح الاول ١–٦

وفي قصـة وصـول المجـوس ولقـائهم مـع الملـك هـيرودس إسـهاب تفصيلي، هدفه ولادة ملك اليهود. فبعد سؤال هيرودس لكل رؤساء الكهنة

وكتبة الشعب عن ولادة المسيح كان الجواب واحداً «**في بيت لحم اليهودية لأنه مكتوب بالنبي: وانت يا بيت لحم اليهودية لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبّر يرعى شعبي: اسرائيل**» متى الاول ٢-٥

وفي سرد قصة الحلم الذي ظهر فيه الملاك ليوسف وهو في مصر لدى موت هيرودس. «**قم وخذ الصبي وامه واذهب الى ارض اسرائيل**»متى ٢:٢٠

ولا يكتفي متى بمحاولة نسب المسيح الى داود بل يروي سيرة يسوع بشكل يتعمد فيه اظهار يهوديته. ففي نداء الكرازة الذي وجهه للتلاميذ يقول لهم: «**اذهبوا الى خراف بيت اسرائيل الضالة**» متى ١٠: ٦ وعندما صرخت المرأة الكنعانية مستغيثة به للإنقاذ: «**ارحمني يا ابن داود**». أراد متى أن يثبت للعالم أن الكنعانيين وغيرهم من الشعوب يعرفون أن هذا المسيح هو من عرقية يهودية أصيلة فيُنطِقه بشكل يثبت عنصريته: «**لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة**» متى ١٥: ٢٤

«**ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب**» متى ١٥: ٢٦

وكان متى يشدد في سرد وقائع السيرة على ذكر آباء اليهود كآباء للمسيح وكأبناء مختارين لله ومفضلين عنده!

«**كثيرون سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات**» متى ٨: ١١

علاوة على ان الامثال التي أوردها متى على لسان يسوع تثبت

نفسية الشعب اليهودي في علاقته مع نفسه ومع الاخرين وبالتالي تكون مناقضة لتعاليمه الحقيقية التي بشّر فيها.

وكما حاول متى، كذلك فعل لوقا في انجيله، ليثبت النسب اليهودي ليسوع وبشكل مسهب وتفصيلي فيذكر لوقا البشارة لمريم بشكل ملفت للإنتباه حول تبعية المولود للمملكة اليهودية:

«سلام لك ايتها المنعم عليك... هذا يكون عظيماً وإبن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية» لوقا ١: ٢٨-٣٣

ثم يردف لوقا محاولاً اثبات العرقية اليهودية في يسوع على لسان مريم عند قناعتها بقدسية ما حملت به: **«عضد اسرائيل فتاه ليذكر رحمة، كما كلم أباءنا لابراهيم ونسله الى الابد»** لوقا ١: ٤٦-٥٥ كما يذكر لوقا على لسان زكريا الكاهن والد يوحنا اقوالاً، الهدف منها اثبات افضلية الشعب اليهودي عند الله وتخصيصه لهم بالوعد **«...مبارك الرب اله اسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه... ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكر عبيده عهده المقدس. القسم الذي حلف لابراهيم أبينا أن يعطينا أننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا...»** لوقا ١:(٦٨-٨٠)

وفي أورشليم، لدى تعرّف سمعان على الطفل يسوع، وكان ينتظر تعزية اسرائيل، صرخ مبتهجاً بعد أن أخذ الطفل بين ذراعيه وبارك الله

قائلاً: «الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عينيّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدّام وجه جميع الشعوب نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل» لوقا ٢:(٢٥-٣٢)

وقبل أن يندفع لوقا كثيراً في سرد وقائع حياة يسوع يعود ليذكّر بأصله فيسلسل تولّده في جميع الأجيال ليعود به إلى آدم مروراً بجميع أسماء الآباء من اليهود. لوقا ٣:(٢٣-٣٨)

من الملاحظ ان الاصرار على نسب يسوع إلى داود إنما هو مقصود وهادف. فاليهود في توراتهم ومن خلال أنبيائهم كانوا ينتظرون مجيء المسيح الملك المنقذ الذي يبيد أعداءهم ويحقق حلم أرض الميعاد، فيكونون شعبه الخاص ويكون مسيحهم الخاص أيضاً. فإذا بيسوع الذي أتى رافضاً للملك الأرضي وقَدِمَ أورشليم على جحش ابن اتان وبيده غصن زيتون يبشّر بالمحبة للجميع وعلى عكس ما كانوا يتوقّعونه ملكاً على حصان ناري وبيده مدفع أو رشاش أو سيف متوهّج يقطر دماً على أقلّ تقدير.

فيسوع الذي بشّر به الملاك إنما هو مسيح أممّي لكل الشعوب دون تفرقة. هو محبة شمولية دون تمييز، وتسامح كوني لا حدود له.

هذا المسيح روح الله وكلمته إلى مريم خيّب أملهم، وكانت نكبتهم بمجيئه وبتبشيره أكبر من أية نكبة أصابتهم عبر أجيالهم. فالمسيح هذا إنما نعمة الله لمريم ولا علاقة لبشري بمجيئه. فهو

ليس من صلب أي إنسان. ولا علاقة لزرع بشريّ أيا نوعه وأصله بولادته، مهما حاولت اليهودية ومن دار في فلكها من الشيع، ان تسلسل من أجيال وتسمي من أسماء.

فلو كان يسوع المسيح من صلب بشر فلا حاجة للملاك لن يأتي مريم ليبشّرها بالمولود العظيم ولما كانت لمريم هذه الميزة على غيرها من نساء الكون كله.

ويذكر لوقا الوقائع التي سردها متى لنفس الغاية ولكن يبدو أنه كان أكثر غيرة على اليهودية من متى ففي الاصحاح السابع يذكر قصة عبد قائد المئة الذي أتى شيوخ اليهود إلى يسوع يتشفعون له ليشفيه: «...**فلما جاؤوا إلى يسوع طلبوا إليه باجتهاد قائلين انه مستحق أن يفعل به هذا لأنه يحب أمتنا وهو بنى لنا المجمع. فذهب يسوع معهم...**» لوقا ٧:(٢-١٠)

ويتابع لوقا في جميع فصوله تبيان الأخلاق اليهودية ويظهر الفلسفة الإيمانية اليهودية من خلال نسبها لأقوال أو لأفعال يسوع أثناء حياته فيبدو بالنتيجة يهودياً عنصرياً كغيره من الآباء ويحصر عمله وقيمته وعطاءه في الشعب اليهودي وحده.

أما مرقس فلم يذكر شيئاً عن ولادة يسوع واستعرض سيرة حياته بشكل موجز و لم يركز على يهوديته في النسب وإنما ذكر في معرض السرد قصة لقاء يسوع مع المرأة الاممية الفنيقية السورية وروى قصصاً وأخباراً يدور بعضها حول إثبات وثنية الإيمان التوراتي وامتداده في القصص إلى

الدين المسيحي من خلال ما جاء على لسان متى ولوقا ومرقس. ثم جاء يوحنا الذي استعرض في انجيله حياة يسوع ابتداء من اعتماده على يد يوحنا، فلم يغفل ذكر القصص والأمثال ذات الفحوى التوراتي كما أثبت إنتماءه لليهودية. «... **ورأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه فقال عنه هوذا إسرائيل حقاً لا غش فيه»** يوحنا ١:٤٧

ويجيبه نثنائيل معبراً عن رأي العامة والخاصة: «**يا معلّم أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل.»** يوحنا ١:٤٩

وعند مدينة سوخار في السامرة يلتقي يسوع عند بئر الماء بإمرأة جاءت تستقي ودار بينهما حوار ضمّنه يوحنا كلمات تظهر عودة المسيح إلى عمق اليهودية:

«**أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. أما نحن فنسجد لما نعلم لأن الخلاص هو من اليهود.»** يوحنا ١٢–١٣

وفي عيد الفطر استقبلته الجماهير هاتفة: «**مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل»** يوحنا ١٢:١٣

«**ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب: لا تخافي يا إبنة صهيون هوذا ملكك يأتي جالساً على جحش اتان.»** يوحنا ١٢:١٤

من الملاحظ لدى التدقيق في قراءة جميع الأناجيل أن كتّابها ذكروا قصص الشياطين ورووا أمثالاً تنطبق تماماً على حقيقة الفكر اليهودي وتناقض تماماً الفكر والفلسفة اللذين بشّر بهما يسوع، وحاول الكتاب

الأربعة التركيز على إنتماء يسوع إلى الأصل اليهودي وبالتحديد إلى داود **في حين أنه نفسه، أي يسوع لم يأتِ مرة واحدة على ذكر حسبه ونسبه.**

و لم تنتهِ قصة يسوع على الصليب، فالقسم من اليهود الذين كانوا ينتظرونه ملكاً يعيد العظمة لإسرائيل أُحبطت آمالهم بصلبه فارتدوا إلى إيمانهم العتيق، والقسم الآخر منهم الذين وجدوا في تعاليمه نموذجاً من المثالية العالية بقوا على إيمانهم فيه فكوّنوا مع الاممين نواة المسيحية الأولى التي بدأت تنتشر وتنمو بشكل أخاف اليهود على عقيدتهم والرومان على أسس امبراطوريتهم. وانتظم الخائفون في الهجوم على المسيحية المثالية فكان هذا الانتشار الرد الجماهيري على رفض الواقع: الدكتاتورية الرومانية وممارستها اللاأخلاقية من ناحية والايمان التوراتي اليهودي العنصري من ناحية أخرى.

وتظهر الروح المادية اليهودية واضحة من خلال القصص التي ذكرها أكثر كتّاب الأناجيل. فقصّة لقاء الشيطان ليسوع وتجربته له، ثم قصة طلب الشياطين منه في كورة الجدريين أن يسمح لهم بالدخول في قطيع الخنازير، وقد استجاب، فاندفع القطيع إلى الجرف فغرق، وغيرها من القصص الخرافية حيث يكثر ذكر الشياطين بشكل ملفت للانتباه يعيدنا بالذاكرة إلى العهد الوثني اليوناني حيث الصراع بين آلهة الشر وآلهة الخير.

وقصة المسافر الذي أعطى عبيده قبل سفره وزنات للمتاجرة بها، إذ لدى عودته بارك من تاجر وربح دون أن يسأله عن وسيلة ربحه، ولعن من

لم يتاجر، فهي تمثل حقيقة الرجل اليهودي الجشع ولا تَقْرُبُ أبداً من فلسفة يسوع الذي دعا إلى الزهد بالدنيا وإلى احتقار المال وعدم السعي إليه.

وقصة شك يوحنا المعمدان بشخصية يسوع مع انه الرجل الوحيد الذي عايشه ورأى وسمع ولمس وأحسّ بعظمته وحقيقته إذ لدى تعميده له انشقّت السماء ونزل الروح القدس عليه مثل حمامة وسُمع صوت من السماء يقول: أنت هو ابني الحبيب الذي به سررت. فكيف يشك يوحنا به وكيف يرسل تلميذيه يسألانه أأنت هو أم ننتظر آخر؟

وقصة حمل بطرس للسيف على الرغم من تعاليم يسوع اللاعنفية، إلا تمثل تمرداً على تلك التعاليم والشك بها؟

وقصة تنكّر بطرس له كما تنكّر له الآخرون في عدة مناسبات فتخلّوا عنه وتركوه يذهب وحيداً بصليبه إلى جلجلة آلامه ألا تضعف من حقيقة ما آمن به هؤلاء الاتباع؟ ألا يثير الشك بشخصية ذلك المعلم وبكل ما اتاه من خوارق؟

وقصة غضب يسوع في بيت عنيا من التينة التي لم يجد عليها ثمراً في غير أوانه ألا تثير شبهه حول الحكمة التي كان يدعو للتمسك بها؟!... فلو كانت تلك القصة حقيقية لما أيبس التينة فأتعس صاحبها، بل كان أفاض عليها الخير من ذاته فأثمرت قبل أوانها.

هذه السرديات اليهودية الهادفة إلى إضعاف المسيحية من خلال بث الشك في جوهر المبادئ ومن خلال التناقض في تفسير المواقف، لم تُذكر في

الأناجيل عبثاً، و لم يحاول أحد من الائمة حذفها وذلك تخفيفاً لوهج المثالية المسيحية الناشئة وقد صدق قول يسوع فيهم: **«ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة فما دخلتم أنتم ولا سمحتم لغيركم بالدخول.»** لوقا ١١:٢٥

وفي الفترة الممتدة بين الحرب السبعينية وآخر القرن الميلادي الأول ظهرت في النصرانية بوادر بذور الشقاق التي بذرتها اليهودية فيها، مما أدى إلى ظهور حركتين على طرفي نقيض: الايبونية التي تميل إلى تهويد المسيحية من خلال صوفيه التعاليم، والحركة الكيرنثية التي تميل إلى العقلانية بتسليط الغنوصية عليها. وبناء عليه كتب يهوذا أخو سمعان الذي تسلم رئاسة الكنيسة (٦٢-١٠٢ ب.م.) بعد موت أخيه يعقوب، ينبّه المؤمنين: ... **«لأنه دخل خلسة أناس قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة، منافقون يحولون نعمة إلهنا إلى دعارة وينكرون السيد الأوحد ربنا يسوع المسيح»** يهوذا (١-٤)

وآخر صحابة يسوع انتقالاً إلى الرفيق الأعلى كان يوحنا الرسول في آخر القرن الميلادي الأول، وكان قد شهد بداية الخلاف الذي بثته اليهودية بنجاح في قلب التعاليم المسيحية فبلبلت الفكر والمعتقد، فكتب إنجيله ثم كتب سفر الرؤيا في بيئة تحكمت فيها الغنوص الهلنستية واليهودية وما بينهما و لم يشأ أن يتطرق إلى قصة الولادة وكل ما ذكره عنها: كان موشى

بالفكر الفلسفي اليوناني والهندوسي: **«والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده كما لوحيد من الآب مملؤاً نعمة وحقاً».**

وفي رؤياه التي كتبها في جزيرة بطمس، استعادت اليهودية بريق تنبوءات حزقيال وارميا واشعيا، وأعيدت للإله التوراتي الصفات الوثنية وأحيط يسوع بأضواء المينورا أو الشمعدان السباعي اللهب، وحُمّل السيف والصولجان وأصبح الملك الذي كانت تحلم به اليهودية منذ نشأتها: يعيد الملك لها ويسحق أعداءها ويبيد الأمم من حولها!

وبكلمة واحدة قلب يوحنا، برؤياه، الطاولة على المثالية المسيحية، وأمات يسوع المحبة، والسلام، ليحيي مسيح التوراة: المسيح الوثن الملطّخ بالدم.

واحتدم الجدال والصراع بين النصارى اليهود بزعامة يعقوب أسقف أورشليم وبين المسيحيين الآخرين بزعامة بولس وبرنابا وكان مركز نشاط المتهودين ممارسة في أورشليم ومركز المتهودين تعليماً وتفسيراً في انطاكية وقد أغفل كلا الفريقين ممارسة الفضائل المسيحية، وتلهوا عنها، بفضل التدخل اليهودي، بالتفسير والغوص في خلفيات الإيمان والعودة به إلى الاصول.

وانعقد المجمع المسكوني الأول في تاريخ الكنيسة سنة ٤٩ ميلادية ليثبت الخلاف وليكرس نجاح اليهودية في شقّ المسيحية وتحويلها عن عظمة التعليم إلى سفسطائية الكلام: **«نهض قوم من الذين آمنوا وهم من**

الفريسيين وقالوا انه يجب أن يختن الاميون ويؤمروا بإقامة شريعة موسى»
أعمال ١٥:٥

وفي مطلع الجلسة الأولى جرت مباحثة عظيمة فحسم بطرس زعيم الرسل الجدال وأفتى بتحرير المسيحيين من غير اليهود من شريعة موسى. وهكذا كرس اليهود وجودهم داخل المعتقد المسيحي يحتمون ببريقه ويقيمون شعائرهم التوراتية القديمة من خلال تسميتهم الجديدة. ثم جرت محاولات للتعايش السلمي بين أهل الختان من النصارى اليهود وبين المسيحيين من الأمم، لأن اليهود المتنصرين لغاية في نفوسهم، فقد ظلوا بسبب رواسب قوميتهم التوراتية يأنفون من معاشرة غير المختونين وإن كانوا ظاهرياً على إيمان واحد معهم بالمسيح وبالانجيل.

وتوسط يعقوب بالامر وانعقدت جلسة ثانية للمجمع المسكوني وخطب فيها زعيم النصارى: **«أيها الأخوة الرجال، إسمعوا لي، لقد أخبر سمعان "الاسم الارامي لبطرس" كيف افتقد الله الأمم منذ البدء ليتخذ منهم شعباً لاسمه. وفي هذا تتفق أقوال الأنبياء» ... «لذلك أرى أن لا يثقل على من يرجع إلى الله من الأمم. إن ما يرسم لهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والفحشاء والمخنوق والدم. فإن موسى، منذ الأجيال القديمة، له في كل مدينة دعاته يتلونه في المجامع كل سبت»**.

فوافق المجمع على هذا الحل الوسط الذي يسهّل التعايش بين الفريقين وكتبوا بذلك يبلغون إنطاكية: **«لقد رأى الروح القدس ونحن ان لا**

نحملكم أصراً فوق هذه التي لا بد منها: أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم وعن المخنوق وعن الفحشاء، إذا صنتم أنفسكم عنها، فنعماً تفعلون. والسلام عليكم.» أعمال ١٥:(١٣-٣٠)

و لم يتطرق المجمع إلى بحث قضية التغلغل اليهودي في الإيمان المسيحي وخطره المستقبلي على ذلك الايمان مما أتاح الفرصة للفلاسفة اليهود أن يتحكموا من نحر المسيحية فحوّلوها إلى عنصرية جديدة إذ أبدل اسم شعب ا لله المختار بإسم شعب الله المخلص، وأبدل ختان الغرلة بختان المعمودية. فهوذا يعقوب يصرح كما صرح أسلافه بأن الله اختارهم شعباً لاسمه. مكرّساً بذلك نشوء عنصرية جديدة على كتف العنصرية القديمة.

وتشدد البعض من قادة الفكر المسيحي المتهود في الدعوة إلى العنصرية الجديدة بالارتكاز على قول منسوب إلى المسيح: **«من لم يعتمد بإسم الآب والابن والروح القدس لن يرى ملكوت السماوات»**

فأين موقع أمثال السامري الصالح الموجودين عند مختلف الأديان وفي سائر الأمم من هذا الملكوت؟

هل هذا الملكوت هو حصري لمن يعتمد فقط؟

وهل العماد هو مفتاح السماء؟ هل به فقط يتم الخلاص؟ وتتم بواسطته رؤية الملكوت؟ فيكون المسيحيون المعتمدون وحدهم أبناء الملكوت كما كان اليهود بواسطة الختان ابناء لله؟ أليست هذه عنصرية جديدة إلى جانب العنصرية اليهودية؟

وهل للعماد الذي كان يمارس قبل المسيحية، عند كثير من الشعوب، في فلسطين ومصر والهند، نفس الفاعلية في التقرب من الملكوت؟

وهل كان عماد يسوع على يد يوحنا، باسم الآب والابن والروح القدس؟

أين مصير ملايين المؤمنين وغير المؤمنين الصالحين من أبناء البشر؟ هل هم خارج هذا الملكوت؟ أبناء من هم، هؤلاء؟

المناقبية المسيحية الحقيقية التي جاء يسوع يبشّر بها لا تدعو إطلاقاً لمثل هذه العنصرية، فالمثل المسيحية التي عاشها وعلّمها هي لجميع الشعوب دون تمييز بينهم، إذ يستطيع المسلم واليهودي والبوذي والوثني وكل كائن بشري أن يحيا هذه المثل دون أن يشعر بغربتها ودون أن يشعر بميزة على سواه ممن يحياها.

وللحفاظ على موقعهم المميز في المجتمع باعتبار انهم شعب الله المختار، انخرط بعض اليهود في الدين الجديد وتسلّموا دفة الفكر فيه مما أتاح لهم، وهم أصحاب تخطيط، أن يحولوا أفكار هذا الدين التوحيدي المطلق، إلى شعائر وممارسات تستمر من خلالهما العنصرية اليهودية في النمو على حساب هذا الدين بحيث تبقى هي ويضمحلّ هو ويتلاشى أو يتحوّل إلى شكل من الأشكال التي أرادتها له.

من هذا المنطلق كان إعداد بولس ليتسلم زعامة الأمميين فتستطيع اليهودية السيطرة على كافة أجنحة هذا الدين الذي ينهي وجودها إن طبّق بحذافير ما جاء في جوهر تعاليمه.

فبولس هذا، الذي سمته الكنيسة رسول الامم، على الرغم من اعتداله الظاهري، لم يتخل لحظة عن يهوديته، وإنما كان ذا فكر فريسي هادىء يعمل بتنظيم بارد،ومن الداخل، لاحداث الإنقسام المرجو داخل الدين المسيحي ولإيصال الفكرة اليهودية حتى آخرها الى سائر خلايا هذا الدين.

والمراقب البصير لتاريخ الكنيسة يستطيع أن يرى مدى تأثير اليهودية ليس على عديد المؤمنين من الأمميين فقط بل على قادة المسيحيين أنفسهم. فبطرس في تجواله على الكنائس ولدى وصوله الى انطاكية كان يخالط الأمميين غير المختونين ويؤاكلهم ويستضيفهم فلامه يعقوب على مخالطة هؤلاء غير المختونين وإن كانوا مسيحيين فامتثل لهم حسماً للنزاع **«...وأخذ ينسل ويتنحى خوفاً من أهل الختان وتظاهر معه سائر اليهود أيضاً وانجر برنابا أيضاً لتظاهرهم.»**

واستفانوس شهيد المسيحية الأول لم ينس لحظة يهوديته ووعد الله لشعبه في أرض الميعاد و لم يكن استشهاده لإيمانه بالعقيدة المسيحية وإنما لأنه من خلال ممارسته لها كان يدعو الى يهودية مسيحية جديدة تزيل بعض شعائر اليهودية القديمة. فهو من خلال معتقده بالمثل المسيحية حاول ممارسة اليهودية الاسينية بالدعوة الى اسقاط بعض أوجه الممارسة الوثنية التي كانت تمارس في اليهودية لذلك اعتبر منشقاً فرجم ومات شهيداً.

فيسوع عند بطرس ويعقوب واستفانوس وبولس ليس التعاليم التي تنهي العنصرية اليهودية، ولكنه الملك المسيح الآتي ومن سبط داود بالذات

ليكمل الناموس وليعيد المجد اليهودي على جميع الأمم فيثبت الوعد التوراتي به.

فالخلافات بين اليهود فيما بينهم أو خلافاتهم مع من آمن بالمثل المسيحية الناشئة لم يكن خلافاً ابداً حول حقيقة الوعد التوراتي، وإنما كان خلافاً على الطرق المثبتة لهذا الوعد.

فاستفانوس وغيرهم من الأفاضل الذين آمنوا بالمثالية المسيحية وأرادوها داخل دينهم وليست خارجه، سببت اصطدامهم مع ممثلي الأصولية في الدين اليهودي المتزمت فكان الاستشهاد.

وبولس كاستفانوس حاول إدخال المثالية المسيحية إلى الدين اليهودي، ودمجها فيه فلا تبدو كدين جديد يهدد كيانه بالزوال وإنما متمم ومكمل له. ففي جميع مراحل إيمانه لم يستطع بولس التخلي عن هذا الهدف وكان يمالىء اليهود وقد ختن تلميذه تيموثاوس ارضاء لهم. **«...ثم وصل إلى دربة ولسترة وإذا تلميذ، كان هنا، اسمه تيموثاوس ابن إمرأة يهودية مؤمنة لكن أباه يوناني. كان مشهوداً له من الإخوة الذين في لسترة وأيقونية، فأراد بولس أن يخرج هذا معه فأخذه وختنه من أجل اليهود الذين في تلك الأماكن لأن الجميع كانوا يعرفون أباه انه يوناني»** أعمال ١٦:(١-٣)

بولس، رسول الأمم، الذي ترتكز عليه المسيحية معتمدة على كل حركة من حركاته ومؤمنة بكل كلمة يقولها، تراه يسقط في التجربة الأولى

اذ لم يجرؤ أن يخرج مع يوناني ابن يهودية مؤمنة، فختنه!. فهل كان هذا الختن إثباتاً لمسيحية تيموثاوس أو إعادة لهذا الفتى المثالي إلى أحضان اليهودية، ولكن بطريقة ذكية؟!... فلقد ساقه إلى الوثوق به والايمان بكلامه ومن ثم أعاده إلى شكل من أشكال اليهودية يُسخّره فيما بعد لتحقيق أهدافها؟.

فرسول الأمم كان يؤمن بيسوع لأنه من نسل داود وعليه وبه فقط يتحقق ما جاء بالأنبياء! ففي انطاكية بيسيدية يوم السبت في المجمع يقول: **«...أيها الرجال الاسرائيليون والذين يتقون الله إسمعوا: إله شعب إسرائيل هذا إختار آباءنا ورفع الشعب في الغربة في أرض مصر. وبذراع مرتفعة أخرجهم منها، ونحو مدة أربعين سنة احتمل عوائدهم في البرية. ثم أهلك سبع أمم في أرض كنعان وقسم لهم أرضهم بالقرعة. وبعد ذلك في نحو أربع مئة وخمسين سنة أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبي. ومن ثم طلبوا ملكاً فأعطاهم الله شاول بن قيس من سبط بنيامين أربعين سنة. ثم عزله وأقام لهم داود ملكاً الذي شهد له أيضاً إذ قال وجدت داود بن يسّى رجلاً حسب قلبي الذي سيصنع كل مشيئتي، من نسل هذا حسب الوعد أقام الله لإسرائيل مخلصاً يسوع»** أعمال ١٣:(١٦-٢٣)

أيّ فرق بين هذا الله الذي يؤمن به بولس وبين الإله التوراتي الذي آمن به جميع أبطال التوراة؟ أليس هو نفسه الذي يبيد الأمم ويقسّم أراضيها ليعطيها لشعبه المختار؟!...

والمسيح الذي يدعو بولس للإيمـان بـه ليـس إلا امتـداداً لذلـك الإلـه التوراتي وتحقيقاً لوعده لهم بإرساله لإنقاذهم وتمليكهم على العالم!.

فلو كان المسيح على غير سبط داود فهل كان بولس يؤمن به وبرسالته وبمثله؟!...

هل يؤمن بولس بكونية يسوع المسيح وبمثله، فيتساوى اليهودي مع الاممي، فتزول الفروقات بين الأمم ويصبح الشعب اليهودي كغيره من الشعوب، له حق العيش على هذه الأرض دون أية ميّزة خاصة عند الله فلا يخصّه بالأرض دون غيره؟!...

هل يقبل اليهودي أن يتساوى مع غيره من شعوب الكون في البنوّة عند الله؟

هل يقبل اليهودي أن يستجيب لدعوة يسوع: «أحبـوا أعداءكـم، بـاركوا لاعنيكـم، صلّـوا لأجـل المسيئين إليكـم» الـتي نقضـت التعـاليم اليهودية الموسوية التوراتية وقلبتها رأساً علـى عقـب إذ أزالـت جوهرهـا وهو وجود عدو دائـم يجـب محاربتـه وحـرق أملاكـه، وسـلب ممتلكاتـه، وزرع أرضه بالملح، وقتل ذكوره وسبي نسائه واقتلاعـه مـن أرضـه بُغيـة تملكها تحقيقاً للوعد التوراتي المزعوم؟

اليهودية دعت إلى محبـة القريـب: «أحبـب قريبـك كنفسـك» «لا تشتهِ إمـرأة قريبـك...» وهـي محبـة عنصريـة فيهـا مـن الجاهليـة الشـيء الكثير. أما دعوة يسوع إلى محبة العدو، فهي إلغاء للعداوة، وإمحاء للحقد

وإرتقاء بالفكر الانساني حتى مساواة الانسان للانسان، وبالتالي فهي إلغاء للفكر اليهودي من أساسه، وإبطال كل معتقدات التوراة التي تقوم على وجوب وجود عدو دائم للشعب اليهودي.

إن إزالة الحقد من الفكر البشري يعني عدم وجود عدو يثبت وجودك. فمتى زال عدوك، زال من يعترف بك. فوجود العدو في الفكر التوراتي هو مبرر لوجود الشعب الاسرائيلي. ومتى زالت الكراهية والحقد والعداوة زال مبرر وجود إسرائيل وزالت حاجتها للإله الذي أوجدته إذ ان وجود يهوه هو وجود عسكري ليس إلاّ، فمتى زال العدو، زالت الحاجة للإله التوراتي وزالت أفكار التوراة وانتهت عذابات الأمم.

وخشية انتشار تعاليم يسوع الانسانية وخشية الاندثار أو الضياع في الوحدة الكونية، اندسّ بولس في الصف المسيحي الأمامي يدّعي المحبة ظاهراً ويجاهر بأهمية الايمان، عاملاً بخفاء المدسوس وذكائه للعنصرية اليهودية.

فهو للمسيحية بقدر ما هي للفريسية اليهودية. والقاسم المشترك بينهما هو بعض الافكار الاسينية الاشتراكية والزهدية الطوباوية وإيمان الفريسية بالقيامة وبالحياة بعد الموت التي بشر بهما يسوع وبرع بولس، فيما بعد، بالدعوة إليهما!.

وبقدر ما يبشر بها فهو يقودها إلى مراعي اليهودية، وبقدر الذكاء والدهاء، اللذين يكرز بهما يكون المردود لليهودية وبذلك تكون المسيحية قد وقعت بالقبضة التوراتية فلا تستطيع بعدها الافلات.

ولكي يثبت بولس لليهود انه لم ينسهم و لم ينسَ وعده ونذره بربه نراه يذكرهم كي لا يكفّروه، بانه لن يخونهم، ويطلب منهم أن يمهلوه ولو قرون، إلى أيامنا، فيروا صحّة تفكيره وبُعد مخططاته. وما أخير الجنى المتأخر الذي كان!...

«... وأما بولس فلبث أيضاً أياماً كثيرة ثم ودّع الإخوة وسافر في البحر إلى سورية ومعه بريسكلا وأكيلا بعدما حلق رأسه في كنخريا لأنه كان عليه نذر. فأقبل إلى أفسس وتركهما هناك. وأما هو فدخل المجمع وحاج اليهود» أعمال ١٨:١٩

ومن سياق الرواية نسأل متى نذر بولس ولمن؟

وهل كان نذره في المسيحية؟ أو في يهوديته؟

بالطبع في يهوديته أثناء إعداده يوم كان يتلقى المبادئ في مجمع غملائيل ويوم نذر نفسه لقتل المسيحيين أو لتخريب المسيحية من الداخل أو بتحويلها إلى يهودية فريسية متجددة!...

فالنذر الحقيقي الذي لأجله حلق بولس رأسه في كنخريا لم يكن إلا لكي يثبت لليهود أنه لم يزل على العهد في تنفيذ المخططات التي أعدّ لها. فبعد حضوره الشخصي لرجم استيفانوس وبعد أن تكفل بملاحقة المسيحيين أينما وجدوا، فإنه لدى دخوله إلى أورشليم أنكر إيمانه بالخلاص بيسوع وارتد إلى أصوليته ومارس الشعائر التوراتية معلناً هدفه الحقيقي من الإيمان أمام الإخوة في أورشليم:

«... ولما وصلنا إلى اورشليم قبلنا الإخوة بفـرح. وفي الغد دخل بولس معنا إلى يعقوب وحضر جميع المشايخ فبعـد ما سلم عليهـم طفق يحدثهم شيئاً فشيئاً بكل ما فعله الله بين الأمم بواسطة خدمته. فلما سمعوا كانوا يمجدون الرب. وقالوا له أنت ترى أيها الأخ كم يوجـد ربـوة مـن اليهود الذين آمنوا وهم جميعاً غيورون للناموس. وقد أخبروا عنـك أنـك تعلّم جميع اليهود الذين بين الأمم الإرتداد عن موسـى قـائلاً أن لا يختنـوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد. فاذاً ماذا يكـون. لا بـد علـى كـل حال أن يجتمع الجمهور لأنهم سيسمعون إنك قد جئت فأفعل هذا الـذي نقول لك عندنا أربعة رجال عليهم نذر. خذ هؤلاء وتطهّر معهـم وأنفـق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع أن ليس شيء مما أخبروا عنـك بـل تسلك أنت أيضاً حافظاً للناموس. وأما من جهة الذيـن آمنـوا مـن الأمـم فأرسلنا نحن إليهم وحُكمنا أن لا يحفظوا شيئاً من ذلك سوى أن يحـافظوا على أنفسهم مما ذبح للأصنام ومن الدم والمخنـوق والزنـى. حينئـذ أخـذ بولس الرجال في الغـد وتطهّـر معهـم ودخـل الهيكـل مخبراً بكمـال أيـام التطهير إلى أن يقرب كل واحد منهم القربان» أعمال ٢١:(١٦-١٧)

وعبّر بولس عن موقفه الإيماني العتيق بقوله: «أيهـا الرجـال الأخـوة يسوغ أن يقال لكم جهاراً عن رئيس الآباء داود انه مـات وقـبره عندنـا حتى هذا اليوم، فإذا كان نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم أنـه مـن ثمـرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه» أعمال ٢:٢٩

وها هو يصرخ أمام المجمع ليعرف المجتمعين حقيقة دوره:

«أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كليكيا ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدباً عند رجليّ غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي...» أعمال ٢٢:٣

وفي مجمع أورشليم وأمام حنانيا يصرخ بولس فيقول **«...أيها الرجال الأخوة، أنا فريسي إبن فريسي وعلى رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم».** أعمال ٢٣:٦

وأمام الحاكم فيلكس يقول بولس: **«...ولكنني أقرّ لك بهذا انني حسب الطريق الذي يقولون له شيعة، هكذا أعبد إله آبائي مؤمناً بكل ما هو مكتوب في الناموس والانبياء ولي رجاء بالله في ما هم أيضاً ينتظرونه انه سوف تأتي قيامة الأموات الأبرار والأئمة، لذلك أيضاً أدرّب نفسي أيضاً ليكون لي دائماً ضمير بلا عسرة من نحو الله والناس وبعد سنين كثيرة جئت أصنع صداقات لأمتي وقرابين وفي ذلك وجدني متطهراً في الهيكل ليس مع جمع ولا مع شعب قوم هو يهود من آسيا... اني من أجل قيامة الأموات أحاكم منكم اليوم...»** أعمال ١٤-٢١

ثم يكشف بولس دوره السري متباهياً بتخفّيه وراء المظهر المسيحي:

«...لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الظاهر في اللحم ختاناً. بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي...» رومية ٢:(٢٨-٢٩)

وبفلسفة عميقة يصرّح: «**فإن كان قد قطع بعض الأغصان وأنت زيتونة برية طعمت فيها فصرت شريكاً في أصل الزيتونة ودسمها، فلا تفتخر على الأغصان، وإن افتخرت فأنت لست تحمل الأصل بل الأصل إيّاك يحمل.**» رومية ١١:(١٧-١٨)

ثم يكشف أخيراً بعضاً من أوراق مخطط العمل السري إذ يقول: «**...فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد...**» رومية ١٢:٤

من خلال القراءة الواعية لأقوال أئمة الكنيسة الأوائل وكتابها وفلاسفتها ومنظريها يظهر الدور اليهودي في كل صفحة كتبت، وفي كل كلمة قيلت وفي كل حركة اختلجت في صدور هؤلاء المؤمنين وكأن كل ذلك معدّ ومنسّق ومهيأ. فالخلاف الذي نشب في بداية عهد الكنيسة، ولم يزل، لم يكن خلافاً على المبادئ المسيحية السامية التي لم تأتِ على مثاليتها أية فلسفة سابقة أو لاحقة لها، بل كان خلافاً يهودياً بحتاً، ليس حول مبادئ الالتزام باليهودية، وإنما حول الوسيلة الصالحة لديمومة هذه اليهودية داخل بقية الأديان وفي مختلف التنظيمات السياسية والاجتماعية التي كانت في حينه أو التي تشكلت بعده، فظهر الوشم التوراتي واستمر إلى يومنا، أكان هذا الوشم عن يد يعقوب أم بولس أم غيرهما. فإسم الواشم لا يهم، إنما المهم أنه الوشم الذي أرادته اليهودية طمساً لقيم المسيح وتعاليمه الكونية التوحيدية من ناحية، ومن ناحية أخرى إضعاف هذا الايمان الناشئ

والسيطرة عليه من خلال ربطه بالتوراة وبالتعاليم الموسوية! وإن لم يكن كذلك فبخلق خلافات داخل هذا الدين الجديد الذي تشكل تعاليمه الطوباوية نسفاً لليهودية العنصرية من الاساس.

فالخلافات التي أرادوها متعددة، متشعبة، وبصور مختلفة، متشابكة داخل الايمان المسيحي، إنما كانت تهدف جميعها إلى التعمية عن جوهر المبادئ المسيحية الكونية، وذلك بالتلهي بتفسيرات تؤدي إلى تعددية مذهبية تفضي بدورها إلى إضعاف المسيحية وإضمحلالها أو إلى السيطرة عليها من خلال تكريس توراتية نصوص الانجيل والعودة بها إلى الاصول اليهودية. وعليه فقد تعددت المذاهب والشيع والفرق في الدين المسيحي وظهرت الجمعيات تحمل مختلف الأسماء وتتستر بظلال مفاهيم إنسانية خادعة، كان الهدف منها جميعاً، سياسية كانت أو اجتماعية أو عقائدية، تكريس التوراة ككتاب مقدس، تكون المرجعية لنصوصه، وبالتالي تكريس اليهودية في كل شيء، وإثبات المخلب اليهودي في وريد كل فكر لاحق.

الكلمات الكونية

«طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات
طوبى للحزانى، لأنهم يتعزون
طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض
طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون
طوبى للرحماء لأنهم يرحمون
طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله
طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون».
أنتم ملح الأرض، إن فسد الملح فبماذا يملّح
فليضيء نوركم قدّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجّدوا أباكم الذي في السماوات.
إن لم يزد برّكم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات.
كل من يغضب على أخيه باطلاً يستوجب الحكم
من قال لأخيه يا أحمق يستوجب نار جهنم
لا تقدم قربانك إن كنت على خصام مع أخيك
كن مراضياً لخصمك سريعاً

إغفر لأخيك ليس سبع مرات بل إلى سبعين مرة

إغفروا يغفر لكم

لا تغرب الشمس على غيظكم

من ضربك على خدك الأيمن حوّل له الأيسر

لا تقاوم الشر بالشر بل قاوم الشر بالخير

إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم؟

وإن سلمتم على اخوتكم فقط فأي فضل تصنعون؟

أحبوا أعدائكم،

باركوا لاعنيكم

أحسنوا إلى مبغضيكم

صلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم.

من سألك فاعطه.

من أراد أن يقترض منك فلا ترده

من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً

من سخّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين

من يأخذ بالسيف، بالسيف يؤخذ

إن غفرتم للناس زلاّتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي

بالكيل الذي تكيلون به يُكال لكم وأزود

لا تدينوا لئلا تدانوا

مجّاناً أخذتم مجاناً أعطوا

لماذا تنظر القذى في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن إليها.

من منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر

كل ما تريديون أن يفعل الناس بكم إفعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم

أحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم

من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع

من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً

ليكن كلامكم نعم. نعم. لا. لا. وما زاد على ذلك فهو من الشرير

لا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء، شعور رؤوسكم جميعها محصاة

لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون. أنظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوي يقوّتها. ألستم بالحري أفضل منها.

لماذا تهتمون باللباس. تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، لا تتعب ولا تغزل ولكن أقول لكم انه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غداً في التنور يلبسه الله هكذا، أفليس بالحري أن يلبسكم أنتم يا قليلي الايمان.

لا تهتموا للغد. لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليوم شره.

لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاس في مناطقكم ولا مـزوداً للطريـق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا.

لا تكنزوا لكم كنوزاً أرضية بل إكنزوا كنوزاً في السماء حيـث لا يفسد سوس ولا صداء وحيث لا يسرق السارقون

من له ثوبان فليعطِ من ليس له.

أعطِ ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

لا أحد يقدر أن يخدم سيدين الله والمال.

أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره

إن مرور جُمَّل* من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت ا لله.

احترزوا أن تصنعوا صدقتكم قدّام النـاس. إن صنعـت صدقـة فـلا تعرف شمالك ما تعرفه يمينك.

حين تصلّوا لا تكرّروا الكـلام بـاطلاً كـالأمم لأن أبـاكم يعلـم مـا تحتاجون إليه قبل أن تسألوه

إن صليتم صلّوا هكذا:

أبانا الذي في السماوات ليتقـدّس اسمـك، ليـأت ملكوتـك، لتكـن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. آمين

---

* الجمّل هو حبل السفينة.

سراج الجسد هو العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً وإن كانت شريرة فجسدك كله يكون مظلماً.

من ينظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه

إن أعسرتك عينك فاقلعها لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقي جسدك كله في جهنم

أريد رحمة لا ذبيحة

أخوك من صنع معك الرحمة

أخوك من آخاك.

ابن الانسان لم يأت ليهلك بل ليخلص.

من قبل نبياً باسم نبي فأجر نبي يأخذ

من سقى كأس ماء بارد لا يضيع أجره

إذا صنعت غذاء وليمة فلا تدع أصدقاءك ولا اخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء لئلا يدعوك بدورهم. بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافئوك.

من فضلة القلب يتكلّم اللسان

من يحبني يسمع أقوالي ويعمل بها

هل يجتني من الشوك عنب؟

لا تقدر الشجرة الرديئة أن تضع أثماراً جيدة

من ثمارهم تعرفونهم

لا تعطوا القدس للكلاب. ولا تطرحوا درركم قدّام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وترتدّ إليكم فتمزقكم.

لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى.

أعداء الانسان أهل بيته

كونوا حكماء كالحيات، بسطاء كالحمام.

ليس الله إله أموات بل إله أحياء.

دعوا الاولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السماوات.

ويل لكم لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملؤة عظام أموات وكل نجاسة. ويل لكم لأنكم تنقّون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملؤان اختطافاً ودعارة.

ان ملكوت الله ينزع منك ويعطى لأمة تعمل أثماره.

بيتي بيت صلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص.

بهذه الأقوال الكونية أتى يسوع المسيح يبشّر بوحدة الله والكون والإنسان فخافت اليهودية على نفسها من الاندماج في هذه الوحدة، خافت ألاّ تعود شعب الله المختار لوحدها،

خافت أن تتساوى مع غيرها من الشعوب في الجوهر الانساني وخافت أن يصبح الله لغيرها ايضاً، فتتساوى في البنوة مع سائر الشعوب.

وخافت أن يكون الناس أخوة.

وخافت أن يصبح الكون مشاعاً انسانياً تحكمه المحبة فلا يبقى القسم التوراتي، وتصبح أرض الميعاد أرضاً مشاعاً لمختلف الأمم.

وخافت أن يعمّ السلام فلا تعود بحاجة للإله الذي يعطل أكر عجلات الفرعون ويقتل ذكور المصريين

وخافت على إيمانها المادي

وخافت على الحقد الذي في قلبها

وخافت على أنانيتها

وخافت على مفاهيمها وعلى كل ما جاء في التلمود وفي التوراة وفي الأنبياء.

فهذا المسيح لم يأتِ ليكمل كما اشتهت التوراة وحرّف اساطنتها القول، فهو آت للهدم ومعول الحق في يده.

وها هو يصرح لدى التقائه بيوحنا: «حري بنا أن نكمل كل بر». هو لإكمال البر وليس لإتمام بنائه على أسس القتل والدمار والتحيز، فيسوع المسيح لم يأتِ أبداً لإكمال البناء على عيوبه وقد حدد مفاهيم الإكمال، فهو آت ليكمل كل برّ

وهو آت لا ليرقع الثوب الجديد برقعة قديمة!

وهو لم يأت ليضع الخمر الجديدة في آنية عتيقة!

فالثوب القديم البالي لا يرقع وإنما يترك للبلى أو ليحرق بالنار، والثوب الجديد تعيبه الرقعة القديمة. وهو ضنين على وضع الخمر الجديدة في

الفخار القديم! هذا الفخار الذي لم يعد يصلح لشيء! لقد مضى زمانه وانتهت الحاجة إليه!... وها هو يصرخ في الهيكل والسوط في يده: «بيتي بيت صلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص»: فالتعاليم المسيحية هي الثوب الجديد والخمر الجديدة وليس ما يجمعهما مع الزقاق اليهودي القديم ولا الرقعة اليهودية المهترئة!.

هذا المسيح الكوني بمثل هذه المفاهيم، لن يكون بعرف اليهود من سبط داود وإن كان فهو خائن لسبطه، لذلك كان لا بد من محاربته وملاحقته ومحاكمته وصلبه!...

وبعدها كانت العظمة، إذ انتشرت التعاليم بعد الصلب، وعمّت مفاهيم البناء الحديثة فكانت الثورة الحاقدة في القلب اليهودي الاصولي، فهذه الاقوال المثالية العادلة التي تناقلتها الألسن أصبحت فلسفة يومية، وعتقاً للناس من فجور وإباحية وحقد وسادية الوثنية وحببت الله إلى قلوبهم التي أسعدها الايمان بالمفهوم الانساني الجديد وتمنت الاستشهاد لأجله على الحياة بدونه. فلا غربة في تعاليم يسوع المسيح، ولا ميزة في الانتماء إلى الله!

فالوثني الصالح أحس بوحدة الانتماء الكوني، كما يحسّها اليهودي الصالح وأعادت الأمل لكل أممي بأبوة الله المُحِبّة العادلة وبسعة أرض الكون للجميع!.

وعلى هذا كانت النقمة ومنه كان الخوف.

فانبرى أئمة الاصولية اليهودية لتفكيك تعاليم يسوع المسيح ولتفتيت المجموعات المؤمنة وذلك باختلاق الاقوال ودسّ الأمثال وتزوير أخبار السيرة وذلك تحقيقاً لهدفين رئيسين: استحياء اليهودية في المسيحية من خلال البدع، وتفكيك المسيحية من خلال التشكيك بمثاليتها من خلال دسّ الأقوال المحرفة والأمثال النقيضة لتلك التعاليم والتي تتنافى مع جوهر فلسفة يسوع المسيح.

فيسوع لن يكون ملكاً على شعب

ولن يكون من سبط مميز

ولن يكون فقط لانقاذ خراف بني اسرائيل الضالة دون غيرها من الخراف الكونية

ويسوع المسيح لم ولن يمنع تلاميذه من الدخول إلى السامرة وقد بات هو فيها ليلتين، فهو لم يأتِ للأصحاء بل للمرضى!... فهو محبة وللجميع على السواء!...

ويسوع لم يدع على التينة فتيبس إذ لم يكن قد آن وقت ثمرها، فهو الحكمة بعينها والعطاء المطلق الذي لا ينضب!... والمسامحة التي لا حدود لها.

فهو ليس للمسيحيين وحدهم و لم يأتِ لينشئ ديناً يحمل اسمه، وليس هو لليهود ملكاً يستعيد لهم أمجادهم ولا قائداً عسكرياً يحقق طموحاتهم في قتل الشعوب أو طردها تحقيقاً لوعد توهموه فنسبوه لله!.

وليس يسوع المسيح للبوذيين وحدهم

ولا للاسلام وحدهم

يسوع المسيح هو النور الذي يدخل كل بيت بلا تمييز وهو المحبة التي لا تسأل لمن تكون

يسوع المسيح هو للجميع بقدر ما يفهم هذا الجميع أقواله فيحتاجها ويعمل بها!.

فالسامري الصالح لم يكن معتمداً باسم الآب والابن والروح القدس يوم تحدث يسوع عنه، و لم يحتج للمعمودية كسمة دخول إلى ملكوت الله!.

والمسلم الصالح الذي يطبّق تعاليم القرآن الأخلاقية، يقترب بشفافية الاندماج والتوحد مع تعاليم يسوع فلا ضرورة له لأن يعتمد باسم الآب والابن والروح القدس كي يدخل ملكوت الله!.

والبوذي الصالح، واليهودي الصالح وكل من أتبع تعاليم يسوع وطبّقها، جميعهم في ملكوت الله، بل في قلب الله، دون الحاجة لمراسيم وشكليات وأسرار.

فالتعاليم المسيحية ليست عنصرية أو عرقية أو اقليمية أو قومية. هي مفاهيم أخلاقية كونية تسمو بالافراد والجماعات فوق الذات وتصهرهم في كلّ انساني يسعد فيه الفرد بقدر حاجته إليه وبقدر سعيه لتطبيق مثلها.

فهي كالنور الذي يفيض عن الكون يدخل بيوت الناس وعقولهم بقدر حاجتهم إليه دون أن يتنافسوا لإجله.

وهي كالهواء الذي يتنشقونه، فيحيون به وينعمون ولا يقيمون سدوداً لتملكه وخزنه أو يرسمون حدوداً مكانية أو مكاييل لتوزيعه فيما بينهم، ولا يقتتلون على حصرية ملكيته أو على فرادة الانتماء إليه.

فهو للجميع بقدر ما يسعى هذا الجميع إليه.

وخوفاً من تعاليم يسوع الكونية هذه، تنادت اليهودية العنصرية بكل فرقها وتجيّشت بكل أساليبها لطمس هذه التعاليم أو تحريفها أو تحويلها لما فيه خيرها ودوام بقائها من خلال استمرارية هذه التعاليم.

ونما الخلاف بين الفرق اليهودية على طريقة تهويد هذه التعاليم الكونية وعلى إعادة عنصريتها لتكون على حجمها فلتبسها ولا تعود تشعر بغربة الانتماء اليها، وتحول هذا الخلاف إلى صراع يهدد بزوال هذه اليهودية مما دعا جمالائيل الثاني أحد الحاخامات المتأصلين في العنصرية، إلى منع اليهود من مخالطة المسيحيين والنصارى واعتبرهم بدعة كافرة يجب لعنهم مع المينيم في صلاة «**شمونة عسرة**» إذ يقول في البركة الثانية عشر:

«لا يكن للمرتدين رجاء! ولستأصل دولة الظلم سريعاً وعلى أيامنا! وليضمحل النصارى والمشركون وليمحوا من سفر الحياة».

فالخلاف بين اليهود كان على تدمير المسيحية و لم يكن أبداً على المبادئ اليهودية فمنهم من أراد القضاء عليها مواجهة وعلناً مثلما جاء في صلاة «شمونة عسرة» ومنهم من كان أكثر دهاء وبرودة أعصاب، فأراد ذلك التدمير من الداخل وذلك بيث بذور الشك في النصوص وبالتالي بذور النزاع في النفوس،

مع ترك الأمر للزمن، فتثمر تلك البذور ردة تعيد المسيحية إلى أحضان داود أو تُكثر مناجل حصاديها فلا تبقي سنبلة واحدة لبذار الموسم المقبل وحيئذ تُسْمَع قرقعة المناجل فيما بينها مبتهجة بزمن انتهاء المواسم.

أيها المسيحيون الصالحون، تنبهوا من الزؤان المزروع في حقول حنطتكم، حفاظاً لكم على جودة البذار

وتنبهوا من الفعلة المأجورين يقتلعون ما تبقى من جيّد ما نبت من بذوركم الأصيلة، بحجة أنهم يعشبون حقولكم ويغارون على حسن مواسمكم وحينها لن يبقى ما تزرعونه في المستقبل غير الزؤان الموصل عندهم.

شكر

أشكر جميع الذين كانت لهم جرأة قراءة هذا الكتاب ومناقشته وأخصّ بالشكر منهم الذين قرأوا وفهموا فرفضوا ما فُرض عليهم منذ اجيال كما أشكر الذين شعروا بأني عبرت عن الكثير من افكارهم وأميز بالشكر عدائية بعض المناقشين لانها كانت المشحذ الذي ارهف افكاري وجعلها اكثر مضاء وحدة.

مع حبي لهم جميعاً وتقديري

المؤلف

- صدر هذا الكتاب بطبعة خاصة في اول تشرين الاول ١٩٩١

- أعيد للطبع ثانية وصدرت طبعة منقحة ومزيدة ١٩٩٣

- الطبعة الحالية الكاملة صدرت في أول أيار ١٩٩٤

الفهرس


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

استدراك

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الوقوع
من لحقها	ما لحقها	١٩	١٠	آخر السطر
Good	God	٥٢	٣	وسط السطر
Good	God	٥٣	٧	» »
سيبداء	سيبدأ	٥٤	١١	» »
ـــ.ـــ	اختلف	١٠١	١	آخر السطر
المدا قبية	المناقبية	١٣٦	٢	» »
فأن	فإن	٢١٥	١٠	اول السطر
وأن	وإن	٢١٥	١٥	» »
القضاء	القضاة	٢٢٥	٧	آخر السطر
وأن	وإن	٢٧٩	١٨	اول السطر
انبيأ	انبياء	٢٨٤	١٧	اخر السطر
المبداىء	المبادىء	٣٣٦	١٦	» »
				شكراً لعفوكم

تحذير

القراءات الملعونة، كتاب ليس للجميع، ولأنه كذلك:

فعلى جرأة القارئ وحشرية المعرفة عنده تقع مسؤولية

فعل الكلمة فيه؟...

فليس لمن يخاف الكلمة أن يقرأه!...

وليس لمن يحصر وجود الله في القلب، والشيطان في العقل، أن يقرأه!.

وليسَ لمن يخاف وسوسَة الحروف أن يقرأه!...

فللحرف سحره وللكلمة فعلها، فمن لا يحمل حرزاً عقلياً فرجائي ألاّ يقلّب

صفحات هذا الكتاب لأن الشمس على الرغم من الخير المتوهج من أشعتها

فهي تؤذي الكثير من الناس وبدرجات متفاوتة: منهم من تجمّله بلون

برونزي ساحر، ومنهم مَن تلطّخ جلده بطفح يشوهه، ومنهم مَن

تصيبه ببثور سرطانية قاتلة، ومنهم من تأخذه بضربة مميتة!.

فحذار الشمس لمن تؤثّر عليه ضربتها

وحذار القراءات الملعونة لمن تؤثر فيه ضربة المعرفة!...

المؤلّف